



جامعة سامرا



جامعة تشرين

٢

## دراسات في اللغة العربية وآدابها

■ نقد لحكم ابن هشام على ابي حيان في ضوء دراسة لأرائه البلاغية

الدكتور محمد نبي احمدي و الدكتور علي سليمي

■ الظواهر الصوتية عند سيبويه

الدكتور ابراهيم محمد النيب

■ أنواع البديع في العصر المملوكي

الدكتور علي حيدر

■ آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث في ضوء منهج سيميائي

الدكتور محمد خافقي والدكتور رضا عامر

■ نفسية المتنبي وسعدي وأثرها في حكمتها الشعرية

الدكتور صادق عسكري

■ جمالية توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في لزوميات المعري

الدكتور سيد مهدي مسبوق والدكتور علي باقر طاهري نيا ومهدي تركاشوند

■ ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية والمصدر

الدكتور مالك يحيى

■ لم ولما الجازمتان ودلالاتهما في القرآن الكريم

الدكتور بونس علي بونس

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعتي:

تشرين – سورية/٢٠١٠

سمنان – إيران/١٣٨٩

السنة الأولى، صيف، العدد ٢

## مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها

فصلية علمية محكمة

صاحب الإمتياز: جامعة سمنان

المدير المسؤول: الدكتور صادق عسكري

رئيسا التحرير: الدكتور محمود خورسندي والدكتور عبدالكريم يعقوب

المدير الداخلي: الدكتور إحسان إسماعيلي طاهري

المستشار العلمي: الدكتور آذر تاش آذرنوش

المصحح: الدكتور شاکر العامري

هيأت التحرير (حسب الحروف الأبجدية):

أستاذ جامعة طهران

أستاذ مشارك بجامعة تشرين

أستاذ مشارك بجامعة تشرين

أستاذ جامعة تشرين

أستاذ مساعد بجامعة تشرين

أستاذ مشارك بجامعة سمنان

أستاذ مشارك بجامعة تشرين

أستاذ جامعة تربيت معلم

أستاذ مساعد بجامعة سمنان

أستاذ مساعد بجامعة علامة طباطبائي

أستاذ مشارك بجامعة همذان

أستاذ جامعة علامة طباطبائي

أستاذ جامعة تشرين

الدكتور آذرتاش آذرنوش

الدكتور إبراهيم محمد البب

الدكتور لطيفة إبراهيم برهم

الدكتور محمد إسماعيل بصل

الدكتورة رنا جوني

الدكتور محمود خورسندي

الدكتور رفي محمود سليطين

الدكتور حامد صدقي

الدكتور صادق عسكري

الدكتور علي گنجيان

الدكتور فرامرز ميرزايي

الدكتور نادر نظام طهراني

الدكتور عبدالكريم يعقوب

الخبير التنفيذي: محمد مهدي قدس

المنضد والمخرج الفني: مهرداد آزاد

الطباعة والتجليد: جامعة سمنان

العنوان: إيران، مدينة سمنان، جامعة سمنان، كلية العلوم الإنسانية، مكتب مجلة دراسات في اللغة

العربية و آدابها

البريد الإلكتروني: Lasem@Semnan.ac.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دراسات

# في اللغة العربية وآدابها

مجلة علمية محكمة، تُصدرها جامعتا  
سمنان وتشرين، في إيران وسوريا

السنة الأولى، صيف، العدد ٢

١٣٨٩ هـ / ش / ٢٠١٠ م

## شروط النشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها

مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها مجلة فصلية محكمة تتضمن الأبحاث المتعلقة بالدراسات اللغوية والأدبية التي تبرز التفاعل القائم بين اللغتين العربية والفارسية، وتسليط الأضواء على المناقفة التي تمت بين الحضارتين العريقتين.

تنشر المجلة الأبحاث المبتكرة في المجالات المذكورة أعلاه باللغة العربية مع ملخصات باللغات العربية والفارسية والإنكليزية على أن تتحقق الشروط الآتية:

١- يجب أن يكون الموضوع المقدم للبحث جديداً ولم ينشر من قبل، ويجب أن لا يكون مقدماً للنشر لأية مجلة أو مؤتمر في الوقت نفسه.

٢- يرتب النص على النحو الآتي:

أ) صفحة العنوان: (عنوان البحث، اسم الباحث ومرتبته العلمية وعنوانه والبريد الإلكتروني).

ب) الملخصات الثلاثة (العربية والفارسية والإنكليزية) في ثلاث صفحات مستقلة حوالي ١٥٠ كلمة) مع الكلمات المفتاحية في نهاية كل ملخص.

ت) نصّ المقالة (المقدمة وعناصرها، المباحث الفرعية ومناقشتها، الخاتمة والنتائج).

ث) قائمة المصادر والمراجع (العربية والفارسية والإنكليزية)، وفقاً للترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين.

٣- تدون قائمة المراجع بالترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين متبوعة بفاصلة يليها بقية الاسم متبوعاً بفاصلة، عنوان الكتاب بالحرف المائل متبوعاً بفاصلة، رقم الطبعة متبوعاً بفاصلة، مكان النشر متبوعاً بنقطتين، اسم الناشر متبوعاً بفاصلة، تاريخ النشر متبوعاً بنقطة.

وإذا كان المرجع مقالة في مجلة علمية فيبدأ التدوين بالشهرة متبوعة بفاصلة ثم عنوان المقالة متبوعاً بفاصلة ضمن علامات التنصيص، عنوان المجلة بالحرف المائل متبوعاً بفاصلة، رقم العدد متبوعاً بفاصلة، تاريخ النشر متبوعاً بفاصلة ثم رقم الصفحة الأولى والأخيرة متبوعاً بنقطة.

٤- تستخدم الهوامش السفلية ويتمّ اتباع الترتيب الآتي إذا كان المرجع كتابياً: اسم الكاتب بالترتيب العاديّ تتبعه فاصلة، عنوان الكتاب بالحرف المائل تتبعه فاصلة، رقم الصفحة متبوعاً بنقطة.

وإذا كان المرجع مقالة فيتبع الترتيب الآتي في الحاشية السفلية: اسم الكاتب بالترتيب العادي متبوعاً بفاصلة، عنوان المقالة متبوعاً بفاصلة ضمن علامات التصييص، عنوان المجلة بالحرف المائل، رقم الصفحة متبوعاً بنقطة.

٥- تخضع البحوث لتحكيم سرّي من قِبَلِ حَكَمين لتحديد صلاحيتها للنشر. ولا تُعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء قُبِلت للنشر أم لم تُقبل.

٦- يذكر المعادل الإنكليزي للمصطلحات العلميّة عند ورودها لأول مرّة فقط.

٧- يجب ترقيم الأشكال والصور حسب ورودها ضمن البحث بين قوسين صغيرين، وتوضع دلالاتهما تحت الشكل. كما ترقم الجداول بالأسلوب نفسه، وتوضع الدلالة فوقها.

٨- ترسل إلى المجلة ثلاث نسخ من البحث، مطبوعة بواسطة الكمبيوتر على ورق قياس A4 على وجه واحد مع CD، (الخط Simplified Arabic، قياس ١٤، الهوامش ٣ سم من كل طرف). وتُدرج الأشكال والجداول والصور في موقعها ضمن النص.

٩- يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث على عشرين صفحة بما فيها الأشكال والصور والجداول والمراجع.

١٠- في حال قبول البحث للنشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها يجب عدم نشره في أي مكان آخر.

١١- يحصل صاحب البحث على ثلاث نسخ من عدد المجلة الذي ينشر فيه بحثه.

١٢- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الكتّاب أنفسهم، ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير.

١٣- ترسل البحوث والمراجعات إلى رئيس تحرير المجلة على عنوان التالي:

في إيران: سمنان، جامعة سمنان، كلية العلوم الإنسانية، الدكتور محمود خورسندي.

Mahmoodkhorsandi7@gmail.com — ٠٢٣١٣٣٥٤١٣٩

في سوريا: اللاذقية، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدكتور عبد الكريم يعقوب،

٠٠٩٦٣٤١٤١٥٢٢١



## كلمة العدد

اللغة العربية لغة حيّة متكاملة تدين إليها الثقافة الإسلامية وحضارتها مدى الأعصار والقرون الماضية في تبيين القيم الإنسانية. وقد كان القرآن الكريم آخر معجزة سماوية، أعظم ما أهدته العربية إلى البشرية.

إنّ البحث في تاريخ الأدبين العربي والفارسي ونصوصهما النثرية والشعرية ودراسة ما فيهما من العلوم والفنون القديمة والحديثة تكسبنا المهارات الضرورية لتنمية مستوى التعامل بين الشعوب الإسلاميّة.

هذا وبناء على الرغبة المتبادلة بين جامعة سمنان وجامعة تشرين في توسيع العلاقات الثقافية والعلمية، تمّ الاتفاق بين الجامعتين لنشر مجلة علمية مشتركة بعنوان: *دراسات في اللغة العربية وآدابها* تهدف إلى نشر الأبحاث والدراسات الأدبية واللغوية التي تبرز التفاعل القائم بين اللغتين العربية والفارسية عبر العصور وتسلط الأضواء على الثقافة التي نمت بين الحضارتين العريقتين.

تنشر المجلة الأبحاث النقدية المتعلقة باللغة العربية وآدابها صرفاً ونحواً وبلاغةً، إلى جانب الدراسات المقارنة بين العربية والفارسية. ويتمّ النشر طبعاً بعد تحكيم علمي دقيق حسب المعايير العلمية والمواصفات الفنية.

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن القائمين على المجلة في إيران وسوريا يطمحون في رفع مستوى المقالات علمياً ومنهجياً. فالمطلوب من المؤلفين والمنقّحين والحكّام التركيز على الموضوعات الجديدة والاهتمام بالمعايير العلمية والمنهجية في أبحاثهم.

## فهرس المقالات

- ١..... نقد لحكم ابن هشام على أبي حيان فى ضوء آرائه البلاغية  
الدكتور محمد نبى أحمدي والدكتور على سليمى
- ١٩..... الظواهر الصوتية عند سيبويه.....  
الدكتور محمد إبراهيم البب
- ٤٩..... أنواع البديع فى العصر المملوكى.....  
الدكتور على حيدر
- ٦٣..... "المنهج السيمبائى: آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته"  
الدكتور محمد خاقانى والدكتور رضا عامر
- ٨٥..... نفسية المتنبى وسعدي وأثرها فى حكمتها الشعرية.....  
الدكتور صادق عسكري
- ١٠٥... جمالية توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية فى لزوميات المعرّى  
الدكتور فرامرز ميرزايى
- ١٢٣.... ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر.....  
الدكتور مالك يحيى
- ١٤٣..... لم ولما الجازمتان ودلالتهما فى القرآن الكريم.....  
الدكتور يونس على يونس

## نقد لحكم ابن هشام على أبي حيان في ضوء آرائه البلاغية

محمد نبى احمدى \* على سليمى \*\*

### الملخص

نحا ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب منحي لا مثيل له في ما كتب قبله، كدراسته ونقده لآراء النحاة من جميع المذاهب النحوية، ولم يقف عند المسائل النحوية فحسب، بل تناول كثيراً من المسائل البلاغية أيضاً. فقد تعرض لكثير من النحويين والبلاغيين والمفسرين يؤيدهم أو يخالفهم في آرائهم، ولكنّه يخالف آراء أبي حيان النحوية والبلاغية مخالفة شديدة وغير متعارفة، فيحكم عليه حكماً قاسياً، يتهمه بأنه لا يعرف علم البيان، فيقول في شأنه: "وَمَنْ لَا يَعْرِفُ هَذَا الْعِلْمَ كَأَبِي حَيَّانٍ".

يبدو أن ما جاء في تفسير أبي حيان "البحر المحيط" من آرائه البلاغية الهامة مثل: "الاستعارة"، "المجاز"، "المبالغة"، و "الأغراض البلاغية للاستفهام" يدلّ دلالة واضحة، خلافاً لحكم ابن هشام عليه، على أنه يعرف هذا العلم حق المعرفة. هذه مقالة هي نقد لقول ابن هشام في ضوء دراسة آراء أبي حيان البلاغية

كلمات مفتاحية: ابن هشام، أبو حيان، النحو، البلاغة، النقد

### المقدمة

لا يزال الباحثون يهتمون بموضوعات النحو والبلاغة اهتماماً بالغاً وقد اجتهد الكتاب والمؤلفون من العرب وغيرهم في تأليف الكتب في هذا المجال وتدريسها في الجامعات. كما كان القدماء يبذلون جهداً عظيماً في سبيل الدراسة والتحقيق فيُعنون عناية بالغة بالنحو والبلاغة والتفسير، وكانت آراء ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" حجر اساس لدراسات كثيرة في هذا الباب، لأنه كما قيل «نهج في كتابه هذا سبيلاً لم يُسبق إليه وهو السبيل الذي أتاح له ألا يدع فرعاً من الفروع إلا عرض له بإبداع مع عدم تكرار فأوفى في ذلك

\* استاذ مساعد في اللغة العربية بجامعة الرازي، كرمانشاه.

\*\* استاذ مشارك في اللغة العربية بجامعة الرازي، كرمانشاه.

على الغاية...»<sup>(١)</sup> فهذا الكتاب يحتوي على كثير من الفوائد مثل الاحتجاج بالآيات من القرآن الكريم والشواهد الشعرية؛ وبما أنه جاء بآراء لجمع غفير من النحاة والبلاغيين يحللها، لذا فبإمكاننا أن نسميه كتاباً في نقد النحو ونقد البلاغة. ولكن، ولما يقول المثل: «فلكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة»، لا يخلو هذا الكتاب، مع احتوائه على هذه الفوائد العظيمة في المسائل العلمية، لا يخلو أحياناً من العيب والنقص، كما نلاحظ ذلك في حكمه القاسي على أبي حيان في تخطئة آرائه البلاغية.

### مسألة التحقيق

يتحدث ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" عن كثير من النحويين والبلاغيين ويحكم عليهم، يخالفهم أو يؤيدهم في آراءهم العلمية، لكنه يخالف آراء أبي حيان البلاغية مخالفة شديدة وغير متعارفة، فيحكم عليه حكماً قاسياً ويتهمه بأنه لا يعرف علم البيان، حيث يقول في شأنه: "ومن لا يعرف هذا العلم كأبي حيان". والسؤال المطروح هنا: هل توجد في آثار أبي حيان آراء بلاغية تدل على أنه عالم بعلوم البلاغة ودقائقها خلافاً لرأي ابن هشام وحكمه القاسي عليه؟ هذه المقالة محاولة موجزة للإجابة عن هذا السؤال في ضوء دراسة لآراء أبي حيان البلاغية.

### دراسات سابقة

قبل إن آراء ابن هشام وكتابه "مغني اللبيب" هما ذوا أهمية عظيمة في النحو والبلاغة. ولهذا الكتاب، كما هو مشهور، شروح كثيرة، منها: القصر المبني على حواشي المغني للأبياري؛ تنزيه السلف عن تمويه الخلف لابن الصائغ؛ تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب للدماميني. وكتب العلماء عليه حواش جليلية، منها: حاشية الدسوقي؛ حاشية السيوطي؛ حاشية الشمني وحاشية الأمير. والملاحظ أن الشروح لكتاب "مغني اللبيب" كثيرة جداً قام بها الدارسون قديماً وحديثاً، ولكن لا يوجد في موضوع نقد لحكم ابن هشام على أبي حيان، سوى دراسات قليلة، حيث طبع أخيراً مقال نقدي في هذا الموضوع باللغة الفارسية بعنوان:

"جاينگاه نحويان در كتاب مغني اللبيب": (مكانة النحويين في كتاب مغني اللبيب)، (ميرلوحى، واحمدى، ١٣٨٨ - مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية، ع. ١١، جامعة "تربيه مدرس" ايران)، كما طبعت قبل ذلك مقالة بعنوان: "اعتراضات ابن هشام على أبي حيان" (حسن موسى الشعر، مجلة جامعة دمشق، ع ٢٢، السنة ٢٠٠٩) وهي دراسة لأرائهما في الصرف والنحو.

ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ ق) (٢):

هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، أعظم نحاة المدرسة المصرية لعصر المماليك، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ.

سمع على أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى ولم يلزمه ولا قرأ عليه غيره بل أصبح فيما بعد شديد الانحراف عنه. أخذ ابن هشام مذاهب النحاة وعرفها معرفة عميقة منذ حياته الأولى؛ فذاعت شهرته في العربية، فأقبل عليه الطلاب يأخذون من علمه ومباحثه النحوية الدقيقة، واستنباطاته الرائعة الموثقة في ثنايا مصنفاته مع مناقشتها وبيان الضعيف منها والجيد. ومنهج في النحو هو منهج المدرسة البغدادية. فهو يوازن بين آراء البصريين والكوفيين ومن تلاهما من النحاة في أقطار العالم العربي، مختاراً لنفسه ما يتمشى مع مقاييسه، مظهرًا قدرة فائقة في التوجيه والتعليل والتخريج، وكثيرًا ما يشتق لنفسه رأيًا جديدًا لم يسبق إليه، وخصوصًا في توجيهاته الإعرابية، على نحو ما يتضح لقارئ كتابه المغني.

وهو في أغلب اختياراته يقف مع البصريين. وكان يجلس لسيبويه إجلالاً كبيراً كما كان يجلس لجمهور البصريين. وفي كل جانب من كتاباته نراه متحمسًا لهم مدافعًا عن آرائهم، وليس معنى ذلك أنه كان متعصبًا لسيبويه وجمهور البصريين، وإنما كان يوافقهم في العديد من آرائهم النحوية، ولكن دون أن يوصد الأبواب أمام بعض آراء الكوفيين والبغداديين حين يراها جديرة بالاتباع.

وعلى نحو ما كان يختار ابن هشام لنفسه من المدرستين البصرية والكوفية،

٢ - تلخيص بتصرف من مقالة لعنايت فاتحي نژاد (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ٥: ١٨٨) و شروح مغني اللبيب.

كان يختار لنفسه أيضاً من المدرسة البغدادية والمدرسة الأندلسية، ولعل في ذلك كله ما يصور – من بعض الوجوه – نشاط ابن هشام الأنصاري النحوي، ومدى استيعابه لآراء النحاة السابقين. وقد خُلف في العربية مصنفات كثيرة من أهمها كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. وقد اختط له منهجاً لم يسبق إليه؛ إذ لم يقسمه على أبواب النحو المعروفة بل قسمه قسمين كبيرين:

القسم الأول أفرده للحروف والأدوات، وضح وظائفها وطرق استخدامها مع عرض كل الآراء المتصلة بها. والقسم الثاني تحدث فيه عن أحكام وخصائص الأبواب المتنوعة وأحكام الجار والمجرور وخصائص الأبواب النحوية وصور العبارات الغريبة. ومن مصنفته أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وهو مطبوع مراراً، وله شذور الذهب في معرفة كلام العرب؛ قطر الندى وبل الصدى.

### أبوحيان الغرناطي (ت ٧٤٥هـ ق):

أنير الدين محمد بن يوسف (٦٥٤هـ – ٧٤٥هـ) المعروف بأبي حيان ولد في غرناطة، نشأ وتعلم هناك وهو بربري الأصل،<sup>(٣)</sup> وله آثار كثيرة<sup>(٤)</sup>، أشهرها "البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم". كانت شهرته الذائعة في مقدراته في القراءات واللغة قد سبقته وعلا ذكره بين الأنام ومدحه كثير من الأدباء نحو: محيي الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الرسائل في مصر، صدر الدين بن الوكيل، نجم الدين الإسكندري، القاضي ناصر الدين الشافعي وخليل بن أبيك الصفدي. كان من أعاجيب الزمان نكاه وفتنة وكان عبقرياً بينما كان أصدقاؤه شديدي الحسد له وكان يتلذذ كثيراً بقراءة الكتب وكشف الغموض، وكان يأنس

٣ - حسيني دشتي، ١٣٨٥هـ ش. ص ٣١٧

٤ - أهمها: \_ الأسفار - التجريد لأحكام سيبويه \_ التذليل و التكميل في شرح التسهيل \_ ارتشاف الضرب من لسان العرب \_ التنخيل \_ تحاف الأريب بما في القرآن من الغريب \_ كتاب النافع في قراءات نافع \_ النذكرة ٩ \_ التدريب \_ غاية الإحسان \_ كتاب الأثير في قراءة ابن الأثير - الروض الباسم في قراءة عاصم \_ غاية المطلوب في قراءه يعقوب \_ تقريب الناتي في قراءة الكسائي \_ زهو الملك في نحو الترك \_ الإدراك في لسان الأترك \_ منطق الخرس في لسان الفرس \_ نور الغيش في لسان الحيش.

بالقرآن الكريم<sup>(٥)</sup>.

### الجملة المعترضة أو الاعتراضية

حينما يتناول ابن هشام الآراء المختلفة حول الجملة المعترضة<sup>(٦)</sup>، يأتي بقوله تعالى: ﴿...قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ويقول: «للبليانيين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النحويين، والزمخشري يستعمل بعضها...»<sup>(٨)</sup> (نفس الكتاب والصفحة) وبعد ذلك يخطئ أباحيان كما هو عادته دائماً في كتابه - مغني اللبيب - ويقول: «ويردُّ عليه [على الزمخشري] مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كأبي حيان توهماً منه أنه لا اعتراض إلا ما يقوله النحوي وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين.» (نفس الكتاب والصفحة)

إن كثيراً من علماء علم النحو والمفسرين الذين كان في كتبهم إشارات بلاغية هامة جاؤوا بالآية وذكروا الوجوه الإعرابية فيها ولكن ما أشاروا إلى الاعتراض فيها، خلافاً لابن هشام، من مثل: الشيباني، ٤١٣ق، ج ١/٢١٤، العكبري، دت، ج ١/٤٠، دعاس، ١٢٢٥ق، ج ١/٥٧، الأندلسي، ١٢٢٢ق، ج ١/٢١٤، البغوي، ١٢٢٠ق، ج ١/١٧١ و صافي، ١٢١٨ق، ج ١/٢٧٣.

ويبدو أن الاختلاف بين أبي حيان والزمخشري في الجملة ينبعث عن تعريفين مختلفين لها في الكتب البلاغية، على سبيل المثال في بعض منها نقراً: «الاعتراض

٥ - يظهر أبو حيان تلك اللمة في أبيات و يقول:

أعاذل! ذرني و انفرادي عن الورى      فلست أرى فيهم صديقاً مُصافياً  
نداماي كُتبٌ أستفيدُ علومها      أحيائي تُغني عن لقائي الأعدايا  
و آنسها القرآن فهو الذي به      نجاتي إذا فكرت أو كنت تاليا

٦ - و هو الموضوع الذي بسببه اتهم ابن هشام أباحيان بأنه غير عالم بالعلوم البلاغية، فقال في شأنه: "و من لا يعرف هذا العلم كأبي حيان"

٧ - البقرة: ٢: ١٣٣

٨ - يقول الزمخشري عن القسم الأخير من الآية ﴿وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: حال من فاعل (نعبد) أو من مفعوله، لرجوع الهاء إليه في (له) و يجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد، و أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة؛ أي و من حالنا أننا له مسلمون مخلصو التوحيد أو مدعون. (زمخشري، ١٢٠٧ق، ١: ١٩٤)

في اللّغة: الدّخول بين الشبّئين حتى يكون الداخل المعترض فاصلاً بينهما، ويسمى "عارضاً" أي: حائلاً ومانعاً بينهما، ومنه أخذ الاعتراض في البلاغة والنحو. الاعتراض اصطلاحاً: أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام. فإذا كان لدفع الإيهام فهو من طريقة (الاحتراس = التكميل) ويؤتى بالاعتراض لدواعي بلاغية أخرى.

قد تبيّن أنّ الاختلاف ينبعث من نظرتهم إلى الاعتراض، "هل من الواجب أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة بلاغية<sup>(٩)</sup> أو لا يشترط كونه واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متّصلين معنى، بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متّصل به معنى<sup>(١٠)</sup>."

إنّ أباحيان يشير إلى الجملة المعترضة في مئة آية مباركة تقريباً<sup>(١١)</sup> وفي بعض منه يشير إلى كونها معترضة مؤكّدة<sup>(١٢)</sup>، وهو الوجه الذي بسببه دعا ابن هشام إلى اتهامه بأنّه لا يعرف علم البيان. ليست هذه المقالة بصدّد اثبات أنّ أباحيان كان بلاغياً، بل تريد الإشارة إلى أنّ له آراء قيمة في النحو و البلاغة فلا يستحق ما فعل به ابن هشام في كتابه مغني اللبيب.

#### آراء أبي حيان البلاغية

إنّ أباحيان كان يعرف علم البيان رغم أنّه لم يكن بلاغياً، ويكفي أن نفتح كتابه "البحر المحيط" حتّى نفهم ذلك، مع أنّ كتابه هو في تفسير القرآن الكريم وليس

٩- هذا هو الذي يعتقد أبو حيان، حيث يعول عليه في موارد عديدة من تفسيره، لردّ الجملة المعترضة التي لا تأتي في أثناء الكلام ويكون لها محلّ من الإعراب؛ نحو: (أندلسي، ١٤٢٠ق، ١: ٦٤٣ و ٢: ١٣٦ و ٣: ٣٣٤ و ٤: ٤٣٤ ...)

١٠- هذا ما يعتقد الزمخشري، و الجمل التي يعينها اعتراضاً تنبّه؛ نحو: (زمخشري، ١٤٠٧ق، ١: ١٩٤ و ١: ١٦٦ و ١: ٤٤٠ و ١: ٥٦٩ ...)

١١- نحو: (أندلسي، ١٤٢٠ق، ١: ٧٧ و ١٣٩ و ١٧٤ و ٣١١ و ٤١٤ و ٤١٩ و ٤٤٩ و ٤٥٨؛ ٢: ٤١٠ و ٤٧٧ و ٥٠٥ و ٥٦٥؛ ٣: ٣٧ و ٦١ و ١١٨ و ١٦٩ و ٢١٤ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٤٩ و ٣٥٧ و ٣٨٠ و ٤١١ و ٤٤٥ و ٥٠٧ و ٦١٩ و ٦٦٠ و ٧٠٧؛ ٤: ٧ و ٢٩ و ٨٧ و ١٨١ و ٢٠٣ و ٢١٩ و ٣٩٤ و ٤٥٤ و ٥٢٣ و ٥٦٢ ...)

١٢- نحو: الآية السادسة من سورة البقرة: (أندلسي، ١٤٢٠ق، ١: ٧٧)

موضوعه البلاغة. والآن نذكر بعض آيات القرآن الكريم التي يشير أبوحيان إلى المسائل البلاغية فيها:

١- "المجاز" كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول<sup>(١٣)</sup>. وهو من أجمل الوسائل البيانية التي يحصل للنفس بها أريحية وفرح وشغف العرب باستعماله وزيتوا به خطبهم وأشعارهم؛ فأين هذه الخطب والأشعار من القرآن الكريم الذي يكون في الذروة الرفيعة من المجاز.

وكان أبوحيان يعرف هذه الصنعة البلاغية، حيث أشار إليها في أي من القرآن الكريم؛ منها قوله عن آية: ﴿فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٤)</sup> حيث يقول: «... إسناد المجيء إلى البأس مجاز عن وصوله إليهم والمراد أوائل البأس وعلاماته»<sup>(١٥)</sup> وبعد ذلك يستمر في الشرح عن (ولكن) في: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حيث يقول: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي صلبت وصبرت على ملاقاته العذاب لما أراد الله من كفرهم، ووقوع (لكن) هنا حسن لأن المعنى انتفاء التذلل عند مجيء البأس ووجود القسوة الدالة على العتو والتعزز فوقعت (لكن) بين ضدين وهما اللين والقسوة، وكذا إن كانت القسوة عبارة عن الكفر فعبر بالسبب عن المسبب<sup>(١٦)</sup> والضراعة عبارة عن الإيمان فعبر بالسبب عن المسبب كانت أيضا واقعة بين ضدين تقول: قسا قلبه فكفر وآمن فتضرع»<sup>(١٧)</sup>.

ومن معرفته هذه الصنعة قوله في: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> حيث يقول: «الظرفية في (فيهم) مجاز والمعنى: وأنت مقيم بينهم غير راجل عنهم»<sup>(١٩)</sup>.

١٣- (الرجائي، ١٤٢٣هـ، ص ٢٨٧)، راجع أيضاً إلى: (الخطيب القزويني، د.ت، ١٥٢).

١٤- الأنعام ٦: ٤٣

١٥- أندلسي، ١٤٢٠ق، ٤: ٥١٤

١٦- وهذا أيضاً مجاز مرسل علاقته السببية.

١٧- نفس المرجع و الصفحة

١٨- الأنفال ٨: ٣٣

١٩- أندلسي، ١٤٢٠ق، ٥: ٣١٢

٢\_ قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعان أخرى تستفاد من سياق الكلام<sup>(٢٠)</sup>. وقد فهم أبوحيان هذا الموضوع جيداً وجاء بمصداق منه في آية: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾<sup>(٢١)</sup> لغرض التعجب والإنكار، حيث يقول: «الإستفهام معناه التعجب والإنكار كأنه تعجب من فساد عقولهم، حيث خوفوه خشباً وحجارة لا تضر ولا تنفع، وهم لا يخافون عقبي شركهم بالله وهو الذي بيده النفع والضرر والأمر كله ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ معطوف على ﴿أَخَافُ﴾ فهو داخل في التعجب والإنكار واختلف متعلق الخوف، فبالنسبة إلى إبراهيم، علق الخوف بالأصنام؛ وبالنسبة إليهم، علقه بإشراكهم بالله تعالى<sup>(٢٢)</sup>؛ تركاً للمقابلة ولئلا يكون الله عدل أصنامهم لو كان التركيب ولا تخافون الله تعالى؛ وأتى بلفظ ما الموضوعية لما لا يعقل لأن الأصنام لا تعقل إذ هي حجارة وخشب وكواكب».

كما جاء بمصداق منه في آية: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾<sup>(٢٣)</sup> لغرض النفي حيث يقول: «هذا استفهام معناه النفي أي لا أبتغي حكماً غير الله»<sup>(٢٤)</sup>. وكما جاء بمصداق آخر من خروج الاستفهام عن معناه الأصلي في آية: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٢٥)</sup> حيث يقول: «(ما) استفهامية تدل على التوبيخ»<sup>(٢٦)</sup>.

٣\_ إذا أتى المتكلم بمتعدد، وبعده جاء بمتعدد آخر يتعلق كل فرد من أفرادها بفرد

٢٠ - الجارم و الأمين، ١٤٢٤ق، ص ٣٥٠.

٢١ - الأنعام: ٦: ٨١

٢٢ - لم يقل سبحانه و تعالى: "كيف أخاف ما أشركتم و لا تخافون الله" تحاشيا و فرارا عن مساواة الأصنام بالله العليّ القدير و هذا ما سمي في علم البلاغة بـ التحاشي و الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق، راجع أيضاً: فاضلي، ١٣٦٥ش، ص ١٤٢، ديباجي، ١٣٧٦ش، ص ٧٠ و الهاشمي، ١٣٦٨ش، ص ١١٤.

٢٣ - الأنعام: ٦: ١١٤

٢٤ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ٤: ٦٢٧

٢٥ - الأعراف: ٧: ١٢

٢٦ - وقد ذكر موارد كثيرة أخرى لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي و بإمكانك أن تراجع على سبيل المثال الآيات: الأعراف: ٧: ١٩٥، التوبة: ٩: ٧، التوبة: ٩: ١٣، التوبة: ٩: ٣٨، التوبة: ٩: ٦٣ و يوسف: ١٢: ١٠٩ على الترتيب في أندلسي، ١٤٢٠ق، ٥: ٢٥١ و ٥: ٣٧٦ و ٥: ٣٨٢ و ٥: ٤١٩ و ٥: ٤٥١ و ٦: ٣٣٤.

من أفراد السابق بالتفصيل ودون تعيين سُمِّي صنيعه هذا "لَفًا ونشراً" ... وإذا جاء لفُّ المتعدّد مجملاً، فالنشر بعده مجرد بيان تفصيلي للمجمل؛ نحو: ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ فِرْجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾<sup>(٢٧)</sup> جاء اللّفُّ المجمل في عبارة: ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ﴾ خطاباً للمؤمنين حالة الحرب، وبعده جاء النشر المفصل في عبارة ﴿فِرْجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾<sup>(٢٨)</sup> وقد أحسن أبوحيان في تعيين هذا الموضوع في آية: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾<sup>(٢٩)</sup> حيث يقول: «... (أو) هنا للتتويح أي جاء مرة ليلاً كقوم لوط ومرة وقت القيلولة كقوم شعيب وهذا فيه نشر لما لفّ في قوله (فَجَاءَهَا) وخصّ مجيء البأس بهذين الوقتين لأنهما وقتان للسكون والدّعة والاستراحة فمجيء العذاب فيهما أقطع»<sup>(٣٠)</sup>.

٤\_ أحد أغراض تقديم المسند إليه أو المسند أو المفعول أو ... سلوك السبيل الرقي نحو: (هذا الكلام صحيح، فصيح وبلغ) فإذا قلت: «هذا الكلام فصيح وبلغ» لا يحتاج إلى ذكر صحيح بعدها؛ وإذا قلت: «هذا الكلام بليغ» لا يحتاج إلى ذكر (الصحيح) و(الفصيح) بعدها؛ أو مراعاة الترتيب الوجودي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(٣١)</sup> وقد أصاب أبوحيان في تعيين هذا الموضوع في آية: ﴿وَلَتَصْغِي إِلَيْهِ أُفْدَةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾<sup>(٣٢)</sup> حيث يقول: «أي ولتميل إليه؛ الضمير [في (إليه)] يعود على ما عاد عليه في (فعلوه)<sup>(٣٣)</sup> (وليرضوه): وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام. والـ (لام) لام كي وهي معطوفة على قوله (غرورا) لما كان معناه للغرور فهي متعلّقة بـ (يوحى)؛ ونصب (غرورا) لاجتماع شروط النصب فيه، وعدى يوحى إلى هذا باللام لفوت شرط صريح المصدرية واختلاف الفاعل لأنّ فاعل يوحى هو بعضهم وفاعل تصغى هو أُفْدَةٌ، وترتيب هذه

٢٧ - البقرة ٢: ٢٣٩

٢٨ - السكاكي، مفتاح العلوم، ق بديع: ذكر المتعدّات مع ذكر ما يتعلّق بكل واحد منها

٢٩ - الأعراف ٧: ٤

٣٠ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ٥: ١١

٣١ - البقرة ٢: ٢٥٥

٣٢ - الأنعام ٦: ١١٣

٣٣ - في الآية قبلها: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (الأنعام: ١١٢)

المفاعيل في غاية الفصاحة لأنه أولاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل فكأن كل واحد مسبب عما قبله»<sup>(٣٤)</sup>.

٥\_ يُؤتى بالمسند إليه اسم إشارة إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه، أما إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى؛ منها: تعظيم درجته بالقرب كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٣٥)</sup> وقد أحسن أبوحيان في تمييز هذا الغرض في آية: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣٦)</sup> حيث يقول: «لما تقدم قولهم: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلُهُ﴾<sup>(٣٧)</sup> وكان من قولهم: إنه افتراه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي: ما صح، ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى. والإشارة بـ (هذا) فيها تفخيم المشار إليه وتعظيمه»<sup>(٣٨)</sup>. وكثيراً ما يشار إلى المسند إليه القريب بإشارة البعيد تعظيماً لدرجته بالبعد كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣٩)</sup> وكذلك قد أصاب أبوحيان في تعيين هذه الصنعة في آية: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...﴾<sup>(٤٠)</sup> حيث يقول: «... يحتل أن تكون أشارت إليه وهو للبعد قريب بلفظ البعيد رفعا لمنزلته في الحسن، واستبعادا لمحلّه فيه، وأنه لغرابته بعيد أن يوجد منه. واسم الإشارة تضمن الأوصاف السابقة فيه كأنه قيل: الذي قطعتن أيديكن بسببه وأكبرتنه وقتلتن فيه ما قتلتن من نفي البشرية عنه وإثبات الملكية له، هو الذي لمتنني فيه أي: في محبته وشغفي به»<sup>(٤١)</sup>.

٦\_ باب التغليب باب واسع يجري في كل فن؛ قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أدخل شعيب

٣٤ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٤/٢٦٦

٣٥ - الإسراء ١٧/٩

٣٦ - يونس ١٠/٣٧

٣٧ - يونس ١٠/١٥

٣٨ - في ضوء دراسة لآراء أبي حيان البلاغية

٣٩ - البقرة ٢/٢

٤٠ - يوسف ١٢/٣٢

٤١ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٦/٢٧٢

في ﴿لَتَعُوذَنَّ فِي مَلَّتِنَا﴾ بحكم التغليب وإلا فما كان شعيب في ملتهم كافراً مثلهم فإن الأنبياء معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر<sup>(٤٢)</sup>. ويؤيد أبوحيان هذا الموضوع بعينه حيث يقول: «أَوْ لَتَعُوذَنَّ إِذْ صَارَ فَعَلًا مَسْنَدًا إِلَى شَعِيبٍ وَأَتْبَاعِهِ وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنْ شَعِيبًا كَانَ فِي مَلَّتِهِمْ وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي يَشْكَلُ لِأَنَّ شَعِيبًا لَمْ يَكُنْ فِي مَلَّتِهِمْ قَطُّ لَكِنْ أَتْبَاعُهُ كَانُوا فِيهَا، وَأَجِيبُ عَنْ هَذَا بِوَجْهِهِ أَحَدُهَا: ... أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ تَغْلِيْبِ حُكْمِ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْوَاحِدِ لَمَّا عَطَفُوا أَتْبَاعَهُ عَلَى ضَمِيرِهِ فِي الْإِخْرَاجِ سَحَبُوا عَلَيْهِ حُكْمَهُمْ فِي الْعُودِ وَإِنْ كَانَ شَعِيبٌ بَرِيئًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَتْبَاعُهُ قَبْلَ الْإِيمَانِ»<sup>(٤٣)</sup>. وقد أحسن في تطبيق هذه الصنعة في آية: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾<sup>(٤٤)</sup> حيث يقول: «في ندائه باسمه [يوسف] تقريب له وتلطيف،... ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله: لذنبك، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل من الخاطئات، لأن الخاطئين أعم، لأنه ينطلق على الذكور والإناث بالتغليب»<sup>(٤٥)</sup>.

٧\_ وقد أحسن أبوحيان في تعيين عدة من الصنائع البلاغية في آية واحدة مع أنه لا ينسب هذا التعيين إلى نفسه، حيث نقرأ في تفسيره لآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٤٦)</sup> يقول: «[فيها] حسن الافتتاح لأنها افتتحت بأجل أسماء الله تعالى، وتكرار اسمه في ثمانية عشر موضعاً، وتكرير الصفات، والقطع للجمل بعضها عن بعض، ولم يصلها بحرف العطف. والطباق في قوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فإن النوم موت وغفلة؛ والحي القيوم يناقضه؛ وفي قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [طباق أيضاً]. والتشبيه: في قراءة من قرأ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي كوسع، فإن كان الكرسي جرماً فتشبيهه محسوس بمحسوس، أو معنى فتشبيهه معقول

٤٢ - السكاكي، اول فصل بعد الفن الثالث

٤٣ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ١١٢/٥

٤٤ - يوسف ١٢/٢٩

٤٥ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٢٦٢/٦

٤٦ - البقرة ٢٥٥/٢

بمحسوس»<sup>(٤٧)</sup>. ونقرأ في تفسيره لآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤٨)</sup> أنه يشير إلى عدّة أخرى من الصنائع البلاغية، حيث يقول: «[فيها] معدول الخطاب في ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إذا كان المعنى لا تکرهوا على الدين أحداً. والطباق: أيضا في قوله ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ وفي قوله (آمنوا) و(كفروا) وفي قوله ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. والتكرار: في الإخراج لتباين تعليقيهما... ثم ذكر أنّ من كفر بالطاغوت وآمن بالله فهو مستمسك بالعروة الوثقى، عروة الإيمان، ووصفها بالوثقى لكونها لا تنقطع ولا تنفصم، واستعار للإيمان عروة<sup>(٤٩)</sup> إجراء للمعقول مجرى المحسوس»<sup>(٥٠)</sup>. يعين أبو حيان خمسة أنواع من الصنائع البلاغية في الآية الأولى وأربعة في الثانية.

٨\_ يُؤتى بالمضاف معرفًا بالإضافة إلى شيء من المعارف لأغراض كثيرة؛ منها التعظيم للمضاف إليه نحو: (السلطان صديقي). وقد عرف أبو حيان هذا الموضوع في آية: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٥١)</sup>، حيث يقول: «أضاف الربّ إلى كاف الخطاب تشريفاً للرسول صلّى الله عليه وسلّم باختصاص الإضافة، وإعراضاً عنهم، إذ لم يصف إليهم»<sup>(٥٢)</sup>.

٩\_ المبالغة هي أن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدّة أو الضعف حدًا مستبعداً أو مستحيلًا؛ وأنواعه "التبليغ" و"الإغراق" و"الغلو". وقد أحسن أبو حيان في تمييز هذه الصنعة البديعية في آية: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾<sup>(٥٣)</sup>، حيث يقول: «والذي يظهر أنّ زوال الجبال مجاز ضرب مثلاً لمكر قريش، وعظمه والجبال لا تزول، وهذا من باب الغلوّ والإيغال

٤٧ - في ضوء دراسة لآراء أبي حيان البلاغية

٤٨ - البقرة: ٢: ٢٥٦

٤٩ - استعارة تصريحية.

٥٠ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ٢: ٦٢٠

٥١ - الحل: ١٦: ١٠٢

٥٢ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ٦: ٥٩٤

٥٣ - إبراهيم: ١٤: ٤٦

والمبالغة في ذمّ مكرهم»<sup>(٥٤)</sup>.

١٠\_ كيف يمكن ألا يعرف علم البيان من يأتي بكلام جميل ورسين عن وقوع المسؤول عنه بعد همزة الاستفهام في آية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٥٥)</sup> ومقتضاها البلاغي؟! حيث يقول: «تقديم المفعول هنا بعد الهمزة يدل على الإنكار عليهم دعاء الأصنام إذ لا ينكر الدعاء إنّما ينكر أنّ الأصنام تدعى كما تقول: "أزيداً تضرب" لا تنكر الضرب ولكن تنكر أن يكون محلّه زيداً... وهذه الآية عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب وهو أن يلين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطّف والتعطف حتى يوقع المخاطب في أمر يعترف به فتقوم الحجّة عليه، والله تعالى خاطب هؤلاء الكفار بلين من القول وذكر لهم أمراً لا ينازعون فيه وهو أنّهم كانوا إذا مسّهم الضرّ دعوا الله لا غيره وجواب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ محذوف تقديره إن كنتم صادقين في دعوكم أن غير الله إله فهل تدعونّه لكشف ما يحلّ بكم من العذاب؟»<sup>(٥٦)</sup>

والآن نشير إلى ملاحظات بلاغية أخرى من قبل أبي حيان؛ دون أيّ شرح رعاية لإيجاز:

إنّه يعتقد أنّ الآيات السابعة والثمانين إلى الثانية والتسعين<sup>(٥٧)</sup> من سورة النساء تتضمّن أنواعاً من الصناعات البلاغية، حيث يشير إلى: التتميم في: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ والاستفهام بمعنى الإنكار في: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ وفي: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾ والطباق في: ﴿أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ والتجنيس المماثل في: ﴿لَوْ تَكَفَرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾، وفي: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ وفي: ﴿أَنْ يُقَاتِلُكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا﴾، وفي: ﴿أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا﴾ وفي: ﴿خَطَأً وَخَطَأً﴾ والاستعارة في: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ وفي: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾، وفي: ﴿فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾ وفي: ﴿سَبِيلًا﴾ و﴿كَلِمًا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ﴾. والاعتراض في: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ والتكرار في مواضع.

٥٤ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ٦: ٤٥٥

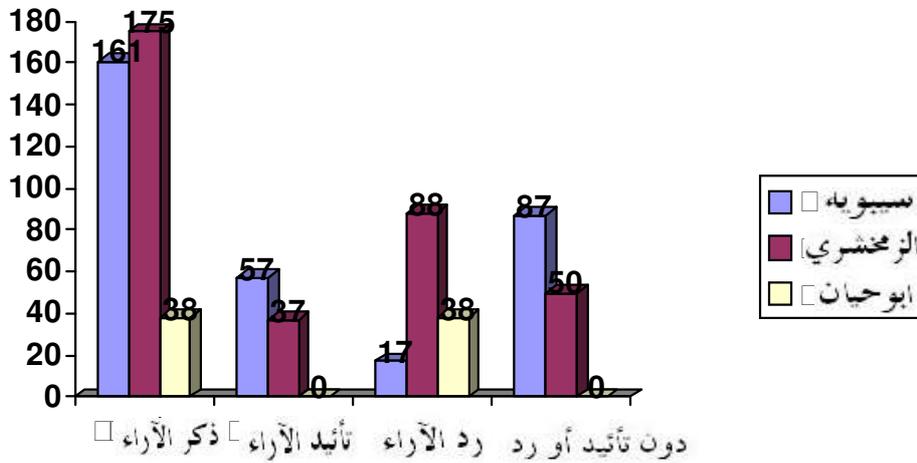
٥٥ - الأنعام ٦: ٤٠

٥٦ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ٤: ٥١١

٥٧ - لا تأتي بالآيات المباركة بأجمعها للاختصار فعليكم أن تراجعوا إلى القرآن الكريم.

## موقف ابن هشام من أبي حيان وموقفه من الآخرين

إنّ المقارنة بين موقف ابن هشام من أبي حيان وموقفه من الآخرين تدلّ دلالة واضحة على أنه كان يقف دائماً موقفاً سلبياً تجاه أبي حيان، خلافاً لرأيه في الآخرين. فالقسم الأول من الجدول التالي يشير إلى كمية ذكر اسم سيبيويه، الزمخشري وأبي-حيان في مغني اللبيب دون ابداء رأي من جانب ابن هشام في صحة آرائهم أو سقمها؛ والقسم الثاني من الجدول يبيّن كمية تأييد آراء كلّ من هؤلاء الثلاثة من جانب ابن هشام وموقفه السلبي إزاء أبي حيان؛ والقسم الثالث من الجدول يشير إلى كمية ردّ آراء هؤلاء من جانب ابن هشام؛ وفي القسم الأخير نرى الآراء التي طرحت وما اتخذ ابن هشام إزاءها موضعاً:



كما يشاهد من الجدول أنّ ابن هشام يخالف آراء أبي حيان وشخصيته مخالفة شديدة، فكلمًا يذكر اسمه يقصد مخالفة آرائه وتخطئته. فلا يوجد في كتاب مغني اللبيب، رأي واحد لأبي حيان مؤيد من جانب ابن هشام أو على الأقل دون مخالفة مؤكدة منه عليه.

## النتيجة

إنّ ابن هشام الأنصاري يجلّ بعض النحويين مثل سيبويه إجلالاً بليغاً، ويكون مقتصداً ومحافظةً لبعضهم الآخر في الاستحسان والردّ على آرائهم من مثل الزمخشري. ولكن ، ومن العجب، مع أنّه تعلّم لدى أبي حيان وقرأ عليه لأنّه كان تلميذاً له، إلا أنّه ينظر إليه بنظارة سوداء، يخطئه دائماً ويتهمه بأنّه لا يعرف علم البيان، وما أيّده حتى لمرة واحدة. ولاشك في أنّ أباحيان، ومع أنّه ليس في عداد البلاغيين، وإلا أنّ آراءه المختلفة في البلاغة؛ كما جاء قليل منها في هذه المقالة، تدلّ دلالة واضحة على أنّه كان يعرف علوم البلاغة حق المعرفة، فأجاد كما لاحظنا في تطبيقها على كثير من آيات القرآن الكريم في تفسيره "البحر المحيط". وعلى هذا فإنّ حكم ابن هشام عليه في عدم معرفته هذا العلم لا يخلو من القسوة والجور عليه.

## قائمة المصادر:

- ١\_ القرآن الكريم
- ٢\_ ابن الأثير، ضياء الدين، (د.ت) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة، دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- ٣\_ ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، (١٤٢٢ق) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دارالكتب العلميّة، ط١.
- ٤\_ ابن هشام الأنصاري، (١٣٧١هـ ش) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، قم، مطبعة مكتبة سيّد الشهداء، ط٢.
- ٥\_ \_\_\_\_\_، (١٤١٩هـ ق) المسائل السفرية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢.
- ٦\_ أبو حيان الأندلسي، أثير الدين، (١٤١٧هـ ق) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وتعليق دكتور مصطفى أحمد النماس، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢.
- ٧\_ \_\_\_\_\_، أثير الدين، (١٤٢٠هـ ق) البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الفكر، ط٢.
- ٨\_ البغوي، حسين بن مسعود (١٤٢٠ق)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

- ٩\_ الجارم، علي وأمين، مصطفى (١٤٢٤هـ ق) البلاغة الواضحة، دمشق، دار  
النعمان للعلوم، ط١.
- ١٠\_ الجرجاني، عبد الفاهر، (١٤٢٣هـ ق) أسرار البلاغة في علم البيان، بيروت،  
دار الفكر، ط١.
- ١١\_ حسيني دشتي، سيّد مصطفى، (١٣٨٥هـ ش) معارف ومعاريف، دائرة  
المعارف جامع اسلامي، تهران، مطبعة صنعة شرق، ط١.
- ١٢\_ الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين، (دون تا)، الإيضاح في علوم  
البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ١٣\_ درويش، محيي الدين، (١٤١٥هـ ق) إعراب القرآن وبيانه، سوريه،  
دارالإرشاد، ط٤.
- ١٤\_ دعاس، أحمد عبيد، (١٤٢٥ق) إعراب القرآن الكريم، دمشق، دارالمنير  
ودارالفارابي، ط١.
- ١٥\_ ديباجي، سيّد ابراهيم، (١٣٧٦ش) بداية البلاغة، تهران، سازمان سمت  
انتشارات مهر قم، ج١.
- ١٦\_ الزمخشري، محمود، (١٤٠٧ق)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار  
الكتاب العربي، بيروت، ط٣.
- ١٧\_ الشوكاني، (١٣٤٨هـ ق)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة،  
طبع سعادت، ط٤.
- ١٨\_ الشيباني، محمّد بن حسن، (١٤١٣ق)، نهج البيان عن كشف معاني القرآن،  
تحقيق حسين درگاهي، دائرة المعارف الإسلامية، تهران، ط١.
- ١٩\_ الصافي، محمود بن عبد الرحيم، (١٤١٨ق)، الجدول في إعراب القرآن،  
دمشق، بيروت، دار الرّشيد مؤسسة الإيمان، ط٤.
- ٢٠\_ الصّدي، صلاح الدّين خليل بن أبيك، (١٣٨٩هـ ق) الوافي بالوفيات، بيروت،  
دارالنشر، ط٤.
- ٢١\_ العكبري، عبد الله بن حسين، (دون تا)، التبيان في إعراب القرآن، عمّان،  
رياض، بيت الأفكار الدوليّة، ط١.
- ٢٢- فاتحي نژاد، عنايت اله، (١٣٨٥) دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ج٥.

- ٢٣\_ فاضلى، محمد، (١٣٦٥ش)، دراسة و نقد في مسائل بلاغية هامة، مشهد، چاپ خانه دانشگاه فردوسى مشهد، ج ١.
- ٢٤\_ الكتبي، محمد بن شاکر، (١٩٧٣م) فوات الوفيات، تحقيق دكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط٤.
- ٢٥\_ محمد الأسعد، عبدالكريم، (١٤١٣هـ ق)، الوسيط في تاريخ النحو العربي، رياض، دار الشفوف، ط١.
- ٢٦\_ الميداني، عبد الرحمان حسن حبنكة، (١٤١٦هـ ق)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق دارالقلم، بيروت دار الشافية، ط١.
- ٢٧- ميرلوحى، سيد علي، واحمدى، محمد نبى، (١٣٨٨)، مكانة النحويين في كتاب مغني اللبيب، مجلة "الجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها" ع ١١.
- ٢٨\_ هاشمى، احمد، (١٣٦٨ش)، جواهر البلاغة، قم، مؤسسه مطبوعات دينى، ج ٣.



## الظواهر الصوتية عند سيبويه

د. إبراهيم محمد البب\*

### المُلخَص

يتناول هذا البحث عدداً من الظواهر الصوتية التي وقف عليها سيبويه في الكتاب، وهي ظواهر تتأرجح بين الصوت والسياق، إلا أن تصنيفها صوتياً أقرب من تصنيفها سياقياً. وتضم الظواهر التالية:

ظاهرة الوقف: وقد بيّننا فيه أسسه، وقوانينه، وقواعده، وأنواعه عند سيبويه. سواءً أكان ذلك بزيادة حرف أم بغير زيادة؛ ومع أحرف العلة أم مع غيرها من الأحرف الصامتة. ظاهرة الإمالة: وقد تمّ تصنيفها بناءً على معطيات سيبويه إلى: مطّردة وشاذة. ثمّ بيّننا مواضعها في الكلام وصلتها بحروف العلة من جهة، وبحرف الراء في العربية من جهة أخرى. وقد خصصناه بالحديث لأنه تمتع معه الإمالة في مواضع، وتطرّد معه في مواضع أخرى، وذلك وفقاً لقوانين صوتية محدّدة في الكتاب.

ظاهرتا الإعلال والإبدال: وهما من الظواهر الصوتية المهمة في تراثنا اللغويّ نحوياً كان أم غير نحويّ. وقد وقفنا فيهما على أنواع الإعلال المختصّ بأحرف العلة (الألف ، والواو، والياء). ثمّ وضّحنا الفرق بينه وبين الإبدال الذي تعدّدت حروفه، واختلّفت أشكاله عند سيبويه. ظاهرتا المماثلة والمخالفة: وهما ظاهرتان صوتيتان لهما أسسهما وقوانينهما الخاصة. ولكنّ سيبويه لم يفرّد لأيّ منهما عنواناً خاصاً، وإنّما درسهما تحت عنوان الإبدال. فتناول المماثلة الكليّة والجزئية كلّاً بنوعيه: التقدّمّي والرجعيّ. كما تناول المخالفة، والفرق بينها وبين المماثلة، فرأى أنّ ما تماثل من الحروف هو أكثر بكثير ممّا تخالف منها في الكلمة الواحدة. وأخيراً بيّننا في الخاتمة مجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث.

كلمات مفتاحية: الأصوات، الظواهر الصوتية، سيبويه .

### المقدّمة:

يعدّ كتاب سيبويه المصدر الأوّل للباحثين اللغويين والمرجع الفصل في قضايا

\* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية.

العربية بشكل عام. وهو أيضاً مكتبة لغوية شاملة. ضمَّ إلى جانب النحو والصرف كثيراً من المسائل المتعلقة بالشعر، والأمثال، واللهجات، والأصوات وغيرها. وقد تناول مؤلفه جُلَّ قضاياها تناولاً وصفيّاً دقيقاً، إذ كان يذكر القضية ثم يبيِّن كيف تُعامل رسماً ولفظاً، من خلال الإكثار من الأمثلة التي تساعد على فهم ما يريده. ولم يكن الذين جاؤوا بعده مختلفين عنه كثيراً في تناولهم للنحو والصرف. لأنَّ جُلَّهم بقي يدور في فلكه شارحاً عبارته كما هي حيناً، ومضيفاً إليها ما يُعين على إيضاحها حيناً آخر. ولكن مدار الخلاف بينه وبينهم يكمن في قضايا اللغة، ولاسيما الظواهر الصوتية منها. فقد تناولها تناولاً بعيداً عن التَّبويب أو المنهج في جُلِّ أماكنه. فجاءت مبنوثة متناثرة تحت عناوينها حيناً، وتحت عناوين مختلفة حيناً آخر. ولا غرابة في ذلك، لأنَّ الكتاب كما هو معروف يفتقر إلى منهج تصنيفيٍّ يعين القارئ على الوصول إلى ما يريده. وسيقف البحث عند تلك الظواهر المتناثرة، محاولاً رصدها وتبويبها وتقعدها تقعيداً منسجماً مع دارسها المعاصرين. مجملاً هذا الوقوف عند الظواهر التالية: الوقف، والإمالة، والإعلال، والإبدال، والمخالفة، والمماثلة. تلك الظواهر التي لم تحظ كثيراً باهتمام الباحثين.

### منهج البحث:

من يقرأ كتاب سيبويه يدرك من الصفحات الأولى أن لبساً ما يعتريه، ولا سيما الظواهر الصوتية فيه. ولا يعود هذا اللبس إلى حجم المادة ووفرته، وإنما إلى التصنيف والمنهج والتَّبويب والترتيب. فمنهج الكتاب يبقى لُغزاً عصياً على الإدراك، ومصطلحاته عسيرة المنال مفتوحة الدلالة. فأحياناً يصرِّح بالظاهرة الصوتية، وأحياناً يتركها على إطلاقها. لكنَّ ظواهره متنوعة اللهجات، متعدِّدة التَّمثيل. وبناء على المادة المدروسة فسوف يكون المنهج الوصفيُّ هو المتوخى. محاولين في بحثنا تصنيف المادة، وتبويبها، وإدراجها ضمن قواعد ميسرة تمكِّن من العودة إليها والإفادة منها. ونظراً لطبيعة المادة في الكتاب فإنَّ الإحالات ستكون أحياناً إجمالية، لأنَّ سيبويه كان يستطرد كثيراً في كلامه. إذ كان يتحدث عنها في مكان ما، وتحت عنوانٍ محدّد؛ ثمَّ

يعود إلى الحديث عنها في مكان آخر لا صلة لعنوانه بها. وقد يتحدث عن حرف ما في أبواب مختلفة، ومواضع متباينة.

### أولاً - ظاهرة الوقف :

يقع المقطع الأخير من المصراع، أو من البيت الشعري، أو من الجملة النثرية، أو من جزء منها موقعاً خاصاً يدعى "الوقف". وهو مما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف<sup>(١)</sup>. وقد درس سيبويه هذه الظاهرة دراسة مطوّلة ومنتشعبة، وجعلها ضمن دراساته الصوتية والصرفية والنحوية خالية من الترتيب والترتيب، فجاءت في أجزاء الكتاب في الأبواب التي عقدها لهذه الظاهرة، وفي أبواب أخرى، ليس المقصود منها شيئاً من الوقف. ويمكن أن نميز نوعين من الوقف عنده:

### أ - الوقف بزيادة صوت :

١- زيادة الهاء: تزداد الهاء التي يسميها سيبويه "هاء السكت" في آخر الكلمة عند الوقف، ويُراد من هذه الزيادة إثبات حركة الحرف المتحرك في آخر الكلمة. ويكون ذلك في الفعل المعتل الآخر، نحو: ارمه، ولم يغزّه، واخشه، ولم يقضه، وفي اللفيف المفروق، نحو: إن تع أعه، ولا تعه؛ وذلك لذهاب حرفين منه. وقد تبدل حركة عين الفعل فتقلب كسرة، نحو: ادعه من دعا يدعو؛ وذلك لتوهم بعض العرب أن حركة العين ساكنة في موضع الجزم، وهي لغة رديئة وغلط<sup>(٢)</sup>. وتزداد الهاء أيضاً بعد نون المثني والجمع والتوكيد، نحو: هما ضاربانيه، وهم قاتلونه، وضربتته، وذهبتته؛ كي لا يلتقي ساكنان عند الوقف. وتزداد بعد الميم في قولهم: ثمة، وهلمه. كما تزداد فيما انتهى بحرف قبله ساكن، نحو: كيفه، وليته، ولعله، وانطلقته في: انطلقت، وإنه في: إن<sup>(٣)</sup>.

وتزداد الهاء لبيان حركة الحرف الأخير وإن تحرك ما قبله، نحو: هذا غلاميه، وجاء

١- انظر شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبّي القاهرة، ٩: ٦٧.

٢- انظر: الكتاب لسبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، ٤: ١٥٩، ١٦٠ وهذه الهاءات للوقف وليست ضمائر.

٣- نفسه ٤: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

من بعدية، وإنه ضرب بنية، وهية في هي، وهوة في هو، وخذه بحكمكة .  
وتزاد الهاء لتدل على حرف محذوف، نحو علامة، وفيمة، ولمة، وبمة، وحتامة؛  
في: علام وفيم ولم وبم وحتام الاستفهامية<sup>(٤)</sup>.

وتزاد الهاء بعد الألف الخفية لبيانها، نحو هؤلاء، وهناك. وبعد ألف الندبة ويائها  
وواوها؛ لأن ذلك موضع تصويت وتبيين كما يقول سيبويه، نحو: يا غلاماً،  
وواغلامه<sup>(٥)</sup>.

وتزاد في الوقف على المنادى المرخم لتدل على المحذوف، كالترخيم في: يا سلمة،  
ويا طلحة<sup>(٦)</sup>. والترخيم في خمسة عشر، إذ نبين الهاء في الوقف فنقول يا خمسة<sup>(٧)</sup>.

وقد تكون هذه الهاء بدلاً من التاء التي تلحق الاسم للتأنيث؛ فإن وصل هذا الاسم  
كانت علامة التأنيث فيه التاء، وإن وقف عليه لحقته الهاء، نحو: هذه تمرّة وطلحة. أما  
إذا لم تكن التاء للتأنيث فإنه لا يوقف بالهاء، كالتاء الملحقة في أخت وبنات<sup>(٨)</sup>.

## ٢- الوقف بزيادة غير الهاء : ويكون بزيادة الألف في حالة النصب في الوقف

على التنوين، كي لا يلتبس التنوين بالنون، نحو: رأيت زيدا<sup>(٩)</sup>، وكزيادتها في نحو  
قول العرب: حيّلا في حيّهل، فإذا وصلوا قالوا: حيّهل بعمر<sup>(١٠)</sup>. ويكون أيضاً بمد  
الحركة وإشباعها كقولهم: أنا، إذ الأصل كما يرى سيبويه هو "أن"<sup>(١١)</sup>.

ومن العرب من يلحق السين بضمير الكاف المتصل الذي يدل على المؤنث، فيقول:  
أعطيتكس، وأكرمكس، في الوقف على أعطيتك وأكرمك، وبعضهم يلحق الشين،  
فيقول: أعطيتكش، وأكرمكش في أعطيتك وأكرمك. وهناك من يلحق بهذه الكاف ألفاً

٤- نفسه ٤: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

٥- الكتاب ٤: ١٦٥ - ١٦٦ .

٦- انظر: الكتاب ٢: ٢٤٢ .

٧- نفسه ٢: ٢٦٨ .

٨- الكتاب ١٦٦: ٤.

٩- الكتاب ١٦٦: ٤.

١٠- نفسه، ١٦٣: ٤-١٦٤.

١١- نفسه .

في المذكر، وياء في المؤنث؛ وذلك إذا وقعت بعد هذه الكاف هاء الإضمار، فيقول: أُعْطِيكَاهُ، وأُعْطِيكَاهَا في الوقف على أُعْطِيكَهُ وأُعْطِيكَهَا، وأُعْطِيكَِيهَا، وأُعْطِيكَِيهِ في الوقف على أُعْطِيكَهَا وأُعْطِيكَِيهِ. ويروي سيبويه عن الخليل أن هناك من يقول: ضَرَبْتِيهِ في ضَرَبْتِيهِ، وهو قليل<sup>(١٢)</sup>.

### ب - الوقف بغير زيادة :

١- الوقف على آخر الكلمة المتحركة في الوصل<sup>(١٣)</sup>: ويكون ذلك بأربعة أوجه:

أ- الإشمام: "... وهو تهيئة العضو للنطق بالضم من غير تصويت، وذلك بأن تَضُمَّ شفتيك بعد الإسكان، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج منه النفس، فيراهما المخاطب مضمومتين..."<sup>(١٤)</sup>، فيعلم أن المراد بضمهما هو الحركة. وعلامته نقطة فوق الحرف، نحو: هذا خالدٌ، وهذا فرجٌ، وهو يجعلُ، ولا يكون الإشمام إلا في المرفوع بالضمِّ، أما النصب والجر فلا إشمام فيهما.

ب - الرّوم: وهو صوت ضعيف نروم به الحركة، ونختلسها اختلاصاً، ولا نتمُّها. وعلامته خطٌّ بين يدي الحرف<sup>(١٥)</sup>، ويكون في الرفع والنصب والجر، نحو: هذا عُمَرُ، ورأيت الحارثَ، ومررت بخالدُ.

ت - التّسكين أو عدم الإشمام: وهو الذي يسمّيه سيبويه ما أُجري مجرى الساكن والمجزوم، وهو الأصل في الوقف والأغلب والأكثر استخداماً. والمراد به سلب حركة الحرف، وعلامته خاء فوق الحرف الذي نقف عليه<sup>(١٦)</sup>. ويكون في الرفع والنصب والجر، نحو: هو يجعلُ، ورأيت الحارثَ، ومررت بخالدُ.

ث - التّضعيف: ويُراد به تّضعيف الحرف الموقوف عليه؛ بزيادته حرفاً مثله، فيصير كالإدغام. وهذا التّضعيف من زيادات الوقف؛ لأنه يُحرِّك عند وصل

١٢ - انظر: الكتاب ١٩٩:٤-٢٠٠.

١٣ - انظر: الكتاب ١٦٨:٤-١٧٢. والمقصود بذلك الوقف على الحرف الذي يحمل حركة إعرابية .

١٤ - شرح المفصل، ٦٧:٩.

١٥ - نفسه، ٦٧:٩-٦٨.

١٦ - نفسه .

الكلام<sup>(١٧)</sup>. وعلامته الشين فوق الحرف المضعف، ويكون في الرفع والنصب والجر، نحو: هذا فرجٌ، ورأيتُ أحمدٌ، ومررتُ بخالدٌ، ولا يقع التضعيف فيما كان قبله حرفٌ ساكنٌ، نحو: عمروٌ، وزيدٌ. وقد جعل سيبويه الخاء لما أُجري مجرى الساكن أو المجزوم؛ لأنها أول كلمة خفيف، فدلَّ بها على السكون لأنه تخفيف، وجعل حرف الشين للتضعيف؛ لأنه أول كلمة شديد، فدلَّ به عليه لأنه مشدد، وجعل النقطة للإشمام، والخط للروم؛ لأنَّ الإشمام أضعف من الروم والنقطة أنقص من الخط<sup>(١٨)</sup>. وأظنَّ أنَّ هذه الحروف التي جُعِلت ضوابط فوق الحرف دليل على كميَّة الهواء المحبوس في الرتَّتين.

٢- **الوقف على الهمزة:** إذا كان الحرف مهموزاً مسبقاً بساكنٍ وقِفَ عليه بالإشمام أو بالروم أو بالسكون والجزم، نحو: هو الخبُّ ءٌ والخبُّ ءٌ والخبُّ ءٌ. ويوقف عليه أيضاً بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها، نحو: هو الوثُو، ومن الوثِي، ورأيتُ الوثَا، وهو البُطُو، ومن البُطِي، ورأيتُ البُطَا<sup>(١٩)</sup>. وبعض العرب يحذف الهمزة في الوقف ولا يحققها؛ بل يجعلها واواً أو ياءاً أو ألفاً، نحو: هذا هو الكَلُو، ورأيتُ الكَلَا، ومن الكَلِي<sup>(٢٠)</sup>. والوقف على الهمزة ممَّا يحمل حركة إعرابية.

٣- **الوقف بنقل الحركة:** ويكون فيما حمل حركة إعرابية وفي غيره: فإذا كان قبل آخر حرف في الكلمة حرفٌ ساكنٌ نقلنا حركة الحرف الأخير إليه وسكناه، كي لا يلتقي ساكنان، ويكون ذلك في الرفع والجر فقط، نحو: هذا بَكْرٌ، ومن بَكْرٌ، ولا يكون في المنصوب، إذ لم يقولوا: رأيتُ البَكْرَ<sup>(٢١)</sup>. وقد يكون هذا النقل بإتباع الحركة، كقولهم: هذا عدلٌ وفيلٌ في "عدلٌ وفيلٌ"، أتبعوا حركة الحرف قبل الأخير (ذ، س) حركة الحرف الأول (ع، ف)؛ لأنه ليس في كلامهم فَعْل. وكذلك قالوا من البُطُو لأنه

١٧ - نفسه .

١٨ - انظر: شرح المفصل ٩: ٦٧، ٦٨ ...

١٩ - انظر: الكتاب ١٧٧: ٤ .

٢٠ - نفسه ٤: ١٧٩ .

٢١ - الكتاب ٤: ١٧٣ .

ليس في الأسماء وزن فُعل، وقياس ذلك كله: هذا عدلٌ، وفِسلٌ، ومنَ البُطئِ<sup>(٢٢)</sup>.  
ومما يوقف عليه بنقل الحركة باب سماء سيبويه "باب الساكن، الذي تحركه في الوقف، إذا كان بعده هاء المذكر، الذي هو علامة الإضمار، ليكون أبين لها كما أردت ذلك في الهمزة"<sup>(٢٣)</sup>، نحو: ضَرَبْتُهُ، واضْرِبُهُ، وَقَدَّهُ، وَمَنْهُ فِي ضَرَبْتُهُ، واضْرِبُهُ، وَقَدَّهُ، وَمِنْهُ. حيث حُرِّك الساكن بالقاء حركة الهاء عليه. ويقول بعض بني عدي في ضَرَبْتُهُ وَأَخَذْتُهُ: قَدْ ضَرَبْتَهُ، وَأَخَذْتَهُ، بتسكين الهاء وتحريك ما قبلها كي لا يلتقي ساكنان.

#### ٤- الوقف على حروف المد واللين إن كانت حروف إعراب أو لم تكن :

إن الواو والياء والألف حروف غير مهموسة، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، فلا يصح أن نضمها بالشفة أو اللسان أو الحلق بل نجعل الصوت يهوي معها حتى ينقطع آخره في مخرج الهمزة .

ولكن هذه الحروف ليست على استقرارها وأطرادها بهذا الشكل لدى جميع العرب، فقد يوقف عليها بإبدال حرف منها مكان آخر كقولهم في أفعى: هذه أفعى، وفي حبلئى: هذه حبلئى، وهي لغة قليلة الاستعمال تكلمت بها قبيلتنا فزارة وقيس، والصواب فيها كما يرى سيبويه أن تترك الألف في الوقف ولا تبدلها ياءً، وبعض العرب يقول أفعو بإبدالها واواً لأنها أبين من الياء<sup>(٢٤)</sup>.

وهناك من يجعل الجيم مكان الياء في الوقف؛ لأن الياء حرف خفي، والجيم حرف أبين منه، نحو: هذا تميمج في تميمي، وعلج في علي<sup>(٢٥)</sup>، وسعدج في سعدي<sup>(٢٦)</sup>.

وتحذف من آخر الأسماء - عند الوقف - الياء المحذوفة في الوصل، نحو: هذا قاضٍ وغازٍ في قاضٍ وغازٍ. وتحذف الياء أيضاً في الفواصل والقوافي<sup>(٢٧)</sup>، كقوله

٢٢- نفسه ٤: ١٧٣، ١٧٧.

٢٣- نفسه ٤: ١٧٩. وانظر أيضاً ص ١٨٠، ١٨١.

٢٤- انظر: الكتاب، ٤: ١٨١، ١٨٢.

٢٥- نفسه ٤: ١٨٢.

٢٦- نفسه، ٢: ٤٢٢.

٢٧- انظر: الكتاب، ٤: ١٨٥.

تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ»<sup>(٢٨)</sup>، و«مَا كُنَّا نَبْعِغِ»<sup>(٢٩)</sup>، و«يَوْمَ التَّنَادِ»<sup>(٣٠)</sup>. والمقصود بالفواصل رؤوس الآيات، ومقاطع الكلام .

وتحذف الياء أيضاً إذا لم تكن محذوفة في الوصل ولا يلحق بها التتوين، نحو: هذا غلامٌ في غلامي، وقد أسقان في أسقاني عند الوقف<sup>(٣١)</sup>. وترك الحذف في كل هذا أكثر قياساً واطراداً .

ولا تحذف هذه الياء إذا كانت في اسم منقوص منصوب أو في فعل نحو رأيت قاضياً، ولا أفضي، وهو يغزو، ويرمي، ولكنهم قالوا لا أدُرِ بالحذف عند الوقف؛ لأنه كثر في كلامهم<sup>(٣٢)</sup>.

ويمتنع حذف هذه الياء إذا كان قبلها ساكن، نحو: هذا قاضيٌّ، وهذان غلاماي، ورأيت غلامِي، وإذا لم تكن في الوقف نحو: هذا غلامي فاعلم. ولا تحذف الألف التي تذهب في الوصل نحو: رُضًا، ونُهَا<sup>(٣٣)</sup>.

#### ٥- الوقف على بعض الحروف الخاصة<sup>(٣٤)</sup>:

وهي حروف القلقل، والحروف المهموسة، والحروف المشربة كما يسميها سيبويه. ويكون الوقف عليها إما بالضغط، وإما بالنفخة. أما الضغط فيكون مع حروف القلقل (ق، ط، ب، ج، د) فالوقوف معها لا يكون إلا بالصُّوْبِ لشدة ضغط الحرف، نحو: الحذِقْ. وأما النفخة فتكون مع الحروف المهموسة كلّها، ومع الحروف (ز، ظ، ذ، ض) المشربة. فإذا وقفنا عندها خرجت معها نفخة، ولم تُضَغَطْ كالحروف السابقة، وينسل آخر الصوت من بين الثنانيا فيجد منفذاً له نحو: هذا نَشْرُ، وهذا خَفُضُ. وهناك حروف لا يسمع معها التصويت، ولا تجد منفذاً لها من بين الثنانيا، وهي

٢٨- الفجر ٤

٢٩- الكهف ٦٤

٣٠- غافر ٣٢

٣١ نفسه ٤: ١٨٦.

٣٢ نفسه ٤: ١٨٤.

٣٣- انظر: الكتاب ٤: ١٨٧.

٣٤- انظر: الكتاب ١٧٤: ٤ وما بعدها.

(ل، ن، م، ع، غ، ء). ويقول فيها سيوييه: "ومنها حروف مُشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئاً مما ذكرنا؛ لأنها لم تُضغَطْ ضغط القاف، ولا تجد منفذاً كما وُجِدَ في الحروف الأربعة..."<sup>(٣٥)</sup>.

#### ٦- الوقف بإبدال حرف مكان آخر :

ويُفهم هذا النوع من الوقف؛ من الباب الذي سمّاه سيوييه: "هذا باب الكاف التي هي علامة المضمّر"<sup>(٣٦)</sup> فالكاف التي هي ضمير متصل مكسورة في المؤنث ومفتوحة في المذكر، نحو: رأيتك ورأيتك.

ولكن بعض تميم وأسد يجعل مكان الكاف في المؤنث شيئاً للبيان والوقف؛ لأن هذه الكاف تسكن عند الوقف، فأرادوا بيانها كي لا يلتبس المذكر بالمؤنث، وفصلوا بينهما بالشين كما فصلوا بالنون، عند قولهم: ذهبوا، وذهبن، وجعلوا مكان الكاف المهموسة حرفاً مهموساً مثلها هو الشين؛ لأنه أقرب ما يشبهها، فقالوا: إنشِ ذاهبةً، ومالش ذاهبةً، في إنك ذاهبة، ومالك ذاهبة .

#### ٧- الوقف على نون التوكيد:<sup>(٣٧)</sup>

**النون الخفيفة:** إذا كان ما قبلها مفتوحاً نجعل مكانها ألفاً، نحو: اضرباً في اضربن (الأمر من المفرد) أما إذا كان ما قبلها مكسوراً أو مضموماً فلا نجعل مكانها ياءً ولا واواً في الوقف، نحو: اخشي، واخشوا، ونحن نقصد النون الخفيفة. ولكن يونس يذهب إلى زيادة الياء والواو بدلاً منها فيقول: اخشي، واخشوا. وإذا وقعت في فعل مضارع مرفوع تحذف وتحل محلها نون الرفع التي يوقف عليها بالسكون، نحو: تضربين، وهل تضربون، وهل تضربان، ولا تقول: هل تضربونا (في الوقف) .

**النون الثقيلة:** لا تتغير في الوقف، وتبقى الألف التي قبلها في فعل الاثنين، نحو: لا تفعلان ذلك.

٣٥- نفسه ١٧٥: ٤ والمقصود بالحروف الأربعة هي الحروف المشربة .

٣٦- انظر: الكتاب، ١٩٩: ٤.

٣٧- انظر: نفسه ٥٢١: ٣-٥٢٧.

## ٨- الوقف على قوافي الشعر:

ومما يتصل بظاهرة الوقف ما درسه سيبويه تحت عنوان " هذا باب وجوه القوافي في الإنشاد"<sup>(٣٨)</sup>، وهو يريد بذلك نوعاً من أنواع الوقف سماه بالترنم. ويمكن دراسة الوقف هنا من الناحيتين التاليتين:

**الأولى: الإنشاد مع الترنم:** ويراد به مدّ الصوت، وإشباع الحركة وإلحاق الألف والياء والواو بما يُنوّن وما لا ينوّن. وتُلحق هذه المدّة بحروف الروي؛ لأن الشعر وضع للغناء والترنم، فمما ذكره سيبويه من المنون الذي مدّوا صوته، قول امرئ القيس:

قفا نبكٍ من ذكرى حبيبٍ ومنزلي  
وقول يزيد بن الطثريّة:  
فبتنا تحيدُ الوحشُ عنا كأننا  
وقول الأعشى:

هريرة ودّعها وإن لامَ لائمو  
فقد مدّ الصوت في "منزل" إلى "منزلي"، وفي "مصرعاً" إلى "مصرعاً"، وفي "لائم" إلى "لائمو"؛ للترنم في الإنشاد.

ومما هو غير منون، ومدّ صوته؛ قول جرير:

أقلّي اللومَ عاذلَ والعتابا  
وقوله أيضاً:

متى كانَ الخيامُ بذِي طلوح  
وقوله كذلك:

أيّهاتَ منزلنا بنعفِ سويّة  
فالأصل فيها: "العتاب"، و"الخيام" و"الأيام".

**الثانية: الإنشاد مع عدم الترنم:** والعرب على خلاف فيه:

فالحجازيون يتركون هذه القوافي - منونة وغير منونة - كما هي في الترنم، وقسم من بني تميم يبدلون مكان المدّة نوناً، كقول رؤبة:

يا أبتا علكَ أو عسَاكِنُ

وقول العجاج :

يا صاح ما هاجَ الدُموعَ الذَّرَقِنُ

وقوله :

من طللٍ كالألحمي أَنهَجِنُ

ومن العرب فريق ثالث، أجروا القوافي مجرى الكلام النثري، فلم يترنموا، وتركوا المدّة، ووقفوا على السكون في قول جرير: "أقلى اللومَ عاذلَ والعِتَابُ"، "بالسكون"، وقول الأخطل:

دَعِ الْمُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ بِمِصْرَعِهِ      واسألْ بِمِصْقَلَةِ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلُ

بحذف الألف من "فَعَلًا" لأنه لم يرد الترتم ولا مدّ الصوت .

كما وقفوا على حذف لام القافية: إذا كانت ياءً أو واوًا، وحرف الروي قبلهما.

كقول زهير :

وَأَرَاكَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدُ      ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرُ

وهو يريد: لا يفري .

وكذلك بغزو، فلو كانت قافية لجاز فيها الحذف عند الوقف، ولقيل: يَغْزُو. أما إذا

كانت اللام ألفاً فلا تحذف نحو: يخشى، ويرضى .

وتحذف واو الجماعة إذا لم يُرَدِّ الترتم، كقول تميم بن مقبل :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَصْحَابًا تَرَكَتُهُمْ      لَمْ أَدْرِ بَعْدَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مَا صَنَعُ

يريد: صنعوا. وقوله :

طَافَتْ بِأَعْلَاقِهِ خَوْدٌ يَمَانِيَّةٌ      تَدْعُو الْعَرَانِينَ مِنْ بَكْرِ وَمَا جَمَعُ

يريد: جمعوا. وتحذف الباء أيضاً في غير الترتم، كقول عنتر العبيسي :

يَا دَارَ عِبَلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمُ      وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عِبَلَةَ وَاسْلَمِي

يريد: تكلمي .

وإذا كانت القافية ساكنة، واحتاجوا لتحريكها في الوصل؛ حركوها بالكسر، كقول

امرئ القيس :

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي      وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

وقول طرفة :

متى تأتينا نَصْبَحَكَ كَأَسَا رَوِيَّةً  
وإن كُنْتَ عنها غَانِيًا فَاغْنِ وَأَزْدِدِ  
وتمدَّ الحركة بإشباعها إذا لم يكن وقف. كقول بعض العرب قالوا في: قال، إذا لم  
يُرد أن يقطع كلامه، ويقولو في: يقول، ومن العامي في: من العام .  
وقد يوقف على القافية بإتقال الكلمة وتضعيفها، نحو: سببياً وكلكلاً في: السبب  
والكلكل، وقال روية: ضَخْمٌ يُحِبُّ الخُلُقَ الأَضْحَمًا<sup>(٣٩)</sup> في: "الأضخم"  
وقال منظور بن مرثد الفقعسي الأسدي: ببازلٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْهَلٍ<sup>(٤٠)</sup> في: "عَيْهَلٍ".

### ثانياً ظاهرة الإمالة :

الإمالة مصدر للفعل أَمَلَ يُمِيلُ، والميل الانحراف عن القصد. وهي في اللغة  
"...عُدُولٌ بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف  
المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة،  
وبحسب بعده تكون خفتها، والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة..."<sup>(٤١)</sup>.  
وقد درس سيبويه هذه الظاهرة، وجعلها عماداً لدراساته الصوتية والصرفية، ولكن  
دراسته لها كانت تفصيلاً في اختلاف اللهجات في الألف الممالة، لا تعقيداً أو تبويهاً  
لها. فهو يرى أن العرب مختلفون في الإمالة، فمنهم من أَمَلَ، وهم تميم وأسد وقيس  
وعامة أهل نجد، ومنهم من لم يُمِلْ إلا في مواضع قليلة، وهم أهل الحجاز، ومنهم من  
يميل في موضع، ولا يميل في آخر. ويمكن تصنيف موقفه من الإمالة على النحو  
التالي :

١- الإمالة المطردة : ويمكن أن ندعوها قياسية، وتحدث عنها سيبويه في بابين اثنين:  
الأول "باب ما تمال فيه الألفات"<sup>(٤٢)</sup>، والثاني "باب من إمالة الألف، يميلها فيه ناس من  
العرب كثير"<sup>(٤٣)</sup>. ففي الباب الأول يتحدث عن الإمالة حديثاً مطولاً ومتشعباً، يغلب

٣٩- انظر: الكتاب ٢٩: ١.

٤٠- انظر: الكتاب ١٧٠: ٤.

٤١- شرح المفصل ٥٤: ٩. وسوف نرصد لصوت الإمالة بكسرة تحت الحرف الواقع قبل الحرف المأل.

٤٢- الكتاب، ١١٧: ٤.

٤٣- نفسه ٤: ١٢٣.

عليه الاستطراد وعدم التبويب، ويمكن إجمال قواعده في هذا الباب عن الإمالة على النحو التالي :

— تمال الألف إذا كان بعدها حرف حُرْكَ بالكسرة، نحو: عَابِدٍ، وَعَالِمٍ، وَمَسَاجِدٍ .  
— وتمال الألف إذا كان الحرف الأول من الكلمة مكسوراً، وفُصِّلَ بينه وبين الألف بحرف واحد فقط، نحو: عِمَادٍ.

— وتمال الألف إذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرفان، الأول منهما ساكن، نحو: سِرْبَالٍ، وَشِمْلَالٍ، وَكَيْالٍ، وَشَيْبَانٍ، وَعِيْلَانٍ، وَغِيْلَانٍ، وَعَجْلَانِك .  
— وتمال فيما انتهى بياء أو واو وكان مفتوح العين، نحو: مَعْدِيٍّ، وَمَسْنِيٍّ، وَالْعُصْيِّ، ودعياً<sup>(٤٤)</sup>.

— وتمال فيما لحقته ألف زائدة للتأنيث أو غيره، نحو: حُبْلِيٍّ، وَمَعْرِيٍّ، وَالضُّحَى .  
— وتمال فيما كانت عينه ياءً أو واواً لدى بعض أهل الحجاز؛ إذ قرأ بعضهم: صَارٍ، وخَاف .

— وتمال في وزن فاعل، نحو: كَاتِبٍ، وَسَاجِدٍ، وَمَاشٍ، وَدِإِغٍ، وقد شُبِّهَ به لدى بعض العرب: مررت ببيابه، وأخذت من ماله.

ويتحدث في الباب الثاني عن الإمالة لدى الكثير من العرب، فقد تقع في الضميرين (ها، نا) المتصلين بالمضارع، نحو: يريد أن يضربها، ويريد أن ينزعها، أو المتصلين بغير الفعل من أسماء وحروف، نحو: من مضربها، وبها، وبنا. وهذه الإمالة مقصورة على ما اتصل بالمنصوب أو المجرور، أما الضمير المتصل بالمرفوع فلا إمالة فيه، نحو: مضربها ويكيلها .

وقد تقع الإمالة في الكلمة الواحدة إذا كان فيها ياء وبعدها حرف واحد ثم الألف، نحو: يدا، أو كان فيها حرف مكسور، فَصَلَ بينه وبين الألف حرف آخر، نحو: عِدَا، وذِهَا، من "ذه". وهذه الإمالة كما سبق أن أشرنا ليست مطردة عند العرب، فبعضهم يميل وبعضهم يترك الإمالة. وقد عبر سيبويه عن ذلك بقوله: "واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يُميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين

٤٤ — الأصل في الياء المشددة ألف وياء؛ أي: مَعْدِيٍّ، وَمَسْنِيٍّ، وَعُصَايٍّ. أميلت الألف فقلبت ياءً وأدغمت في الياء الثانية انظر الكتاب ١١٨:٤-١١٩.

صاحبه، فينصبُ بعضٌ ما يُمِيلُ صاحبه ، ويُمِيلُ بعضٌ ما ينصبُ صاحبه...»<sup>(٤٥)</sup> والمقصود بالاطراد الذي ذكرناه في العنوان هو الاطراد أو القياس عند من يميل فقط.

٢- **الإمالة الشاذة:** وعقد لها سيبويه باباً سماه "باب ما أميل على غير قياس وإنما هو شاذ"<sup>(٤٦)</sup>، وذلك نحو: الحجّاج إذا كان اسماً للرجل، حيث أمالته العرب لأنّ الإمالة كثيرة لديهم، وكذلك: الناس وهذا باب ومال ....

### ٣- امتناع الإمالة<sup>(٤٧)</sup>:

١- **هناك أحرف سبعة تمتنع الإمالة معها هي:** الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والحاء. وسبب منع الإمالة معها أنها حروف مستعلية تميل إلى الحنك الأعلى، وكل من يميل الألف معها لا يؤخذ بعربيته على حد تعبير سيبويه. ويمكن إجمال قاعدة هذه الأحرف فيما يلي:

**أ- مجيئها بعد الألف:** إذا أتى حرف منها بعد الألف امتنعت الإمالة، نحو: عاصم، وعاضد، وعاطس، وعاظل، وواغل، وناقد، وناخل. وإذا أتى حرف منها بعد الألف مفصلاً عنه بحرف امتنعت إمالته أيضاً، نحو: نافخ، ونابع، وناقق، وشاحط، وناهض، وناشط؛ أو إذا كان مفصلاً عنه بحرفين نحو: مناشيط، ومنافبخ، ومعاليق، ومقاريض، ومواعيظ، ومبالغ ...

**ب - مجيئها قبل الألف:** إذا أتى حرف من هذه الأحرف قبل الألف مباشرة؛ امتنعت الإمالة، نحو: قاعد، وغائب، وخامد، وصاعد وطائف، وضامن، وظالم . أما إذا كان بين أحد هذه الأحرف وبين الألف حرفٌ واحد فلا تمتنع الإمالة، على أن يكون الحرف (من هذه الأحرف) مكسوراً، نحو: الضّعاف، والصّعاب، والطّباب، والقباب، والخياب، والغلاب .

وكذلك إذا كان أحدها ساكناً مفصلاً عن الألف بحرف لا تمتنع الإمالة، نحو:

٤٥- الكتاب، ٤: ١٢٥ .

٤٦- نفسه ٤: ١٢٧ .

٤٧- انظر: نفسه ٤: ١٢٨، وما بعدها .

مطعان، ومقلات، ومصباح<sup>(٤٨)</sup>.

٢- ومما لا تُمال ألفه مع غير هذه الأحرف ألف فاعل ومُفاعل من المضعف؛ لأن الحرف الذي قبل الألف مفتوح، نحو: جَادٌ، وقَادٌ، ومُجَادٌ<sup>(٤٩)</sup>.

٣- لا تُمال الألف التي مع الحروف، نحو: حَتَّى، وعلى، وإلى، وأما... ولكنهم أمالوا "يا" في النداء فقالوا: يا زيد. وكذلك أمالوا أنَّى، وبِ، وتَا. وهذا جائز إذا أُمنَ اللبس كما يفهم من عبارة سيبويه<sup>(٥٠)</sup>.

٤- حرف الراء والإمالة: للراء عند سيبويه أحكام تحدث عنها في بابين، الأول: "بابُ الراء"<sup>(٥١)</sup>، والثاني: "باب ما يُمال من الحروف التي ليس بعدها ألف إذا كانت الراء بعدها مكسورة"<sup>(٥٢)</sup>. فالراء تشبه الحرف المضعف، وهي بمنزلة الحروف التي تمتنع معها الإمالة، وأحياناً يُمال معها غير الألف، ويمكن تصنيف الإمالة معها على النحو التالي<sup>(٥٣)</sup>:

١- إذا كانت الراء قبل الألف تمتنع الإمالة، نحو: هذا راشد، وهذا فراش. وبعض العرب يُميلها فيقول: عفرا، وعيرا.

٢- إذا أتت الراء قبل الألف وفُصلت عنه بحرف امتنعت الإمالة، نحو: برقان .

٣- إذا كانت الراء بعد الألف لا تُمال الألف في حالتها: ضمَّ الراء وفتحها (رُـ)، نحو: "هذا عارٌ" و"رأيت العارَ"، أما في حالة كسر الراء (ر) فلا تمتنع الإمالة، نحو: من عوارِه، وهذا قارب، ومن المُعارِ.

٤- إذا كانت الراء بعد الألف مفصولة عنه بحرف جاز فيها الإمالة، نحو: الكافر، والمناير، وعدمها عند البعض، نحو: الكافر. والذين يميلونها عند اجتماعها مع الألف، نحو: (قارب)؛ لا يميلونها إذا فُصلت عنه، نحو: (قادر)؛ لأنها بَعُدت، فلم تقو على الإمالة.

٤٨- الكتاب ٤: ١٣٠ - ١٣١.

٤٩- نفسه ٤: ١٣٢.

٥٠- الكتاب ٤: ١٣٥.

٥١- الكتاب، ٤: ١٣٦.

٥٢- نفسه، ٤: ١٤٢.

٥٣- الكتاب ٤: ١٣٦ - ١٤٤.

- ٥- إذا أتت الراء مُضعفَةً بعد ألف تُمال عند بعضهم، نحو: مررت بفارٍ، وهذه صغارٌ، وتترك عند آخرين .
- ٦- تمال بعض الحروف التي ليس بعدها ألف بسبب وجود الراء، وذلك إذا وقع الحرف قبل راءٍ مكسورة في كلمة واحدة، نحو: منَ الكِبِرِ، ومن الصَّغْرِ؛ أو في كلمتين، نحو: رأيتَ خَبَطَ الرِّيفِ. وقد تُمال فاء الكلمة إذا كانت عينها ساكنةً ولأمها حرف راء، نحو: من عَمَرُو، وهذا الكُفْرِ.
- ٧- تمتنع الإمالة مع الراء إذا كان بعد الراء حرفٌ من حروف الاستعلاء (خ ص ض ط ظ غ ق)، نحو: منَ الشَّرِقِ.

### ثالثاً - ظاهرتا الإعلال والإبدال :

وهما مصطلحان مستخدمان في كتب الصرف العربي، يرجعان في أساسهما إلى ظاهرة صوتية تحكمها قوانين دقيقة، الغاية منها التجانس بين أصوات الكلمة الواحدة. وهما وإن عبّرا عن ظاهرة واحدة هي التجانس الصوتي فإن كلاً منهما يختلف عن الآخر اختلافاً واضحاً .

فالإعلال هو ما تتعرّض له أصوات العلة من تغيرات قد تؤدي إلى حلول بعضها مكان بعض، أو حذف بعضها أو نقل حركته إلى غيره. أما الإبدال فهو أعم من ذلك وأشمل، حيث يراد به جميع حالات التبادل بين الأصوات، سواءً أكانت صحيحة أم معتلة، ويعمد المتكلم فيه لحذف صوت من الكلمة والمجيء بآخر مكانه .

وقد تناول سيبويه هاتين الظاهرتين في كتابه، ولكن حديثه عنهما لم يكن ليختلف عن الظاهرتين السابقتين، من حيث الترتيب والتصنيف والتبويب، كما لم يكن ليخرج عن إطار الخلط بين الدرس الصوتي والدرس الصرفي لدى القدماء جميعاً. ويمكن تلخيص حديثه عنهما بما يلي :

أ- الإعلال: الإعلال عند سيبويه كما هو عند الصرفيين جميعاً يكون بالحذف والنقل والقلب .

١- الإعلال بالحذف<sup>(٥٤)</sup>: كحذف الواو من المضارع والأمر والمصدر في مثل: يَعدُّ،

عدّ، عَدّة، زنة... وحذف الواو والياء من اللفيف المفروق في مثل: يشي، وبقي، وقه، وشيه. وهناك حذف في بعض الأسماء وهو حذف سماعي كما يرى سيبيويه، مثل: يد ودم وجرّ وسنّ ودنّ....

٢- الإعلال بالتسكين والنقل<sup>(٥٥)</sup>: ويقصد به سيبيويه حذف حركة المعتل أو نقلها إلى الصحيح قبله، والغاية من ذلك تخفيف النطق والبعد عن التناثر والنقل الصوتي، ويُشترط في نقل الحركة أن يكون الصحيح الذي تنقل إليه الحركة ساكناً، نحو: يبيع، ويقول، ومهيب، ومبيع... فأصلها: يبيع، ويقول، ومهيب، ومبيع.

### ٣- الإعلال بالقلب :

أ- قلب الواو والياء ألفاً<sup>(٥٦)</sup>: فالياء والواو إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما فتحة أصلية اعتلتا وقلبتا ألفاً، نحو: تاه، وطاح، وغزا، ورمى....

ب - قلب الواو ياءً<sup>(٥٧)</sup>: وذلك إذا سكنت بعد كسرة، نحو: ميزان، وميعاد، أو إذا اجتمعت مع الياء، نحو: سيّد وصيّب، أو إذا كانت رابعة وأكثر، نحو: أغزيت وغازيت، أو إذا كانت لاماً في اسم على وزن فعلى، نحو: الدنيا، والعليا... .

ت - قلب الياء واواً<sup>(٥٨)</sup>: وذلك إذا سكنت بعد ضمة، نحو: موقن وموسر، أو إذا كانت لاماً في اسم على وزن فعلى كالشروى والتقوى، أو إذا كانت عيناً، نحو: الطوبى والكوسى من الطيب والكياسة .

ث - قلب الواو والياء همزة<sup>(٥٩)</sup>: وذلك إذا تطرفتا بعد ألف زائدة، نحو: قضاء وسقاء، أو إذا وقعت إحداهما عيناً لاسم الفاعل، نحو: بائع وخائف، أو إذا وقعت إحداهما بعد ألف فعائل، نحو: عجائز، وصحائف، أو إذا كان في الكلمة حرفا لين بينهما الألف، نحو: قوائل، وأوائل .

والحديث عن الإعلال يطول في الكتاب، وهو متناثر هنا وهناك، وربما كان مفتقراً إلى المنهج في كثير من مواطنه.

٥٥- انظر: مواضع ذلك في الكتاب ٣٣٩: ٤.

٥٦- انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٨٣، ٣٩٠.

٥٧- انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٣٥، ٣١٤، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٨٩، ٣٩٣.

٥٨- انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٨٩، ٣٦٤، ٤٢١.

٥٩- انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٤٨، ٣٦١، ٣٧٠.

## ب - الإبدال :

درس سيبويه الإبدال في "باب حروف البديل، من غير أن تدغم حرفاً في حرف، وترفع لسانك من موضع واحد، وهي ثمانية من الحروف الأولى، وثلاثة من غيرها"<sup>(٦٠)</sup>. ولكنه عندما تحدّث عمّا سماه حروف البديل لم يقف عند هذا العدد بل تعداه إلى حروف أخرى قد يكون سببها الوقف أو الإدغام أو اللهجات أو غير ذلك، ولم يفرق في حديثه عن الإبدال بين القلب الذي يكون سببه الإعلال وبين الإبدال<sup>(٦١)</sup>. ويمكن أن نقف في هذا الباب على إبدال الحروف التالية:

**فالهمزة** عنده قد تكون بدلاً من الياء في الإعلال بالقلب، نحو: قضاء، وقد تكون بدلاً من ألف حمري في حمراء، ومن ألف حبلى في الوقف، وقد تكون بدلاً من الهاء بعد الألف في ماء، وبدلاً من الواو نحو: أدور، وأسوق عند من لا يحققون الهمزة، وكذلك تبدل منها نحو: أجوه في وجوه، وإسادة في وسادة.

**والألف** تبدل من الواو نحو ياجل من يوجل، وتبدل من الهمزة عند تخفيفها، نحو: راس في رأس، وباس في بأس .

**والهاء** تبدل من الهمزة نحو: هرقت وهمرت من: أرقنت وأمرت، ومن الياء في اسم الإشارة هذه...

**والجيم** تبدل من الياء في الوقف عند بعض بني سعد، نحو علج في عليّ، وتميمج في تميمي .

**والياء** تبدل من الهمزة في التخفيف عند من لا يحققون الهمزة، نحو: مير في المير، وتبدل من

**الواو**، نحو: بهاليل جمع بهلول، ومن الحرف المدغم كقيراط، ودينار لأن الأصل فيهما قرّاط ودينار .

**واللام** تبدل من النون بشكل قليل، نحو: أصيلاً في أصيلاً تصغير أصلان .

**والنون** تبدل من الهمزة في فعّان فعّلى، نحو: عطشان وسكران ...

٦٠ - الكتاب ٢٣٧: ٤.

٦١ - قارن مثلاً ص ٣٤٨ من ج ٤، حين يتحدث عن قلب الواو والياء همزة، وبين ص ٢٣٧ من الجزء نفسه حين يتحدث عن إبدال الهمزة .

والطاء تبدل من التاء في افتعل إذا كانت الفاء ضاداً أو صاداً أو ظاءً أو طاءً، نحو: اضطهد واصطير ...

والدال تبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي، نحو: ازدجر، ومزدجر ...

والتاء تبدل من الواو إذا كانت بعد كسرة، نحو: اتعد، وتبدل في كلمات أخرى نحو: تراث وتخمة واتكأت من توكتأت ...

والميم تبدل من النون نحو عمبر في عنبر، ومن الواو في كلمة فم ومن يا النداء في اللهم .

والواو تبدل من الياء كما في الإعلال بالقلب وكما في فتوى جمع فتيان، وتبدل من الهزمة المبدلة من الياء أو الواو، نحو: كساوان وغطاوان.

هذا ملخص وجيز لحديث سيبويه عن الإعلال والإبدال. ولا شك في أننا نحترم آراء سيبويه ونجلها، ونقدر جهوده الجبارة، ولا سيما أنه كان رائداً في هذا المجال، شقَّ الطريق الوعرة وحاول أن يسهل للأجيال من بعده سبيل تناول اللغة. ولكن عمله لا يخلو من خلط كثير. فموقفه من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة، حيث كان لديه ثلاثة أحرف ترسم برموزها، وهي (الألف، والواو، والياء)، وفي نظره أن الواو والياء يعبران عن أربعة أصوات هي (ياء المد، وياء العلة، وواو المد، وواو العلة). ولكن الحقيقة التي يُقرها درس الحديث غير ذلك<sup>(٦٢)</sup>.

فالواو والياء المعتلتان لا تكونان إلا حين تتراكب الحركات، فتنشأ الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي الواو أو الياء. أما أصوات المد نحو: (قام، يقوم، يقيم) فليست أصوات علة على الرغم من اتحاد رمزي الواو والياء، والتباسهما في الكتابة برمزي صوتي العلة، وإنما هي حركات طويلة يمكن تجزئتها إلى حركات قصيرة. وقد لاحظ ذلك ابن جني حيث قال: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ... ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هنَّ حروفٌ توائمٌ كوامل،

٦٢- راجع حول ذلك فصلاً بعنوان: السواكن والعلل من كتاب دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ص ١١٣-١٣٢. وانظر أيضاً "مناهج البحث في اللغة"، مطبعة التجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص ١٤١ وما بعدها.

قد تكون في بعض الأحوال أطولَ وأتمَّ منهنَّ في بعض...»<sup>(٦٣)</sup>.

وقد جعل سيبويه الهمزة مع هذه الأحرف الثلاثة في باب واحد مع أنه كان يدرك الفرق بينها وبين الألف من الناحية النطقية؛ حين وصفها وصفاً دقيقاً بقوله: "تبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً"<sup>(٦٤)</sup>. ولكنه لم يستطع التخلص من ارتباط الهمزة بالألف، فهي حيناً حرف علة، وحيناً آخر شبيهة بالعلة مع أنها صوت صامت، وحيناً ثالثاً مخففة عند بعض القبائل، وحيناً رابعاً منقلبة عن صوت آخر... ولا بدَّ للباحث هنا من معرفة طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية ليُدرك مدى دقَّة كلام سيبويه في ربطها بأحرف العلة. فهي صوت يخرج من الحنجرة نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماماً، ثم انفتاحهما في صورة صوتية بين الجهر والهمس، وهي من الصوامت<sup>(٦٥)</sup> أمَّا أصوات العلة فهي انطلاقية تخرج من الفم بعيداً عن الحنجرة والحلق واللهاة، وهي مجهورة<sup>(٦٦)</sup>. أضف إلى ذلك أنَّ حرفي العلة (الواو والياء) يختلفان عن الهمزة، لأنَّ الهمزة صوت صامت مستقل، وهما صوتان مركبان انتقاليان؛ وبالتالي فلا علاقة صوتية بين الهمزة وبين أصوات المد والعلة. وهناك تباعد واضح ينفي وقوع الإبدال أو القلب بينهما والقول بحدوث الإبدال بين الهمزة وأصوات العلة قول خاطئ لا تؤيده الحقيقة العلمية ولا الصوتية للبعد بينهما؛ لأنَّ الإبدال -بشكل عام- يحدث على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة، وهذا التقارب لا يقوم إلا على أساسين من أسس الدراسة الصوتية :

**الأول:** هو أنَّ كلا الصوتين المتبادلين من الصوامت؛ التي تتميز بطبيعة مشتركة تقوم على اعتراض طريق الهواء المندفَع من الرئتين إلى خارج الفم. في حين نرى أنَّ الحركات أو أصوات العلة تتكوَّن دون هذا الاعتراض .

**الثاني:** أنَّ الصوتين المتبادلين كليهما متحَدان أو متقاربان في المخرج؛ الذي هو مكان اعتراض الهواء بعد خروجه من الرئتين. فإذا توفر للصوتين هذان الأساسان من

٦٣- سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة مصطفى الباي الحلبي بمصر ١٩: ١-٢٠.

٦٤- الكتاب، ٣: ٥٤٨.

٦٥- انظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعوان، دار الفكر العربي، ص ١٥٧ وما بعدها.

٦٦- انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص ٩١ وما بعدها.

القرابة الصوتية احتمال أن يحلّ أحدهما مكان الآخر، وإلا فلا .

وبناءً على ما تقدّم نستطيع أن نقرر :

١- الأصل الغالب في الوقف هو السكون، ولا يوقف على متحرك (مقطع مفتوح). ومع أنّ سيبويه قرر الوقف في الكلام لكنه لم يطبقه تطبيقاً صحيحاً؛ لأنه اعتبر حروف المد والعلّة صوامت لا حركات. ولئن جاز ذلك بالنسبة إلى حروف العلة التي هي أنصاف حركات (الفتحة والضمة والكسرة)، فإنه لا يجوز بالنسبة إلى حروف المد.

٢- إذا كان سيبويه قد نص على أنه لا يُبدأ بصامت بل بمتحرك فقد أغفل النص على أنه لا يُبدأ بحركة في الكلمة أو المقطع؛ لأنه لم يمنح الحركة وجوداً مستقلاً عن الصامت بل تصورهما دائماً تابعة له، وأخرج حروف المد والعلّة من جملة الحركات، وهي في طبيعتها تكبير للحركات، وتركيب لا يُستساغ في بدء المقطع إلا بشروط خاصة، ولذلك رفضت اللغة الضمة إثر واو والكسرة إثر واو أو ياء.

٣- من المعروف أن العربية تكره النطق بمقاطع مفتوحة متوالية، ولا تعرف ظاهرة توالي الصوامت (السكون) في المقطع كما في اللغات الأوروبية. وبالتالي فهي ترفض توالي الحركات الكثيرة؛ لأن هذه الحركات تضعف النظام المقطعي كما يرى المحدثون<sup>(٦٧)</sup>. أما سيبويه فيراها تجعل النطق ثقیلاً .

٤- إن التحليل الصوتي للكلمات المهموزة يقودنا إلى وظيفة الهمز في العربية، فهو وسيلة للهروب من تتابع الحركات عماده تكوين مقطع عربي سليم من جهة، وهو صورة من صور النبر من جهة أخرى، وسنرى بعد ذلك أن معظم الإبدال عند سيبويه هو من قبيل المماثلة الصوتية .

#### رابعاً- ظاهرتا المماثلة والمخالفة :

##### أ - المماثلة :

هي مجموعة التعديلات التكميلية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، فتحوّل

٦٧- انظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١٧٤.

الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة جزئياً أو كلياً<sup>(٦٨)</sup>. وأساس هذا التحول هو الاتفاق في المخرج أو الصفة أو فيهما معاً، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ليحدث نوع من التوافق، والانسجام بعد شدّ وجذب .

والمماثلة هي الرديف المقابل لما سماه سيويه الإدغام، وهو عنده ظاهرة موقعية سياقية مرتبطة بمواقع محددة، يلتقي في كل منها صوتان السابق منهما ساكن أو مُسكّنٍ والتالي متحرك، ولا بُدَّ لإدغامهما من تحقيق شروط أو صفات خاصة. وهذه الدراسة عنده بعيدة عن اعتبار الإدغام جزءاً من النظام الصوتي، مع أنه اهتم بهذه الظاهرة ومهّد لها بحديثه عن الأصوات المفردة .

وللمماثلة أنواع فقد تكون كلية أو جزئية وقد تكون تقدمية أو رجعية. وسوف نحاول أن نجمع تحت هذه الأنواع ما جاء في كتاب سيويه مع ملاحظة أنه استخدم لهذه الأنواع مسميات مختلفة ودرسها جميعاً تحت عنوان واحد هو الإدغام الذي قسمه إلى إدغام في المتماثلين، وفي المتقاربين، وفي حروف طرف اللسان والثنايا، وإلى مضارعة وقلب وتخفيف.

١ - المماثلة الكلية التقدمية : وهي أعلى درجات المماثلة، وفيها يتحد الصوتان المتتابعان في صوت واحد مشدد، ويؤثر الصوت الأول في الثاني ويجعله مثيلاً له إن لم يكن كذلك، فيحدث الإدغام. وقد درس سيويه هذه المماثلة في أماكن متفرقة من كتابه، منها "باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً لا يزول عنه"<sup>(٦٩)</sup>، ووضع لهذا النوع عللاً وأصولاً تعود إلى ظاهرة كراهية التقاء الأمثال؛ لأن العربي يكره توالي الحركات في كلامه ويرفضها في الكلمة الواحدة إذا زادت حركاتها على أربع حركات. ويرى أن هذا النوع يحدث في الكلمة الواحدة كما يحدث في الكلمتين المتواليتين اللتين يكون المثان فيهما آخر الكلمة الأولى وأول الكلمة الثانية، ويمكن تقسيم هذا الباب عنده إلى الأقسام التالية<sup>(٧٠)</sup>:

١- إذا توالى خمسة حروف متحركة وكان الثالث والرابع مثليين سَكُنَ الثالث

٦٨- انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٢٤.

٦٩- الكتاب ٤:٤٣٧.

٧٠- انظر هذه الأقسام في الكتاب ٤: ٤٣٧ وما بعدها

وأدغم في الرابع، وهذا النوع أحسن حالات الإدغام كما يرى سيبويه، وتحريكه وبيانه عربي جيد وحجازي، نحو: جعللك في "جعل لك" وفعلليبيد في "فعل ليبيد".

٢- إذا التقى المثان وكان أولهما مسبوفاً بحرف متحرك واحد وتلي الثاني ساكن أصبح الإدغام حسناً، نحو: يد داود في "يد داود".

٣- إذا التقى المثان المتحركان وكان قبل أولهما حرف مد كان الإدغام حسناً والبيان أحسن، نحو: إن المالك في "إن المال لك"، وأنت تظلميني في "أنت تظلميني". وذلك لأن حرف المد عند حدوث المماثلة (الإدغام) يكون بمنزلة المتحرك، ويرى سيبويه أن الواو والياء عند سكونهما تعاملان معاملة واو المد وياه.

٤- إذا التقى المثان المتحركان وسبق أولهما ساكن امتنع الإدغام، نحو: ابن نوح، واسم موسى.

٥- إذا كان أول المثليين واواً بعد ضمة أو ياءً بعد كسرة (- وو، - ي ي) امتنع الإدغام وترك المد على حاله في الانفصال، نحو: ظلموا واقداً، واطلمي ياسراً.

٦- إذا كان أول المثليين واواً ساكنة أو ياءً ساكنة لا يمتنع الإدغام؛ لأن الياء والواو ليستا حرفي مد هنا، نحو: اخشياًسراً واخشواًقداً، في "اخشياً ياسراً، واخشواً واقداً".

٧- ما يجري مجرى المنفصلين لا يجوز فيه الإدغام وإنما الإظهار، نحو: اقتتلوا ويقتتلون، وقد أدغم بعض العرب، فقال: اقتلوا ويقتلون.

ولا يقتصر هذا النوع من المماثلة على الصوتين المتماتلين بل قد يتتابع صوتان مختلفان لكن متقاربين في المخرج. ولكي يتم الإدغام أو المماثلة الكاملة لا بد من تحقيق المماثلة بين الصوتين المراد إدغامهما، وتسكين الصوت الأول إذا لم يكن ساكناً. ونرى ذلك عند سيبويه في باب إدغام المتقاربين<sup>(٧١)</sup> نحو: امدح عرفة = امدحرفة، ومُتَّرد = مُتَّرد، ومصتبر = مصتبر، ومزتان = مزتان، مزان = مزان، واضطر = اضطر، ومظلم = مظلم، ومظلم = مظلم، وخبطت = خبطت، واذكر = اذكر.

وهناك مماثلة كلية تقدمية في حالة انفصال تتأثر فيها الحركات<sup>(٧٢)</sup>. فحركة الضمائر في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (هـ) والجمع المذكر (هم) والجمع المؤنث (هن) والمثنى (هما) تتأثر بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء فتقلب الضمة كسرة بعد كسرة أو ياء، وقد حافظت القبائل الحجازية على هذا الأصل في نطقها، نحو: مررت بهو قبل، ولديهو مال تصيح: به، ولديه، ومنهم -منهم، وفيه - فيه. ويمكن أن نلاحظ هنا أيضاً تأثير الضمة على الواو وتولد الواو من هذه الضمة بعد الإشباع، وتكسر الهاء لأن قبلها كسرة حيناً، نحو: بهي، وبدارهي، وياء حيناً، نحو: لديهي مال<sup>(٧٣)</sup>.

وما تزال بقايا هذه الظاهرة في القرآن الكريم رسماً وقراءةً. من ذلك قوله تعالى: «... ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً»<sup>(٧٤)</sup>.

**٢- المماثلة الكلية الرجعية:** وهذا النوع كسابقه يعتمد على الإدغام، ولكن الصوت الثاني هو الذي يؤثر في الأول ويحوّله إلى جنسه فيتحد به. ونجد هذا النوع عند سيبويه في بابين اثنين هما: "باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد"<sup>(٧٥)</sup> و"باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا"<sup>(٧٦)</sup>، ولكن هذين البابين لا يخلوان من الخلط الكثير. إذ نرى فيهما مماثلة كلية تقدمية ورجعية، ومماثلة جزئية تقدمية ورجعية، ومخالفة أيضاً. ونستطيع أن نلخص وجهة نظر سيبويه فيهما على النحو التالي:<sup>(٧٧)</sup>

#### أ- في باب المتقاربين:

١- الميم والفاء والراء والشين تؤثر في مقارباتها التي قبلها فتماثلها وتدغم فيها،

٧٢- انظر حول ذلك: التطور اللغوي مظهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص ٢٥.

٧٣- نظر باباً في كتاب سيبويه بعنوان: باب ثبات الباء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار، وحذفها، ١٨٩: ٤ - ١٩٨.

٧٤- الفتح ١٠.

٧٥- الكتاب ٤: ٤٤٥.

٧٦- نفسه ٤: ٤٦٠.

٧٧- انظر لما سياتي من تمثيل: الكتاب ٤: ٤٤٥ ... ٤٧٦.

نحو: اصْحَمَّطَرًا" في: "اصحب مطراً"، واذهفِي في ذلك؛ في: "اذهب في ذلك"،  
ومرأيت في: "مَنْ رأيت"، وأخر شيئاً في: "أخرج شيئاً".

٢- مجموعة حروف تؤثر في مقارباتها تأثيراً رجعياً هي:

– الهاء والحاء (هـ + ح = حَ) نحو: اجبَهَ حملاً = اجبَحَمَلاً .

– العين والحاء (ع + ح = حَ)، نحو: اقطع حملاً = اقطَحَمَلاً .

– الغين والحاء (غ + ح = حَ)، نحو: ادمع خلفاً = ادمَحَلَفَاً. و(خ + غ = غَ)، نحو:  
اسلخ غنمك = اسلغَنَمَك .

– القاف والكاف (ق + ك = كَ)، نحو: الحق كلدة = الحكَدَة. و(ك + ق = قَ)، نحو:  
انهك قطيناً = انهَقَطِيناً .

– النون قبل اللام والميم والواو والياء (ن + ل = لَ، ن + م = مَ، ن + و = وَ، ن +  
ي = يَ)، نحو: من لك = مَلَك، من معك = مَمَعَك، من وجد = مَوَجَد، من يكون =  
مَيَكُون .

– لام التعريف تتأثر تأثيراً رجعياً بالناء والثاء والذال والذال والراء والزاي والسين  
والشين والصاد والضاد والطاء والظاء واللام والنون، وتختفي معهن وتسمى لأمأ  
شمسية، ولا تتأثر مع البواقي بل تظهر وتسمى قمرية. وقد أيدت الدراسات الصوتية ما  
جاء به سيبويه، ولا اعتراض على كلامه إلا فيما يتعلق بصوت اللام في بداية كلمة  
يُراد تعريفها ككلمة (لوم) فسبويه ينطقه باللام الشمسية التي تختفي اختفاءً تاماً، ولكن  
اللام هنا تظهر بكل خصائصها كما تظهر لام التعريف في كلمتي الباب والحكاية  
وغيرهما. وبالتالي فهي قمرية لا شمسية. وربما يعود سبب هذا الخلط عند سيبويه إلى  
أن الإدغام عنده مجرد نطق مضعف للأصوات التي يتناولها لا أكثر ولا أقل<sup>(٧٨)</sup>.

#### ب – في باب حروف طرف اللسان والثنايا :

١- الطاء والناء والذال والثاء والظاء تتأثر بالضاد اللاحقة لها وتتماثل فتصبح من  
جنسها ثم تدغم فيها، نحو: اضبط ضرمة = اضبضُرمة، انعت ضرمة = انعضرُمَة،

خُدْ ضِرْمَةٌ = خَضْرَمَةٌ، ابعثْ ضِرْمَةٌ = ابعضْرَمَةٌ، احفظْ ضِرْمَةٌ = احفضْرَمَةٌ<sup>(٧٩)</sup>.

٢- الشين تؤثر تأثيراً رجعياً في الطاء والتاء والذال والضاد والطاء والذال والتاء لتي قبلها وتجعلها مدغمة فيها بعد التماثل، نحو: اضبطْ شاكراً = اضبشَّاكراً، انعتْ شاكراً = انعشَّاكراً، انقدْ شاعراً = انقضَّاعراً، عارضْ شاعراً = عارشَّاعراً، احفظْ شاعراً = احفضَّاعراً، خذْ شاكراً = خشَّاكراً، ابعثْ شاكراً = ابعشَّاكراً.

٣- الطاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الدال والتاء والطاء التي قبلها وتجعلها مماثلة لها مدغمة فيها، نحو: انقدْ طالباً = انقضَّالِباً، انعتْ طالباً = انعطَّالِباً، احفظْ طالباً = احفضَّالِباً.

٤- الدال تؤثر تأثيراً رجعياً في التاء والذال والطاء التي قبلها، وتجعلها مماثلة لها ومدغمة فيها، نحو: انعتْ داود = انعذَّاود، خذْ داود = خذَّاود، اضبطْ داود = اضبذَّاود.

٥- التاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الدال والتاء والطاء التي قبلها، فتتماثل معها وتدغم فيها، نحو: انقدْ تلك = انقتَّلك، ابعثْ تلك = ابعثَّلك، انقطْ توأماً = انقتَّوأمأ.

٦- الصاد تؤثر تأثيراً رجعياً في السين والتاء والذال والزاي التي قبلها فتتماثل معها وتدغم فيها، نحو: احبسْ صابراً = احبصَّابراً، انعتْ صابراً = انعصَّابراً، خذْ صابراً = خضَّابراً، أوجزْ صابراً = أوجصَّابراً.

٧- الزاي تؤثر تأثيراً رجعياً في الصاد والسين والطاء والطاء والذال التي قبلها، فتتماثل معها وتدغم فيها، نحو: افحصْ زردة = افحزَّردة، احبسْ زردة = احبزَّردة، اضبطْ زردة = اضبزرَّردة، احفظْ زردة = احفزرَّردة، منذْ زمان = منذَّزمان.

٨- السين تؤثر تأثيراً رجعياً في الصاد والزاي والتاء والذال والتاء والذال والطاء التي قبلها، فتتماثل معها، وتدغم فيها، نحو: افحصْ سالماً = افحصَّالماً، رزْ سلمة = رُسَّلمة، ذهبْ سلمى = ذهبسَّلمى، قدْ سمعت = قسَّسمعت، ابعثْ سلمة = ابعسَّلمة، مذْ ساعة = مسَّساعة، احفظْ سلمة = احفسَّلمة.

٩- الطاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الدال والتاء والطاء التي قبلها، فتتماثل معها، وتدغم فيها، نحو: خذْ ظالماً = خظَّالماً، ابعثْ ظالماً = ابعظَّالماً، احبطْ ظالماً = احبظَّالماً.

١٠- الذال تؤثر تأثيراً رجعياً في الظاء والطاء والذال التي قبلها، فتمتثل معها، وتدغم فيها، نحو: احفظ ذلك = احفذلك، ابعث ذلك = ابعذلك، أبعد ذلك = أبعدلك.

١١- التاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الظاء والذال والطاء التي قبلها، فتمتثل معها، وتدغم فيها، نحو: احفظ ثابتاً = احفثابتاً، خذ ثابتاً = خثابتاً، انعت ثابتاً = انعتابتاً.

### ٣ - المماثلة الجزئية التقديمية<sup>(٨٠)</sup> :

وهذا النوع من المماثلة يتناول الصفة لا المخرج، وفيه يتطابق الصوت مع الآخر تطابقاً نطقياً لا مخرجياً. ونلاحظ هذا النوع عند سيبويه في باب البدل عندما تحدث عن إبدال الطاء من التاء في صيغة افتعل، إذا كانت الفاء صاداً أو صاداً أو ظاءً أو طاءً نحو: اضطهد، واصطبر، واطرد (وهنا المماثلة كلية وليست جزئية) واطظلم من اظلم التي تتحول إلى مماثلة كلية تقديمية وتصبح (اظلم). وكذلك نلاحظ هذا النوع في صيغة فعلت، نحو: حصطُ و فحصطُ، من: حصتُ عنه، وفحصتُ برجلي، ومثل إبدال الطاء من التاء إبدال الدال من التاء أيضاً في هذه الصيغة إذا كانت بعد الزاي، نحو: ازجر، ومزجر، وازدان، من: ازجر، ومزجر، وازتان. وفي كل هذه الأمثلة مماثلة جزئية أثر فيها الصوت الأول في الثاني ليتناسبا ويتجانسا في النطق.

### ٤- المماثلة الجزئية الرجعية:

وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني في الأول، وقد تحدث سيبويه عن هذا النوع في بابين من كتابه، الأول "باب الحرف الذي يُضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يُضارع بذلك الحرف وليس من موضعه"<sup>(٨١)</sup>، والثاني: "باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات"<sup>(٨٢)</sup>. ومن الواضح أنّ المصطلحات الحديثة تختلف عن مصطلحات سيبويه الذي دعا هذا النوع مضارعة. فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال يحدث فيها تماثل بتأثير الدال ويلحقها الجهر، نحو: مزدر في "مصدر"، والتزدير

٨٠- انظر أمثلتها في الكتاب ٤: ٤٦٧ - ٤٧٧.

٨١- الكتاب، ٤: ٤٧٧.

٨٢- الكتاب، ٤: ٤٧٩.

في "التصدير" .. وقد شُبَّه بهذه الصاد الساكنة قبل الدال صادات متحركة لا تلحقها الدال نحو: مزادر في "مصادر"، وزراط في "صراط".  
والسين إذا كانت قبل الدال تتأثر بها ويتغير صوتها للتماثل النطقي الرجعي، نحو: يزدلُ ثوبه في "يسدل ثوبه". وقد تقلب هذه السين صاداً في بعض اللغات، وذلك إذا جاء بعدها القاف أو الغين أو الخاء، نحو: صُقْتُ في "سُقْتُ"، وصالغ في "سالغ"، وصلخ في "سلخ"، وقد تقلب صاداً لُقُرب المخرجين والإطباق كصاطع في "ساطع".  
والشين والجيم يتبادلان هذا التأثير عن طريق المماثلة إذا كانت الدال بعدهما، نحو: أجدق في "أشدق"، وأشدر في "أجدر"، واشتمعوا في "اجتمعوا".  
ومثل ذلك صوت الباء الذي يؤثر في النون قبله فتصبح ميماً نحو: امبعث في "انبعث"، وعمبر في "عنبر"، وشمباء في "سنباء". وقد تحدث سيبويه عن ذلك في باب البدل وفي أبواب أخرى تتصل بالإدغام<sup>(٨٣)</sup>.

### بالمخالفة:

"هي تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين<sup>(٨٤)</sup>. وهي عكس المماثلة، ولكنها تحدث بصورة أقل منها. وقد تحدث سيبويه عن هذه المخالفة في باب يتصل بالإبدال عنده، سماه "باب ما شذَّ فأبدل مكان اللام الباء لكرامية التضعيف، وليس بمطرد<sup>(٨٥)</sup>، وذلك نحو: تسرَّيت من تسرَّرت، وتظنَّيت من تظنَّنت، ونقصَّيت من القصة...  
وقد تكون هذه المخالفة عند سيبويه في التخفيف غير المطرد، وتحدث عن ذلك في "باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد<sup>(٨٦)</sup>، نحو: سيتُّ من سيدسُّ، وودُّ عند تميم وويذُّ عند الحجازيين، وأحست من: أحسستُ، ومستُّ من: مسستُ، وظلَّت من: ظللتُ، واستخد من: اتخذ، وطَّجع من: اضطجع، ويستيع من: يستطيع، وبلعنبر من: بني العنبر، وبلحارث من: بني الحارث، وعلماء من: على الماء.

٨٣- انظر: الكتاب، ٤: ٢٤٠، ٤٥٣.

٨٤- دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٩، وانظر أيضاً البحث اللغوي عند العرب د أحمد مختار عمر ص ١٣٤.

٨٥- الكتاب ٤: ٢٤٤، وانظر أيضاً التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب ص ٤٠.

٨٦- الكتاب ٤: ٤٨١.

## الخاتمة ونتائج البحث :

يتبين مما سبق أن سيبويه كان أحياناً يصرّح بالظاهرة اللغوية، وأحياناً أخرى يتركها على إطلاقها، وهذا كثير جداً في كتابه<sup>(٨٧)</sup>. كما كان يُكثِرُ من الحديث عن اللهجات في أثناء تناوله الظاهرة، مصرّحاً أحياناً بأن هذه الظاهرة موجودة عند بعض العرب دون غيرهم<sup>(٨٨)</sup>. وهذا ما جعل ظواهره تحمل مادّةً ثريّةً جداً لدراسة اللهجات العربية. وأظنّ أنّ غايته من ذلك هي حرصه الشديد على تقديم اللغة في أدقّ وصفٍ وأكمل وجه. ومما يلاحظ عليه أنّه لم يضع مصطلحات تميز في وضوح قطاعات الأصوات، كما لم يميز بناء الكلمات عن بناء الجملة؛ لأنّ كل ذلك يدخل عنده في مجال واحد هو النحو. ولكنّ هذا لا يقلل من جهود سيبويه في دراسته الصوتية التي تأثر بها علماء اللغة على مدى قرون. فقد ظلّ القدماء يدورون في فلكه، ويرددون عباراته ومصطلحاته، وتأثر بكتابه كلّ من جاء بعده من النحاة واللغويين؛ لا في آرائه النحوية فحسب، بل في آرائه الصوتية كذلك، كالمبرد وابن جني والزمخشري، وشارح كتابه ابن يعيش، وغيرهم .

أما المحدثون فقد خالفوا سيبويه في بعض مواقفه، ولكن خلافتهم يبقى خلافاً جزئياً، مجاله الواسع هو المصطلحات لا المادة، ومردّه البعد الزمني بينهم وبين سيبويه، وتقدم العلم والاستعانة بآلات إنتاج الأصوات والمخابر اللغوية وغير ذلك. فبقي الخلط أحياناً بين بعض هذه الأصوات .

ويبدو هذا جلياً واضحاً في أثناء حديثه عن الهمزة عندما جعلها مع أصوات المد والعلّة في حقل واحد .

والحقيقة التي يستطيع الباحث أن يخطّها هي أن سيبويه تناول الأصوات اللغوية من مبدأ صحيح، وهو دراستها دراسة وصفية تقوم على الملاحظة الذاتية والبعد عن الافتراض والتأويل .

٨٧- انظر مثلاً: الكتاب ٤: ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣ ...

٨٨- انظر مثلاً: الكتاب ٤: ١٢٥، ١٤٠، ٤٣٧ ...

## المصادر والمراجع

- ١- ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٤ م.
- ٢- ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبّي القاهرة.
- ٣- حسّان، تمّام، مناهج البحث في اللغة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩ م.
- ٤- السعران، محمود، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٩٩٢م.
- ٥- سيبويه، الكتاب، تحقيق السيّد عبد السّلام محمّد هارون، عالم، الكتب، بيروت.
- ٦- عبد التّوّاب، رمضان، التّطوّر اللغويّ مظهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرّفاعي بالرياض.
- ٧- عبد التّوّاب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.
- ٨- عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتيّ للبنية العربيّة (رؤية جديدة في الصّرف العربيّ)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ٩- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ١٠- عمر، أحمد مختار، دراسة الصّوت اللغويّ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م.

## أنواع البديع في العصر المملوكي (عددتها وتقسيم بعض أنواعها)

د. علي حيدر\*

### الملخص

ربما كان من أصعب الأمور على دارس علم البلاغة في العصر المملوكي، أن يستطيع حصر أنواع «البديع» الذي كان سمة مميزة للذوق الأدبي في هذا العصر. ويبدو أن أصحاب البديع اختلفوا في عددها وفي أنواعها وفي تسمياتها، ولم يتفقوا على أهميتها ودورها في العملية الإبداعية. لذلك يقوم هذا البحث بمحاولة فهم أسباب هذا الاضطراب من خلال مقارنة بين أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع، كذلك يعرض لأهم الأنواع البيانية والبديعية التي تعرضت للتقسيم والتفريع مما جعل الإلمام بها أمراً في غاية الصعوبة.

**كلمات مفتاحية:** بديع - أنواع - تقسيم - مملوك - اضطراب.

### مقدمة:

بدأ القرن السابع الهجري بظهور كتابين في علم البلاغة كان لهما تأثير واضح في مؤلفات العصر المملوكي، الأول كتاب «مفتاح العلوم»<sup>(١)</sup> لأبي يعقوب السكاكي<sup>(٢)</sup> (ت ٦٢٦هـ) والثاني «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»<sup>(٣)</sup> لابن الأثير الجزري<sup>(٤)</sup> (ت ٦٣٧هـ).

\* أستاذ في قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة تشرين .

١ - نعتد في هذا البحث إصدار دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

٢ - ترجمته في مقدمة كتاب «مفتاح العلوم» .

٣ - نعتد في هذا البحث إصدار مطبعة نهضة مصر التي حققها وقدم لها أحمد الحوفي وبدوي طانة - الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م .

٤ - ترجمته في وفيات الأعيان، ٥: ٣٨٩ - ٣٩٧، وفي مقدمة كتابه «المثل السائر»

اشتهر الكتاب الأول «ولاسيما القسم الثالث منه» بأنه أول كتاب قام بتبويب علم البلاغة وتنسيق أنواعه، إذ جعل البلاغة علمين : علم المعاني وعلم البيان، ثم ألحق البديع بهما، لأنه علم لا يؤثر في فصاحة الكلام وبلاغته، بل هو يزيده حسناً .

بينما عرض ابن الأثير في كتابه، الذي جاء في مقدمة ومقالتين، لفنون الكتابة وأركانها، ثم تناول اللفظ المفرد<sup>(٥)</sup>، واللفظ في السياق<sup>(٦)</sup>، ذكراً من خلال ذلك أنواعاً بديعية تختص باللفظ المفرد، وأنواعاً أخرى تتناول تركيب الكلام وفصاحته وبلاغته، من غير أن يشير إلى أنها تختص بعلم المعاني، أو علم البيان.

### أهمية البحث وأهدافه :

تكمن أهمية هذا البحث في الوصول إلى بعض أسباب تعقيد علم البلاغة في العصر المملوكي.

### منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التكاملي.

### عدد أنواع البديع :

حوالي منتصف هذا القرن «السابع الهجري» ظهر كتاب «بديع القرآن»<sup>(٧)</sup> لابن أبي الإصبع المصري<sup>(٨)</sup> (ت ٦٥٤ هـ). يوضح هذا الكتاب تطور ظهور كثير من الأنواع البديعية، لأن المؤلف يشير في مقدمته إلى أنه جمع كتابه اعتماداً على ستة وثمانين كتاباً نص عليها بالاسم، وأنه جمع في كتابه «تحرير التحبير»<sup>(٩)</sup> مئة وستة وعشرين نوعاً بديعياً، ثم أفرد منها ما يختص بالقرآن الكريم في كتابه هذا، فكان لديه

٥ - الخلل السائر، ١: ٢١٠-٢١٤ .

٦ - المصدر السابق، الجزءان الثاني والثالث.

٧ - قدم له وحققه حفي شرف، مكتبة هضبة مصر - الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م .

٨ - ترجمته: فوات الوفيات، ٣٧٤/١، وشذرات الذهب، ٥: ٤٣٩. ومقدمة كتابه «بديع القرآن»، ٦٧-٩٦ .

٩ - لم نجده مطبوعاً وقد أشار إليه محقق كتاب البديع وذكر أنه مخطوط رقم ٤٦٥ بلاغة دون الإشارة إلى مكانه .

مئة وثمانية أنواع بديعية، أخذ منها سبعة عشر نوعاً عن ابن المعتز<sup>(١٠)</sup>، وأخذ ثلاثة عشر نوعاً عن قدامة بن جعفر<sup>(١١)</sup> وأخذ تسعة وأربعين نوعاً عن جأؤوا بعد قدامة<sup>(١٢)</sup>. أما باقي الأنواع، وهي اثنان وثلاثون نوعاً، فقد ادعى أنها من اختراعه ولم يسبقه إليها أحد. لكن الحقيقة أن معظم هذه الأنواع موجودة عند أسلافه بأسماء مختلفة، أو مشابهة في دلالتها وغرضها البديعي، لكن هذا لا ينفي أهمية هذا الكتاب، فقد صار مصدراً يعتمد عليه أهل البديع، حتى إن السيوطي<sup>(١٣)</sup> (ت ٩١١ هـ) أخذ عنه هذه الأنواع، واعتمدها في كتاب «لإتقان في علون القرآن»<sup>(١٤)</sup>.

في منتصف القرن الثامن الهجري، نجد أن أنواع البديع قد بلغت في بديعية صفي الدين الحلبي مئة وخمسة وأربعين نوعاً<sup>(١٥)</sup>. وهذه البديعية كانت إحدى أربع بديعيات قارن بينها ابن حجة الحموي<sup>(١٦)</sup> (ت ٨٣٧ هـ) في القرن التاسع، فكان من هذه المقارنة كتابه المشهور «خزانة الأدب وغاية الأرب»<sup>(١٧)</sup>.

هذا التفاوت الكبير بين عدد أنواع البديع التي جاءت عند السكاكي وابن الأثير، تلك التي جاءت عند ابن أبي الأصبغ، وتكررت عند الحلبي وابن حجة الحموي من بعده، يظهر بوضوح ميل الذوق الأدبي والنقدي في العصر المملوكي إلى اختراع الأنواع البديعية، وإلى الإسراف في تقسيم هذه الأنواع وتفرعها، حتى أصبحت الإحاطة بها وفهمها أمراً صعب المنال، ويمكن رد ذلك إلى سببين أساسيين هما:

### ١ - اختراع الأنواع البديعية وإدخال أنواع ليست من البديع:

جعل السكاكي علم البلاغة في علمين اثنين هما علم المعاني وعلم البيان، وألحق

١٠ - بديع القرآن، ١٧-٦٤، تبدأ بالاستعارة وتنتهي بـ «حسن الابتداعات» .

١١ - المصدر السابق، ٦٥-٨٧، تبدأ بـ «صحة الأقسام» وتنتهي بـ «الإيغال» .

١٢ - المصدر السابق، ٩٣-٢٣١. أولها «الاحتراس» وآخرها «التوعم» .

١٣ - ترجمته: بخط يده في مقدمة كتابه «الإتقان»، ١: ٤-٥ و ٦-٧ .

١٤ - نعتمد طبعة منشورات الرضي - زاهدي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء .

١٥ - ديوان الحلبي، ٦٧٦ - ٧٥٠ هـ. فيها سبعة أنواع من الجنس ثم في كل بيت نوع بديعي محدد .

١٦ - ترجمته، شذرات الذهب، ٢١٩/٧، وفي «الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني»، عمر موسى باشا، ١:

٤٩٤ - ٥٠٨ .

١٧ - نعتمد طبعة دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت - صدرت في مجلد واحد بأوراق من القطع الكبير.

بهما فنون البديع بوصفها فنوناً تحسن الكلام لكن لا تؤثر في فصاحته وبلاغته. هذا التقسيم اتبعه جماعة ولاسيما القزويني (ت ٧٣٩هـ)، وشرّاح التلخيص<sup>(١٨)</sup>، مما يفسر قلة أنواع البديع عندهم.

لكن بعض الأدباء والنقاد في العصر المملوكي ومنهم ابن أبي الإصبع وابن حجة الحموي لم يتبعوا هذا التقسيم واستخدموا مصطلح «البديع» استخداماً مطابقاً لعلم البلاغة.

هذا يفسر كثرة الأنواع البديعية التي ذكروها، لذلك نجدهم قد أدرجوا التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية في أنواع البديع، وهي من أركان علم البيان، كذلك أدرجوا الحذف، والمبالغة والالتفات وغيرها، وهي أنواع تدخل في علم المعاني أي في الإيجاز والإطناب.

أي أن هؤلاء لم يعترفوا بتقسيم السكاكي، وظلوا على استخدام مصطلح البديع الذي كان سائداً قبل السكاكي، والذي كان يعني الإبداع الفني، وليس بمفهوم العصر المملوكي الذي جعل البديع أنواعاً تحصى في النص من غير أن ينظر إلى تأثيرها الفني فيه.

كذلك أدخل هؤلاء في البديع ما ليس منه، مثل «السهولة» و«الرقعة»، و«الانسجام»<sup>(١٩)</sup>.

وهي أحكام نقدية لا تطلق عادة على فقرة نثرية أو بيت شعري، بل تطلق على نصوص كاملة أو إنتاج كامل لأحد الأدباء. كذلك جعلوا من الأبيات الشعرية التي تحمل شيئاً من الحكمة وتسير بين الناس نوعاً بديعياً سماه ابن حجة «إرسال المثل»، وجاء باسم «التمثيل» عند ابن أبي الإصبع<sup>(٢٠)</sup>. وجعل ابن حجة «الأحاجي والألغاز» نوعاً بديعياً، وكان ابن الأثير قد سبقه إلى ذلك<sup>(٢١)</sup>، ولكن هذا النوع هو ظاهرة فنية تعتمد الغموض مما يجعلها لا تحسن الكلام، وهي مخالفة أصلاً لمفهوم الفصاحة والبلاغة.

١٨ — «تلخيص المفتاح» للقزويني ومن أشهر شراحه القزويني نفسه، وسعد الدين التفتازاني ومجاهد الدين السبكي.

١٩ — خزانة الأدب، ص ١٨٩ - ١٩٠.

٢٠ — المصدر السابق، ص ٣٤٠، وبديع القرآن، ص ٨٤ - ٨٨.

٢١ — المثل السائر، ٣: ص ٨٤ - ٩٥.

ولكثر أنواع البديع وجد أهله حالات يتنازعها أكثر من نوع بديعي، فسمى ابن أبي الإصبع هذه الحالة «الإبداع»<sup>(٢٢)</sup>، ونسب لنفسه فضل اكتشافها، بينما أطلق عليها ابن حجة اسم «المشوش»<sup>(٢٣)</sup>.

لذلك نجد عندهما حالات يعلقان فيها على فقرة أو بيت، فيستخرجان من أنواع البديع ما يزيد على عدد ألفاظه .

## ٢- التقسيم والتفريع في النوع الواحد:

وستتناول أشهر الأنواع التي خضعت لذلك، بادئين بـ «التورية»<sup>(٢٤)</sup>، أو «الإيهام» أو «التوجيه» وهي من مابعد قدامة بن جعفر، فقد وردت في «العمدة» لابن رشيق وفي بديع ابن منقذ، وقال عنها الزمخشري: إنها «باب في البيان ليس هناك ألطف منه ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله».

وإذا كان الجميع يتفقون على تعريفها بأنها لفظ مشترك يقصد الأديب منه المعنى البعيد، بينما يكون المعنى القريب الذي يتبادر إلى ذهن المتلقي غير مقصود، فإنهم اختلفوا في شواهدا.

فاين الأثير الجزري ذكرها في كتابه «المثل السائر» فيما سماه «المغالطات المعنوية»<sup>(٢٥)</sup> ورأى أنها أحلى ما استعمل في الكلام و ألطفه لما فيه من التورية، ويرى أنها نوعان:

**المغالطة المثلية:** وهي التي تقع في اللفظ المشترك وشاهده قول المتنبي:

برغم شبيب فارق سيف كفه      وكانا على العلات يلتقيان  
كأن رقاب الناس قالت لسيفه:      رفيقك قيسي وأنت يمانى

٢٢ - بديع القرآن، ص ٣٤٠ - ٣٤٣، وكره «الإيقان في علوم القرآن»، ص: ٣٣٠ - ٣٣١ .

٢٣ - خزنة الأدب، ص ٧١ .

٢٤ - وردت في العمدة، و بديع ابن منقذ، و في «المثل السائر»، ٣ : ٧٦ - ٨٣، و «مفتاح العلوم»، ٤٢٧، و «النخيص»، ٣٥٩ - ٣٦٠، و«بديع القرآن»، ١٠٢ - ١٠٣، و «الإيقان في علوم القرآن»، ٣ : ٢٨٥ - ٢٨٧ .

٢٥ - المثل السائر، ص: ٧٦ - ٨٢ .

فقد وقعت التورية في لفظ «يماني» الذي يشير إلى الرجل المنسوب إلى اليمن، وإلى السيف المصنوع في اليمن. وقد أورد ابن حجة الحموي هذين البيتين شاهداً على التورية، ورأى أنهما أول شاهد وقع عليه أصحاب البديع في التورية<sup>(٢٦)</sup>.

أما المغالطة الضدية: فهي تقع في لفظ من الأضداد، أي يحمل معنيين متضادين. ومن الشواهد التي يسوقها ابن الأثير قول أحدهم:

وَحَاطَتْكُمْ بَعْضَ الْقُرْآنِ بَعْضُهُ  
فَجَعَلْتُمْ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ

ومن الواضح أن الشاهد لا يشير إلى تضاد في لفظ «الشعراء» أو لفظ «الأنعام» فهما يدخلان في المشترك اللفظي، الشعراء جمع شاعر، وسورة الشعراء، وكذلك الأنعام التي تربي لفائدة الإنسان، وسورة الأنعام.

والشاهد الثاني الذي يسوقه ابن الأثير قول أحدهم، وهو وارد في لسان العرب في

مادة «نفق»:

وَمَا أَشْيَاءُ تُشْرِيهَا بِمَالٍ  
فَإِنْ نَفَقَتْ فَأَكْسَدُ مَا تَكُونُ

ويذكر أن «نفق» بمعنى راج، ونفقت الدابة ماتت. وهذا الشاهد أيضاً لا يحمل معنى التضاد، فنفوق الدابة ورواجها يعني ذهابها ونفادها، والسلعة حين تروج تنفق في الأسواق. وأعتقد أن هذا الشاهد يدخل في باب الأحاجي والألغاز وليس في باب التورية.

أما الشواهد الأخرى فقد تناولها أصحاب البديع وكرروها، ومن أشهرها الشاهد الذي نقله السيوطي عن الزمخشري، وهو قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» وقد كرره السكاكي، ونقله القزويني عنه وذكره ابن أبي الإصبع والسيوطي في نهاية العصر المملوكي<sup>(٢٧)</sup>. وهو الشاهد على التورية «المجردة» أي ليس فيها ما يشير إلى المعنى القريب أو البعيد. أما التورية «المرشحة» التي فيها لفظ يلائم المعنى القريب فهو قوله تعالى: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» في الشاهد الأول وقعت التورية في «استوى» الذي له معنى قريب وهو الاستقرار بينما المعنى البعيد هو «الاستيلاء». والشاهد

٢٦ — خزانة الأدب، ص ٢٣٩ وما بعدها.

٢٧ — بديع القرآن، ص ١٠٢-١٠٣. الإتيان في علوم القرآن، ٣: ص ٢١٧-٢٨٥. و التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٥٩-٣٦٠. والآية طه ٥.

الثاني وقوع التورية في «اليد» التي تعني الجارحة وهو المعنى القريب، ورشحه هذا المعنى قوله «بيناها»، بينما المعنى البعيد هو «القدرة».

ومن الملاحظ أن هذين الشاهدين يندرجان في باب المجاز المرسل، لأنهما لا يحملان معنى الاشتراك اللفظي، فاستوى يتضمن معنى الاستقرار لكنه لا يتضمن بالضرورة معنى الاستيلاء. أما اليد فليس من معناها القدرة بل هي من لوازمها.

ولا يندرج هذان الشاهدان في باب التورية إلا إذا أخذنا بتعريفها الذي جاء به السيوطي في آخر العصر المملوكي، إذ عرفها بأنها لفظ له معنيان، إما بالاشتراك وإما بالتواطؤ أو بالحقيقة أو المجاز<sup>(٢٨)</sup>، وهذا التعريف يوسع مفهوم التورية ويدخل فيها ما ليس منها، لأن التواطؤ هو عرف لغوي، وقد يكون فقهياً، والحقيقة والمجاز هما أوسع بكثير من مفهوم التورية.

كانت التورية في عصر ابن حجة تياراً أدبياً، ونوعاً بديعياً يتنافس فيه المتنافسون، وشغلت التورية ما يقرب من ربع كتاب ابن حجة «خزانة الأدب»<sup>(٢٩)</sup>.

وقد أسرف هذا الأديب الناقد في الاستشهاد بشواهد عن التورية من إنتاج معاصريه، ولم يكتف بذكر التورية المرشحة التي تتضمن ما يشير إلى المعنى القريب غير المقصود، بل زاد أيضاً التورية المبينة وهي التي تتضمن إشارة إلى المعنى البعيد. ثم زاد في تقسيماتها بحسب ورود اللفظ الذي يشير إلى أحد المعنيين هل هو قبل التورية أو بعدها. وهكذا أصبحت التورية فناً بديعياً فيه كثير من التفصيل والتفريع فزادت غموضاً واتساعاً.

ولم تسلم الأنواع الأخرى ولا سيما المشهورة منها من اختلاف أهل البديع فيها. فمن ذلك الاستعارة التي كانت من أكثر الأنواع بحثاً وتصنيفاً واختلافاً في التقسيم، بدءاً من «البيان والتبيين» للجاحظ، و«قواعد الشعر» لثعلب وانتهاء بـ «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي.

يرى ابن الأثير أن حدّ الاستعارة هو طي المستعار له وذكر المستعار مع وجود مشاركة بين طرفي الاستعارة «المستعار له والمستعار منه»، ووجود قرينة تشير إلى

٢٨ — الإتقان في علوم القرآن، ٣: ص ٢٨٥. والآية: الناريات ٤٧.

٢٩ — خزانة الأدب، ص ٢٣٩ - ٣٤٥، وهذه الصفحات تعادل ربع الكتاب.

وقوع المجاز. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» فاستعار الأودية للفنون، ويبدو أن ابن الأثير لا يعترف إلا بالاستعارة التصريحية. أما الاستعارة المكنية وغيرها من أنواع المجاز فيعدها من باب التوسع في الكلام، لذلك فإن قول امرئ القيس:

فَقَلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ  
وَأُرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّكَلٍ

ليس من الاستعارة لأن الليل مذكور سابقاً.

وكذلك قوله (ص): «هَذَا جَبَلٌ نُحْبُهُ وَيُحِبُّنَا» هو من التوسع في الكلام لأنه لا مناسبة بين الجبل والمحبة<sup>(٣٠)</sup>.

أما معاصره السكاكي فقد جعل الاستعارة تصريحية و مكنية، ثم قسم التصريحية إلى تحقيقية لأن المشبه المحذوف متحقق حساً وعقلاً، و تخيلية لأن المشبه المحذوف محض خيال ومن شواهدا «المنية وأظفارها ، ونطقت الحال» وهو هنا يخلط بين التصريحية والمكنية. ثم جعل للتصريحية قسماً ثالثاً، كما يقتضيه المنطق وهو النوع الذي يحتمل التحقيق والتخييل.

ثم يذكر الاستعارة المكنية ويكرر شاهده اللذين ذكرهما في نوع التصريحية التخيلية<sup>(٣١)</sup>. ثم قسمها إلى أصلية وتبعية وفق جمود لفظها أو اشتقاقها<sup>(٣٢)</sup>. ثم ذكر تقسيماً آخر وفق مايرافق الاستعارة من ألفاظ تشير إلى أحد الطرفين، فهي مرشحة إذا كان هناك لفظ يشير إلى المشبه به، ومجردة إذا كان فيها لفظ يشير إلى المشبه. ووفق المنطق هناك نوع ثالث خالٍ من الإشارة إلى أحد الطرفين، ويقصد الاستعارة المطلقة دون أن ينص على ذلك بالاسم.

ويختم السكاكي الحديث عن الاستعارة بالحديث عن أنواعها وفق المحسوس

٣٠ — المثل السائر، ٢: ص ٧٠ - ١١٥، وهو النوع الأول في المقالة الثانية (في الصناعة المعنوية) يميز الاستعارة من التشبيه المضمرة الأداة، يبين الفرق بين الاستعارة و التشبيه وفي ص ٨٣ يتناول حد الاستعارة، ثم يناقش أقوال الآخرين فيها ولاسيما أقوال ابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة»، وهو يجعل الاستعارة درجات جيدة، ووسط، ووردية. الشعراء: الآية ٢٢٥. أما الحديث فلم تقع عليه في الصحيحين (مع ملاحظة ٣١).

٣١ — مفتاح العلوم، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

٣٢ — المصدر السابق، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

والمعقول، ويعد منها خمسة أنواع<sup>(٣٣)</sup>، وقد خصص القزويني، بدوره، صفحات لدراسة الاستعارة، وذكر ما جاء عند السكاكي ولم يوافق في بعض ما جاء به من تقسيمات للاستعارة<sup>(٣٤)</sup>. ونجد ما يشبه هذه التقسيمات عند ابن حجة الحموي<sup>(٣٥)</sup>، وعند السيوطي الذي تحدث عن أركان الاستعارة وعن الفرق بينها وبين التشبيه البليغ. وقال إن أقسامها كثيرة، فمن حيث أركانها الثلاثة (المستعار له والمستعار منه والجامع بينهما) قسمها إلى أقسام وفق المحسوس والعقلي. ثم أضاف: إنها وفق لفظها، فهي أصلية إذا كان اللفظ الذي وقعت فيه جامداً، وتبعية إذا كان مشتقاً، وهي مكنية إذا حذف المشبه به، وتصريحية إذا حذف المشبه.

في تقسيم آخر هي وفاقية إذا كان وقوع الاستعارة ممكناً، وعنادية إذا كان وجودها مستحيلاً. ثم هي مرشحة إذا اقترنت بما يشير إلى المستعار منه، ومجردة إذا اقترنت بما يلائم المستعار له، ومطلقة إذا خلت من الإشارة إلى أحد الطرفين<sup>(٣٦)</sup>. ويختم الحديث عن الاستعارة بذكر الاستعارة التمثيلية باعتبار وجه الشبه المنتزع من متعدد.

وكان للتشبيه أيضاً نصيبه من التقسيم والتفريع. وهو من أقدم الأنواع البديعية تتوالى فهو موجود في «الكتاب» لسبويه، ولم يغفله كتاب في البلاغة بعد ذلك<sup>(٣٧)</sup>.

ذكره ابن الأثير، ورأى أن التشبيه والتمثيل شيء واحد. ثم قسم التشبيه المضمرة الأداة إلى أقسام خمسة حسب وقوعه في الجملة وجعل المثل المضروب آخرها التشبيه التمثيلي أو الاستعارة التمثيلية.

ثم قسم التشبيه إلى أربعة أقسام: تشبيه معنى بمعنى، وتشبيه صورة بصورة، تشبيه معنى بصورة، وأخيراً تشبيه صورة بمعنى. ثم ذكر أن كل قسم من هذه الأقسام يقسم بدوره إلى أربعة أقسام وهي: تشبيه مفرد بمفرد، ومركب بمركب،

٣٣ - المصدر السابق، ص ٣٨١ - ٣٨٧ ، ٣٨٨ - ٣٩٨ .

٣٤ - التلخيص في علوم البلاغة ، ص ٣٢٤ - ٣٣٥ .

٣٥ - خزانة الأدب ، ص ٢٣٩ - ٣٤٥ ، وهذه الصفحات تعادل ربع الكتاب .

٣٦ - الإتيان في علوم القرآن ، ٣ : ص ١٤٨ - ١٥٨ .

٣٧ - بديع القرآن ، ص ٥٨ - ٦٣ .

ومفرد بمركب، ومركب بمفرد. وأشار في الختام إلى أن هناك درجات للتشبيه من حيث بلاغته<sup>(٣٨)</sup>.

أما معاصره السكاكي فقد كان أكثر حرصاً على تقسيم التشبيه تقسيماً منطقياً، فقد قسمه من حيث طرفاه إلى طرفين حسيين أو طرفين عقليين أو عقلي وحسي، أو حسي وعقلي.

وقسمه أيضاً من حيث وجه الشبه إلى واحد و متعدد، والواحد إلى حسي وعقلي، والمتعدد إلى متعدد في حكم الواحد وهو حسي أو عقلي أو مختلط. ثم أغرق في التقسيم فقسمه وفق الغرض منه وهي أقسام كثيرة متعددة .

ثم ذكر أحوال التشبيه من حيث قربه أو بعده. وأخيراً ذكر مراتب التشبيه وفق أركانه الأربعة (مشبه ومشبه به وكلمة التشبيه، ووجه الشبه) ورأى أن التشبيه التام الأركان<sup>(٣٩)</sup> لا قوة فيه، وأن التشبيه البليغ الذي تسقط فيه الأداة ووجه الشبه هو أقواها.

وقد كرر القزويني في «التلخيص» ما ذكره السكاكي على نحو مختصر، وذكر تقسيمه من حيث طرفاه وفق الحسي والعقلي، ثم ذكر تقسيمه من حيث وجود أركانه ولاسيما وجود الأداة ووجه الشبه، وتلا ذلك تعدد أحد طرفي التشبيه، وختم الحديث عن التشبيه بالقول: إن أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة هو التشبيه الذي يحذف فيه الأداة ووجه الشبه ويقصد التشبيه البليغ. ثم يذكر حذف أحد طرفي التشبيه أي الاستعارة، ويرى أنه لا قوة لغيرهما<sup>(٤٠)</sup>.

وتكرر الحديث عن ذلك عند ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب». وقد تناوله السيوطي أيضاً في «الإتقان في علوم القرآن» وذكر تقسيمات مشابهة لما ذكره سابقوه وقسمه باعتبار طرفيه إلى حسي وعقلي، وباعتبار وجه الشبه إلى مفرد ومركب. وما ينتج من ذلك من تقسيمات. وقد قسمه أيضاً باعتبار ما تقع عليه الحاسة وما لا تقع عليه. أما بالنظر إلى أركانه فجعله مؤكداً بحذف الأداة، ومرسلاً بحذف وجه الشبه،

٣٨ — المثل السائر ، ٢ : ص ١١٦ - ١٧٠ .

٣٩ — مفتاح العلوم ، ص ٣٢٩ - ٣٤٩ .

٤٠ — التلخيص في علوم البلاغة ، ص ٢٣٨ - ٢٩١ .

وبليغاً بحذف الأداة ووجه الشبه، ومقلوباً عند عكس التشبيه أي بتشبيه الأقوى بالأضعف<sup>(٤١)</sup>.

ولعل «الجناس» أو «التجنيس» من أهم الأنواع البديعية التي تشهد على كلف أصحاب البديع بالتقسيم والتفريع والغموض أيضاً ولاسيما في العصر المملوكي.

هو نوع بديعي قديم ألف فيه الأصمعي، وذكره ابن المعتز، ولم يخل ذكره من كتب البلاغة وإعجاز القرآن<sup>(٤٢)</sup> وعلى الرغم من أن هذا النوع البديعي يختص بالناحية الصوتية و الموسيقية للنص، ولا علاقة له بالناحية المعنوية، فإنه كان من أكثر الأنواع تعقيداً نظراً لكثرة تفرعاته واختلاف تسمياته يذكر ابن الأثير أن أهل البلاغة اختلفوا في التجنيس، في تسمياته وفي ترتيبه. ويرى أن التجنيس الحقيقي هو اللفظ المشترك لأن شرطه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى. ويذكر أن بعضهم يجهل ذلك فأدخل في التجنيس ما ليس منه، ثم يذكر أنواعاً تشبه التجنيس<sup>(٤٣)</sup>.

أما السكاكي فرأى أن الجناس هو تشابه الكلمتين في اللفظ ولم يشترط اختلاف المعنى، مما يوحي بأنه يمكن أن يدخل فيه التكرار اللفظي ورد العجز على الصدر. وأخذ السكاكي في ذكر أنواع الجناس الذي اختلف فيه اللفظان بحرف واحد، وعرض شواهد لموقع هذين الحرفين في أول اللفظين أو في وسطهما أو في آخرهما وغير ذلك، ثم ذكر ما يلحق بالجناس<sup>(٤٤)</sup>، وقد أخذ عنه القزويني تعريف الجناس لكنه كان مختلفاً عنه في التقسيم والتفريع والتسميات، وأهم ما فعله القزويني أنه جعل الجناس التام ثلاثة أنواع هي: التام، والتام المماثل، والتام المستوفى.

ثم صنف بقية أنواع الجناس، وأخذ الملحق بالجناس عند السكاكي. لكن الاختلاف في التسميات جعل الأمر غامضاً على الرغم من أن نوع الجناس واحد<sup>(٤٥)</sup>.

وفي «بديع القرآن»<sup>(٤٦)</sup> يرى ابن أبي الإصبع أن الجناس أصلان. جناس مزوجة،

٤١ — خزانة الأدب، ص ١٨٣ - ١٨٩، الإتيان في علوم القرآن، ٣: ص ١٤٢ - ١٤٨.

٤٢ — بديع القرآن، ص ٢٧.

٤٣ — المثل السائر، ١: ص ٣٤٢ - ٣٦٠.

٤٤ — مفتاح العلوم، ص ٤٢٩.

٤٥ — التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٨٨ - ٣٩٢.

٤٦ — بديع القرآن، ص ٢٧ - ٣٠.

وجناس مناسبة، يتفرعان إلى عشرة فروع، منها ما هو لفظي ومنها ما هو معنوي. وعنده تخط أسماء الجناس ودلالاتها فمن ذلك ما يسميه جناس المزاجية وهو من المعنوي، ويمثل لذلك بقوله تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»<sup>(٤٧)</sup> ويرى أن لفظ «سيئة» الثانية سميت سيئة للمزاجية. كما يذكر جناس المناسبة وهو من اللفظي ومن أمثلته «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ»<sup>(٤٨)</sup> وهذا الشاهد جعله السكاكي من الملحق بالجناس نظراً لاختلاف أصل الاشتقاق فيه. أما بقية الأنواع ففيها أسماء متماثلة لما ذكره الآخرون لكن بدلالات مختلفة.

وعلى الرغم من أن السيوطي قد أخذ كثيراً عن ابن أبي الإصبع فإنه في نوع «الجناس»<sup>(٤٩)</sup> يخالفه في التسميات و التعريف، فقد اشترط أن يكون الجناس تماثلاً في اللفظ واختلافاً في المعنى، ولا يجوز أن يكون أحد اللفظين حقيقة و الثاني مجازاً، فلا بد أن يكون الجناس، إذاً، لفظاً مشتركاً. وهو يكرر كثيراً من أنواع الجناس ويختصها بنوع يسميه تجنيس الإطلاق وهو أن يجتمع اللفظان في المشابهة ومن أمثلته: «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ»<sup>(٥٠)</sup> «وَلِيْرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي»<sup>(٥١)</sup>. وهذا النوع كما هو واضح، هو الملحق بالجناس عند السكاكي و القزويني. وقد ذكر ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب» أنواعاً مشابهة لما ذكره هؤلاء في موضوع الجناس، واختلفت عنده بعض التسميات لبعض أنواع الجناس، لكن ابن حجة الحموي انفرد في إدخال الجناس الذي هو تماثل صوتي يخدم موسيقا النص في غير مجاله، عندما أضاف أنواعاً من الجناس تتعلق بمعنى النص وليس بموسيقاه من ذلك ما أطلق عليه اسم «الجناس المعنوي»<sup>(٥٢)</sup> الذي يعرفه بأنه إضمار ركني التجنيس، و المجيء بما يرادف المضمرة للدلالة عليه. وشاهده على هذا النوع قول ابن عبدون، وقد اصطحب بخمر ترك بعضها إلى الليل

فصارت خلاً:

٤٧ - الشورى ، ٤٠ .

٤٨ - الروم ، ٤٣ .

٤٩ - الإيقان في علوم القرآن ، ٣ : ص ٣١٠ - ٣١٤ .

٥٠ - الرحمن ، ٥٤ .

٥١ - المائدة ، ٣١ .

٥٢ - خزانة الأدب ، ص ٤١ - ٤٢ .

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَأْسٌ مُدَامَةٌ      أُنْتَنَا بَطْعَمٌ عَهْدُهُ غَيْرٌ ثَابِتٌ  
حَكَتْ بِنْتُ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسِ صَبِيحَةً      وَأَمْسَتْ كَجِسْمِ الشَّنْفَرَى بَعْدَ ثَابِتٍ

وكان اسم بنت بسطام الصهباء، والشنفرى قال:

فَأَسْقِيهَا أَيَا سَوَادِ بْنِ عَمْرٍو      إِنْ جِسمِي مِنْ بَعْدِ خَالِي لَخَلٌ

ويرى ابن حجة الحموي أن هناك جناسين مضميرين الأول بين الصهباء بمعنى الخمر، والصهباء بنت بسطام، والثاني وقع في «خل» بين الخل بمعنى المادة الحامضة، و الخل بمعنى الرقيق المهزول.

وقد ذكر الصفدي البيت الأول في معرض حديثه عن أبيات المعاني. وليس عن الجنس. لكنه يضيف أن بنت بسطام هي الصهباء. وذكر أيضاً بيت الشنفرى المذكور آنفاً<sup>(٥٣)</sup>، ولا يخفى أن هذا النوع من الجنس يتجاوز الألغاز والأحاجي في غموضها، ولاشك في أنه من صنع أدباء قد تفرغوا لمثل هذه الأمور التي تدخل النص الأدبي في غموض يصعب إيضاحه.

ولم يكتفِ ابن حجة بذلك، بل ذكر نوعاً آخر من الجنس وهو ما يسميه «جناس الإشارة»<sup>(٥٤)</sup> ويعرفه بأنه محاولة الناظم أن يجانس بين لفظين، فلا يوافق الوزن فيلجأ إلى مرادف للفظ الأول. وشاهد هذا النوع هو قول امرأة من عقيل أراد قومها الرحيل:

فَمَا مَكْتَنَّا، دَامَ الْجَمَالُ عَلَيَكُمَا      بِثَهْلَانٍ إِلَّا أَنْ تُشَدَّ الْأَبَاعِرُ

أرادت أن تجانس بين الجمال والجمال، فأرغمها الوزن والروي على ذكر الأباعر بدل الجمال.

ويضيف ابن حجة نوعاً ثالثاً وهو «جناس الكناية»<sup>(٥٥)</sup> ويمثل لذلك بقول أحدهم:

وَتَحَتَّ الْبِرَاقِعُ مَقْلُوبُهَا      تَدْبُ عَلَى وَرْدٍ تِلْكَ الْخُدُودُ

فكنى عن العقارب بمقلوبها التي هي البراقع .

٥٣ - الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، ٢: ص ٣٧٢ .

٥٤ - خزنة الأدب ، ص ٤١ - ٤٢ .

٥٥ - المصدر السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

## الخاتمة والاستنتاجات:

وهكذا نجد أن كلف أصحاب البديع بالنفريع والتقسيم وإطلاق الأسماء وابتكار الأنواع البديعية قد أخرج علم البلاغة، ولاسيما علم البديع، عن مساره، وأضحى ميداناً معقداً غامضاً. ولو اكتفى هؤلاء بجعل الجنس تماثلاً صوتياً، أو لو اكتفوا بنوع الجنس التام في اللفظ المشترك وكل ما خالف ذلك سمي جناساً ناقصاً، ولو اكتفوا بدراسة التورية من حيث المغالطة المعنوية أو الإيهام، ولو اقتصر أمر الاستعارة على ما جاء به الجرجاني من حيث تأثيرها في النص، وكذلك بالنسبة للتشبيه، لوفر ذلك على الباحثين كثيراً من العناء والجهد.

## المصادر و المراجع :

- ١- ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٢- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الطبعة الأولى، مطبعة نهضة مصر، مصر، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
- ٣- ابن حجة الحموي، تقي الدين، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة و النشر، بيروت، من غير رقم طبعة ولا تاريخ .
- ٤- ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ .
- ٥- ابن العماد، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتبة التجارية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، بلا تاريخ.
- ٦- الحلبي، صفي الدين، الديوان، دار صادر، بيروت.
- ٧- السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٨- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، منشورات الرضى، زاهدي، من غير تاريخ ولا طبعة.
- ٩- الصفدي، صلاح الدين، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

## "المنهج السيميائي: آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته"

د. محمد خاقاني\* ود. رضا عامر\*\*

### المُلخَص:

عرف المنهج السيميائي في العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولات عدة في التعاطي مع الخطاب الشعري الحديث على وجه الخصوص، هذا ما أثار العديد من الإشكالات في كيفية مقارنة النص الأدبي مقارنة واعية على مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى التأويل واستنطاق النص بشكل لا يفسد دلالة المعاني الحقيقية للبنى العميقة، ومن هنا يعدّ نقد "الخطاب الشعري الحديث والمعاصر" من القضايا النقدية المهمة التي تناولها نقادنا المحدثون، في ظل المنهج السيميائي الممارس في تحليل علامات هذه النصوص دون المساس بهويتها العربية بلا إفراط أو تفريط.

والتحليل المقترح، لا يتوقف عند الإحالات إلى المعارف والعلوم المختلفة، وكذا لا ينتهي عند دلالة معينة، بل يفتح النص على سيل من المعارف المتنوعة، لأنه بالغ التنوع والتعدد، ويحيل إلى معارف وإيديولوجيات مختلفة، ولهذا فإن التحليل السيميائي يستوعب كل هذا ويضعه ضمن استراتيجياته. لقد أصبحت المقاربات النصّانية منهج بحث نقدي، ونظرية علمية تطرح العديد من التصورات والرؤى المنهجية والإجرائية في تناول النص العربي الحديث على مستوى التنظير أو الممارسة التطبيقية، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، خاصة أثناء التحليل.

وعليه تكشف هذه المداخلة عن أهمية المنهج "السيميائي" في مقارنة النص العربي الحديث، وأهم المشاكل التي يشكو منها الخطاب الشعري الحديث خاصة من خلط بين النقاد في تناول الظاهرة الأدبية، وطرق وأساليب التحليل التي تبقى محتشمة على مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى التأويل الصحيح في استنطاق النص.

**الكلمات المفتاحية:** السيميائية، النقد الأدبي، الأدب العربي الحديث

\* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان

\*\* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي - ميلة، الجزائر

## مدخل

تهدف هذه الورقة البحثية إلى مناقشة موضوع إشكالية البحث عن المنهج المناسب في الممارسة النقدية السليمة التي تعالج النص الأدبي بحذر شديد. ولما كان عدد كبير من الدراسات النقدية والمشاريع العلمية تدعي المنهجية في التعامل مع الإشكالية مجال الدراسة، دون وعي أصحابها بدور النصوص في تطور أفكار المنهج، حيث تتبنى معظم هذه الدراسات نسقاً شكلياً معيناً تظن معه بممارساتها أنها بلغت حدّ المنهجية؛ فإن النتيجة هي وجود حالة من الضبابية الفكرية – إذا جاز التعبير – يتم فيها تسطيح الأفكار والانحراف بالإشكاليات – بقصد أو بدون قصد – إلى عالم من سوء الفهم الذي يؤدي إلى صعوبة فهم الموضوع.

ولأنّ الباحثين يعتقدون أنّ التفكير بالمنهج للوصول إلى الفكر المنهجي في الدراسات النقدية العربية، يتطلب جهوداً بحثية جماعية مركبة يتم فيها الاهتمام بالفكر وزيادة الوعي بإشكالياته، كما يتم فيها الاهتمام بالممارسة الأكاديمية التي يفترض أنها تترجم، بشكل أو بآخر، الفكر المنهجي السائد؛ فإن محاولتنا الراهنة تطمح إلى معالجة الإشكالية في إطارها المعرفي العام، وفي سياقها الأدبي الخاص، لمساءلة التطور المعرفي الذي طرأ على المناهج النقدية العربية من خلال تتبع المنهج السيميائي أثناء مساعلة النصوص الشعرية الحديثة من أجل فهم معانيها ودلالاتها، وعليه نعثر على العديد من السيميائيين الذين لا يمكنهم الاستغناء عن علم العلامات لما أظهره من نجاعة في التحليل وكفاءة عالية في التشریح للبنى العميقة في شتى التخصصات النقدية الحديثة، ومختلف المعارف الإنسانية. إذا ما هي السيميولوجيا؟ وما هي مشاربها التاريخية، واتجاهاتها المختلفة؟

تكشف هذه المداخلة عن أهمية المناهج النقدية النصية، خاصة السيميائية منها؛ في مساعلة الخطاب الشعري الحديث وتعداد المشاكل المنهجية والفلسفية والمعرفية التي تصادف المحلل السيميائي أثناء تعامله مع الظاهرة الأدبية التي تبقى عصية أثناء المسح العلاماتي للبنى العميقة للنص المستنطق خاصة على مستوى آليات التحليل أو على مستوى التأويل الصحيح في استنطاق الدلالات العميقة للبنية النصية على اعتبار أنّ النص الشعري الحديث صعب المراس لما فيه من بنيات مفتوحة تحتاج إلى ناقد صاحب تجربة وممارسة نقدية واعية في تفكيك شفرات النص وعلاماته الغامضة.

### المحور الأول: الجذور التاريخية للمنهج السيميائي

يكاد يجمع الدارسون على أنّ الإرهاصات الأولى لعلم السيميائيات تعود إلى الحضارة الإغريقية القديمة، إذ يمكن العثور على إشارات داخل الموروث الفكريّ الذي خلفه اليونان منذ القدم، تلك الإشارات التي يلتقي بعضها مع الكثير من الأفكار التي قالت بها السيميائيات الحديثة. وأهمّ ما يمكن إيرادها في هذا المجال هو تلك الجهود التي قام بها الرواقيون الذين عدّوا بحقّ السبّاقين في اعتبار العلامة تحوي دالا ومدلولا، كما يذهب إلى ذلك "أنبرتو إيكو"<sup>(١)</sup>، ولعلّ هذا التقسيم الذي حُفظ عن الرواقيين كان هو الأرضية الفكرية التي انطلقت منها السيميائيات الحديثة ممثلة في فارديناند دي سوسير<sup>(٢)</sup> الذي أعاد الاعتبار لهذا التصوّر من خلال تفريقه بين مصطلحي الدال والمدلول، كما سنرى في أثناء الحديث عن إسهامه في التأسيس لعلم السيميائيات الحديث، فنلمس -حينها- مدى المشابهة الواقعة بين جهود سوسير، وما قال به الرواقيون القدماء، مع اختلاف بينهم في الشبوع والتأثير في من جاء بعدهم.

أمّا المرحلة الثانية في تاريخ السيميائيات القديمة كما يقرّره عزّ الدين المناصرة، فهي تلك المحاولة التي قام بها القديس أوغسطين<sup>(٣)</sup> حول تشكيل نظرية تأويلية يتمّ تطبيقها على النصوص المقدسة، ثمّ يختفي مصطلح السيميائيات مدة طويلة ولا يظهر إلا في دراسة الفيلسوف الإنجليزي جون لوك<sup>(٤)</sup> (١٦٣٢-١٧٠٤) باسم «*Sémiotiké*»، وبدلالة جدّ متشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية<sup>(٥)</sup>.

أمّا المرحلة الثالثة التي يتوقّف عندها عزّ الدين المناصرة بعد هذا فهي مرحلة العصور الوسطى التي لا نعثر فيها على الشيء الكثير، ثمّ تجيء بعدها المرحلة الرابعة والتي بدأت تتشكّل فيها نظريّة العلامات والإشارات خلال القرن التاسع عشر؛ فنأتي على ذكر جهود الفيلسوف الألماني جون لوك<sup>(٦)</sup> الذي استخدم مصطلح سيميوطيقا "*Semiotics*"، وهو - عنده - علم يهتمّ بطبيعة الدلائل التي يستعملها

1- Anberto Iko

2- Ferdinand De Saussure

3- Agusteen

4- John Loke

6- Jhonn-Loukh

العقل البشري في أثناء العملية الإدراكية. ونجد من بين الدارسين الآخرين الذين أكدوا — بدورهم — أصالة التفكير العلامي وتجرده عند مختلف الشعوب القديمة الباحث جان ماري سشايفر<sup>(٧)</sup> الذي يرى أن ما وصلنا من تصوّرات وتأمّلات حول الظاهرة اللسانية تضمّنت العديد من المفاهيم الدلالية.

ويمكن أن نوجز هذه المحطّات السيميائية التي توقّف عندها سشايفر في أثناء حديثه عن تاريخ هذا العلم في النقاط الآتية:

- ١- جهود كلّ من أفلاطون وأرسطو في هذا المجال.
- ٢- جهود السفسطائيين.
- ٣- جهود القديس سانت أوغسطين، خاصّة في مجال تفرّيقه بين العلامات الطبيعيّة والعلامات التواصلية، وتمييزه بين وظيفة العلامات عند الحيوانات والبشر.
- ٤- الجهود التي قام بها الموديون، وخاصّة فيما يتعلّق بأفكارهم اللسانية التي كان لها حمولة علامية.
- ٥- جهود الفيلسوف الإسباني جوناسي بوانسوت<sup>(٨)</sup>، وخاصّة ما جاء في كتابه "فنّ المنطق" الذي ميّز فيه بين التمثيل والمعنى.
- ٦- إسهام جان لوك الذي يقترح مصطلح العلاماتية أو السيميائية بوصفه معرفة بالعلامات.

٧- جهود بيرس<sup>(٩)</sup> كمحطّة أخيرة شكّلت معها معالم هذا العلم بوضوح أكبر. ولا تختلف هذه المحطّات التي توقّف عندها سشايفر عن سابقتها التي قدّمها الدارس عزّ الدين المناصرة مع زيادة ضئيلة عند الثاني على أنّ كليهما أجلى حقيقة أصالة هذا العلم وقدمه في الفكر الغربيّ.

### أهمّ الاتجاهات السيميائية الغربية الحديثة:

#### سيمويولوجيا سوسير:

كان فرديناند دوسوسير<sup>(١٠)</sup> وما زال واحدا من أبرز أعلام البحث اللغويّ واللّساني في تاريخ البشريّة جمعاء لكونه صاحب أهمّ ثورة لغوية شهدها العصر الحديث، ثورة

7- J.M. Shypher

8- Jonnais

9- Pierce

10- Ferdinand De Saussure

انطلقت بعدها دراسات لغوية لسانية جادة لا تزال قائمة إلى يومنا، تدين في أغلبها لفكر وأبحاث هذا الرجل، وكل ذلك لم يجعل منه مؤسساً لمدرسة مهمة هي ما يسمى بمدرسة جونييف<sup>(١١)</sup> بل مؤسساً لعصر بأكمله من الدرس اللساني.

ومع ظهور كتابه "دروس في الألسنية العامة"، تلقت علوم اللغة واللسان دفقا جديدا نحو الترسخ والشمول. فأمام سيطرة الدراسات التاريخية والمعيارية للظاهرة اللغوية في الماضي أراد سوسير توجيه الأنظار إلى نوع آخر من الدراسة هي الدراسة الآنية الوصفية للظاهرة اللغوية ومن أهم المقولات التي جاء بها سوسير في اللغة هو اعتبارها نظاما من الإشارات يعبر بها بني البشر عما يدور في أذهانهم من أفكار وأحاسيس ومشاعر، مثلها في ذلك مثل باقي الأشكال الإشارية الأخرى.

بيد أن سوسير، يكفيه من خلال ما قدمه، أن يتنبأ بعلم السيميائية دون أن يعمد إلى تحديد الأطر العامة التي يقوم عليها هذا العلم، ولعل مرد ذلك أنه في هذه المرحلة من البحث كان حريصا بصفة خاصة على تحديد اللسانيات العامة، وبالأحرى موضوع اللسانيات، ومن هنا جعل "دي سوسير" اللغة «نظاما من العلامات، تعبر عن الأفكار، مثلها مثل أنظمة أخرى تشبهها، كأبجدية الصم، والإشارات العسكرية، وغيرها، ولكن اللغة هي أهم هذه الأنظمة العلاماتية»<sup>(١٢)</sup>، ويمكن وصفها نسقا من العلامات.

لقد رفض "دي سوسير" الفكرة التي ترى أن اللغة هي كومة من الكلمات المتركمة تدريجيا عبر الزمن، تؤدي وظيفة الإشارة إلى الأشياء في العلم، فالعلامة عنده مركبة من طرفين متصلين يمثلان «كيانا ثنائيا المبنى، يتكون من وجهين يشبهان وجهي العملة النقدية، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر»<sup>(١٣)</sup>، فالطرف الأول هو إشارة مكتوبة أو منطوقة، وهي "الدال، signifiant" أي الصورة الصوتية للمسمى، والطرف الثاني هو "المدلول، signifié" أو المفهوم الذي نعقله من الإشارة لها. ويمكن «تمثيل الفكرة»<sup>(١٤)</sup> كالآتي:

• ما يقبله دي سوسير: العلامة = الدال / المدلول = العلامة = الدال / المدلول

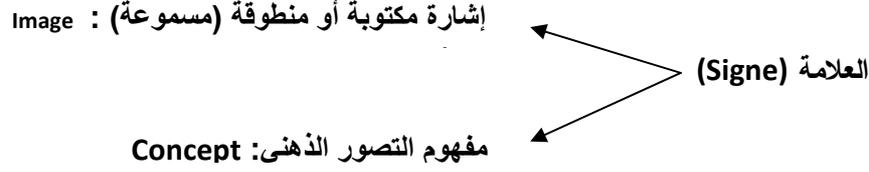
11- Jeneve

١٢ — توسان، ١٩٩٤، ص ١٤

13-Saussure,1973:108

١٤ — خلف، ٢٠٠٣، ص ٢٢

هكذا نصل إلى تحديد مفهوم العلامة «Signe» بأنها ذلك الكل المركب من الدال والمدلول ويمكن توضيح ذلك بيانياً:



ومن ثم فإنّ العلامة أو الدليل عند سوسير «وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً ويتطلب أحدهما الآخر»<sup>(١٥)</sup>، وعند عملية الجمع بين – الدال والمدلول – يتكون المعنى اللغوي، هذا وإنّ «العلامة لدى سوسير، قائمة على الدال والمدلول، مع إقصاء المرجع والعلاقة الموجودة بينهما اعتباطية»<sup>(١٦)</sup>، وهذا نجده بشكل واضح في بعض العلامات المحاكية للطبيعة (conomtopées) «كمواء القط، وخزير المياه»<sup>(١٧)</sup>. وتعدّ فكرة إهمال المرجع أو المشار إليه فكرة يكتنفها الغموض في علاقة الدال بالمدلول، إلى أن جاء "أوجدان وريتشاردز"<sup>(١٨)</sup>، وأكدّا على فكرة المشار إليه في كتابهما "معنى المعنى"، فالرمز يقابل الدال عند دي سوسير، و الفكرة تقابل المدلول، أما المشار إليه فلا وجود له عند سوسير، وعليه تنتوع العلامات تبعاً لتنوع المعارف الإنسانية، من ألفاظ وإشارات، ورموز، وآثار وإيماءات جعلت العلامة تنقسم إلى علامة لسانية، وأخرى غير لسانية، مما دفع بالنقاد إلى خوض غمار هذا العلم، ومن خلال البحث في أغواره، فإننا سنكون على أبواب مؤسس آخر للسيميائية، اختار لها اسم السيميوطيقا.

#### سيميوطيقا بيرس:

إذا كان بعض الدارسين يذهب إلى أنّ دي سوسير أوّل من بشرّ بعلم السيميائية الحديث حين قال أنّه من الممكن أن نتصوّر علماً يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الإجتماعية فإنّ الكثير منهم يرى أنّ المنشئ الأوّل والأب الشرعيّ لهذا العلم هو

١٥ – خلف، ٢٠٠٣، ص ٢٤

١٦ – هداوي، ١٩٩٧، ص ٨٨

١٧ – ابراهيم، ٢٠٠٤، ص ٧٦

المنطقيّ الأمريكيّ شارل ساندرس بيرس<sup>(١٩)</sup>، وإن كان سوسير ينطلق في تصوّره لعلم السيمياء من خلفية لسانية لغوية، فإنّ تصوّر بيرس لهذا العلم يقوم — أساسا — على المنطق والذي يراه مرادفا للسيمياء، ومنطق بيرس هو منطق العلاقات، ولا يسمح المنطق الشكلي كما تصوّره هذا العالم إلا بدراسة البنيات المحمولة من نوع "الموضوع محمول" ويحتوي هذا الشكل في جوهره على موضوع يكمن دوره في تعيين الشيء أو الأشياء المتحدث عنها، ويحتوي على محمول يعبر عن خاصية الشيء أو الأشياء، ويحتوي هذا الفعل الذي ليس له أي دور سوى ربط الموضوع بالمحمول، وهو يعد كرابطة "copule".

ومن هنا يصبح البحث في مجال السيميولوجيا بحثا هاما تحتاج إليه كلّ مناحي المعرفة. يقول بيرس: «ليس باستطاعتي أن أدرس كل شيء في هذا الكون كالرياضيات والأخلاق والميتافيزياء والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات والكيمياء وعلم التشريح المقارن وعلم النفس وعلم الأصوات وعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام والسكوت والرجال والنساء وعلم القياس والموازن إلا على أساس أنه نظام سيميولوجي»<sup>(٢٠)</sup>، ومنه أتصفّ الدرس السيميائي عند بيرس بالشمول والتنوع لتتنوع المعارف والمواضيع المدروسة.

ومن أهمّ ما جاء به بيرس في نظريته السيميائية هو تلك التقسيمات النظرية حول المنظومة الدلالية، ومنها ما عمد إليه حسب تصوّره الخاص إلى تقسيم العلامة أو الدليل إلى ثلاثة أقسام، يعرض إليها الدارس حنّون مبارك على النحو الآتي:

١- الممتل: الدليل باعتباره دليلا

٢- الموضوع: وهو ما يعنيه الدليل أو هو المعنى

٣- المؤول: وهو ما يجعل الدليل يحيل على موضوعه

ويعرض الدارس عادل فاخوري للتقسيم نفسه الذي قدّمه حنّون مبارك على اختلاف طفيف في البنية الاصطلاحية بينهما؛ وذلك حين يؤكّد على أنّ العلامة التي هي نموذج للمقولة الثلاثية تشكّل — إذن — من حيث الكنه علاقة ثلاثية بين ثلاثة أركان يطلق عليها بيرس أسماء العلامة بحدّ ذاتها، الموضوع، التعبير.

ومنه نجد أن مصطلح الممثل أو الذي يسميه بيرس العلامة بحدّ ذاتها يقابل مصطلح "الدال" عند سوسير، بينما يقابل مصطلح الموضوع عنده مصطلح "المدلول" عند سوسير ويتجاوز بيرس المقولة السوسيرية من خلال مصطلح التعبير أو المؤول، فلا وجود لهما في الطرح السوسيري، وتأسيسا على ما سبق نستطيع القول: إنّ بيرس في أثناء دراسة العلامة — كما يرى الدارس عدنان بن ذريل — راعى عاملين هامّين هما:

أ. عامل الطابع الطبيعي أو الاصطلاحي لها.

ب. عامل التفسير لها؛ أي فهمها من قبل المتعامل معها.

ونستطيع أن نذكر إلى جانب هذا التقسيم الهام تقسيما ثالثيا آخر جاء به بيرس حول طبيعة العلامة لا يقل أهمية عن سابقه، ويقوم هذا التقسيم على وصف العلاقة القائمة بين الدال ومدلوله، ومن المتاح لنا عرض هذا التقسيم على النحو الآتي:

١. الإشارة: تكون العلاقة فيها بين الدال والمدلول علاقة تجاورية في المكان، وهي ذات طابع بصري في مجملها، ومثل ذلك السهم الذي يشير إلى مكان معيّن أو حركة الأصبع وغيرها.

٢. الأيقونة: تكون العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول — في هذا القسم — علاقة تشابه، فتكون الأيقونة بهذا: شيء يؤدّي عمله ووظيفته كعلامة انطلاقا من سمات ذاتية تشبه المرجع أو المشار إليه، وهي بهذا صورة تحيل إلى متصور تكون العلاقة فيهما علاقة مشابهة، ومنه فالعلامة الأيقونية تُفهم من خلال فهم نظيرها المشابه لها، وذلك كعلامات المرور والصور الفوتوغرافية والخرائط وغيرها.

٣. الرمز: ومثاله الأول هو العلامة اللغوية كما تصوّرها سوسير من قبل، وإن كانت العلاقة بين الدال والمدلول تقوم على التجاور المكاني في الإشارة، وعلى التشابه في الأيقونة، فإنّ العلاقة التي تربط بين طرفي العلامة في الرمز هي علاقة محض عرفية وغير معلّلة، فلا يوجد بينهما تشابه، أو صلة فيزيقية، أو علاقة تجاور.

ولقد كان هذا التقسيم الثلاثي للعلامة أهمّ فارق تجاوز به بيرس مفهوم العلامة عند سوسير؛ ذلك أنّه لم يقتصر — في أثناء تصنيفاته — على العلامة اللغوية كما فعل سوسير، بل وسّع مجال العلامة ليشمل كلّ ما هو لغوي وغير لغوي كما لمسناه سالفا. ومن كل ما سبق ذكره بعد طرح سيميولوجيا "دي سوسير" وسيميوطيقا" بيرس نجد أن

اتجاهات السيميوطيقا تتوسع؛ فـ "محمد مفتاح" يفرغ النظريات اللسانية على التيار التداولي والتيار السيميائي والتيار الشعري، أما بيير جيرو فيحدد ثلاث وظائف أساسية للسيميولوجيا هي «وظيفية منطقية واجتماعية وجمالية»<sup>(٢١)</sup>، كما أن الناقد "مبارك حنون"، قد صنفها إلى عدة اتجاهات منها «سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة وتصور سوسير للسيميولوجيا، سيميوطيقا بيرس<sup>(٢٢)</sup>، ورمزية كاسيرار<sup>(٢٣)</sup> وسيميوطيقا الثقافة»<sup>(٢٤)</sup>، بينما نجد "محمد السرغيني" يحدد ثلاث اتجاهات أساسية هي: «الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي والاتجاه الروسي»<sup>(٢٥)</sup> بالإضافة إلى هؤلاء جميعا نجد "عواد علي" الذي يحصرها في ثلاث اتجاهات أيضا هي: سيمياء التواصل، سيمياء الدلالة، سيمياء الثقافة.

وهذا ما يجعل من «السيميائية سيميائيات لها فروع ولها انشاقات، ولهذه الاتجاهات مؤسسون وأنصار»<sup>(٢٦)</sup> كما سلف ذكره، حيث نجد أشهرها اتجاهات ثلاثة هي: أ - سيمياء التواصل ب - سيمياء الدلالة ج - سيمياء الثقافة، وكما سبق فقد أسهمت جميع هذه الاتجاهات في تيسير السبل لقراءات متعددة وأصلية للنصوص الأدبية طلبا للغائب من مفاهيمها واستجلاء للغامض من علاماتها.

تلکم باختصار لمحة عن المنهج السيميائي الذي تبلور في البيئة الثقافية الغربية، واستطاع - نتيجة لاعتبارات عدة - أن يقتحم عددا من الثقافات، ومنها الثقافة العربية التي استوردت في فترة من الفترات هذا المنهج ووظفته في معالجة الظاهرة الأدبية.

إنّ عملية انفتاح النص على القراءات المتجددة، وقدرته على البوح بأسرار جديدة تخص بناءه الإبداعي، تعتمد على أنّ النص «لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضاء دلالي وإمكاني تأويلي، ولذا فهو لا ينفصل عن قارئه ولا يتحقق من دون مساهمة القارئ، فكل قراءة تحقق إمكانا دلاليا لم يتحقق من قبل، كل قراءة هي

٢١ - حمداوي، ١٩٩٧، ص ٨٣

22- Pierce  
23- Cassirer

٢٤ - نفس المصدر، ص ٨٣

٢٥ - نفس المصدر، ص ٨٣

٢٦ - آريفيه، ٢٠٠٢، ص ٣١

اكتشاف جديد»<sup>(٢٧)</sup>.

### المحور الثاني: إشكالية مقارنة الخطاب الشعري الحديث سيميائيا

يرى النقد النصي أنّ أهم إشكال في عملية مقارنة النص الأدبي الحديث هو انعدام المشاركة الفعالة بين النص الذي ألفه المبدع والقارئ المتلقي، أي إنّ الفهم الحقيقي للأدب ينطلق من تموقع القارئ في مكانه الحقيقي وإعادة الاعتبار له باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه وهو كذلك القارئ الحقيقي له: تلذذا ونقدا وتفاعلا وحوارا، ويعني هذا أن العمل الأدبي لا تكتمل حياته وحركته الإبداعية إلا عن طريق القراءة وإعادة الإنتاج من جديد؛ لأن المؤلف ما هو إلا قارئ للأعمال السابقة وهذا ما يجعل التناص يلغي أبوة النصوص ومالكيتها الأصليين.

وعليه نجد الناقد "أيزر"<sup>(٢٨)</sup> يؤكد على أنّ العمل الأدبي له قطبان: قطب فني وقطب جمالي، فالقطب الفني يكمن في النص الذي يخلقه المؤلف من خلال البناء اللغوي وتسيبجه بالدلالات والتيمات المضمونية قصد تبليغ القارئ بحمولات النص المعرفية والإيديولوجية، أي إن القطب الفني يحمل معنى ودلالة وبناء شكليا، أما القطب الجمالي، فيكمن في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملموسة، أي يتحقق بصريا وذهنيا عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله، ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص واستكناه دلالاته والبحث عن المعاني الخفية والواضحة عبر ملء البياضات والفراغات للحصول على مقصود النص وتأويله انطلاقا من تجربة القارئ الخيالية والواقعية، ويجعل التأويل من القراءة فعلا حدثيا نسبيا لا يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة أو الوحيدة المتعالية عن الزمان والمكان.

ولا يكون العمل الإبداعي إلا من خلال المشاركة التواصلية الفعالة بين المؤلف والنص والجمهور القارئ، ويدل هذا على أنّ العمل الإبداعي يتكون من عنصرين أساسيين: النص الذي قوامه المعنى وهو يشكل أيضا تجربة الكاتب الواقعية والخيالية، والقارئ الذي يتقبل آثار النص سواء أكانت إيجابية أم سلبية في شكل استجابات

شعورية ونفسية، حيث يقول "ياوس"<sup>(٢٩)</sup> في هذا الصدد: «إذا أردنا كتابة تاريخ أدبي جديد، من خلال رسم يعيد تكوينه انطلاقاً من بقايا الأعمال والتفرعات التاريخية، والتأويلات، ودعاوي التواصل الأدبي المتخفاة تحته، علينا أن نسارع إلى تاريخ التجربة الجمالية ونظريتها، وتظهر لي ضرورة كل هذا لأنه يمنحنا (الجسر الهرمونيكي) لبلوغ حقب بعيدة في الزمان وفي الثقافات الأجنبية ذات التقليد الأوربي»<sup>(٣٠)</sup>.

ويشير "أيزر" أيضاً إلى مدى أهمية إعادة تاريخ الأدب الأوربي اعتماداً على شهادات القراء ورصد ردود قراءاتهم وأدواقهم الجمالية أثناء تفاعل ما هو شعوري مع ما هو لفظي (النص): «كيف يتم استقبال النص الأدبي من طرف جمهور معين؟ عن الأحكام الصادرة عن الآثار الأدبية تعكس بعض وجهات النظر وبعض الضوابط السائرة بين الجمهور المعاصر مما يجعل الدليل الثقافي المرتبط بهذه الأحكام، يمارس تأمله داخل الأدب، وهذا أيضاً صحيح حين يعمد تاريخ التلقي إلى شهادات القراء الذين يطلقون، عبر فترات مختلفة من الزمن، أحكاماً على أثر معين، وفي هذه الحالة، يكشف تاريخ التلقي الضوابط التي توجه هذه الأحكام مما يشكل نقطة انطلاق لتاريخ الذوق»<sup>(٣١)</sup>.

وعليه، فإنّ عملية نقد العمل الأدبي قد يراعي فيها أفق توقع القارئ عندما يستجيب لمعايير الفنية والجمالية والأجناسية عبر عمليات المشابهة النصية والمعرفة الخلفية وقواعد الأجناس والأنواع الأدبية التي تعرفها في نظرية الأدب، ولكن قد يخيب توقعه ويفاجأ إذا واجه نصاً حدثاً جديداً لم ينسجم مع القواعد التي يتسلح بها في مقارنة النص الأدبي.

فعندما نقرأ الروايات الكلاسيكية فإنها تراعي أفق انتظار القارئ الذي تعود على قراءتها من خلال معايير وآليات تجنيسية وتحليلية معروفة، بيد أنه إذا أعطيت لهذا القارئ الكلاسيكي رواية حدثية فإنها ستصدمه، وتشلّ تفكيره، ومن هنا كان لزاماً على متلقي النص الشعري الحديث في ضوء المناهج النصية كالبنيوية والأسلوبية

والتفكيكية والسيميائية والتداولية أن يراعي انحرافات النص الحدائث وفق الأطر والآليات التي تحلل النص تحليلًا لا يتعارض مع مضمونه ويحاول مقارنته حدائثًا وفق المنهج الذي يراه مناسبًا لعملية التأويل والتفكيك لمختلف شفراته اللغوية.

#### آلية مقارنة النص الشعري الحديث سيميائياً:

لقد نشأت في ذهن المتلقي للعمل الإبداعي الشعري الحديث، إichاءات النصوص وعناوينها، وأبعادها الفكرية المؤسسة « انفعالياً، أو أسلوبياً، أو حتى إيديولوجياً بحيث لا يبدأ المتلقي تلقي النص أو في قراءة العمل المبدع من نقطة الصفر، وإنما يبدأ مما يؤسس العنوان من معرفة أو إichاء»<sup>(٣٢)</sup>، وهكذا بدأت نصوص المؤلفين المعاصرين في ظلّ المناهج النصية يعلوها طابع الغموض والرمزية، والنزوع إلى الصياغة الأسطورية، وهذا ما يؤكد القول التالي الذي يرى « أن الشعر لم يكن في يوم من الأيام أقرب إلى روح الأسطورة منه في الوقت الحاضر»<sup>(٣٣)</sup> وهذا إما تمويهاً أو تضليلاً للمتلقي حتى لا يصادر الإنتاج أو يعرض صاحبه إلى الملاحقات السياسية أو المتابعات القضائية، كل هذا جعل المبدع يتحرى الحذر في إصداراته الفكرية خاصة الشعرية منها؛ فلغة الشعر تختلف عن لغة الاستعمال العادي وهذا ما أشار إليه ميشال ريفانير<sup>(٣٤)</sup> في قوله: « إن الشعر يعبر عن مفاهيم وأشياء تعبيراً غير مباشر وباختصار، إن القصيدة تقول شيئاً وتعني شيئاً آخر»<sup>(٣٥)</sup> لذا فإن قراءة النص الشعري الحديث تتطلب منا استنتاجاً صحيحاً لمعنى القصيدة، وهذا لا يتأتى إلا بالفحص الدقيق للكلمات التي تتكون منها.

ومما لا شك فيه أن شعرنا العربي قد تطور منذ بداية عصر النهضة في شكله ومضمونه إلى نهاية عصرنا المعاصر شكلاً ومضموناً، « فليس من مقارنة ممكنة بين ما نقرأه لقراءنا المعاصرين وما نقرأه في شعرنا القديم، فالقضايا غير القضايا، والدوافع لقول الشعر مختلفة والأهداف متباينة»<sup>(٣٦)</sup>؛ هذا ما يجعل من الشعر العربي

٣٢ - قطوس، ٢٠٠١، ص ٦٠.

٣٣ - فانون، ١٩٩١، ص ٥٧.

34- Michel Rivateer

٣٥ - ريفانير، ١٩٩٧، ص ٧.

٣٦ - مصايف، ١٩٨١، ص ٧١.

الحديث يرتقي في شكله ومضمونه من جانب الغموض والتصوير الفني والجمالي للصور والمشاهد التعبيرية للنص الذي «يتشكل ويتكيف حسب أهمية الإبداع ومتطلبات المبدع التي ترسم دروب مساره تدريجيا كما أن الطبيعة الإبداعية للفنان تتأثر بالاتجاهات الأخلاقية والدينية والسياسية والعلمية، والتعاليم الاجتماعية السائدة في المجتمع»<sup>(٣٧)</sup>.

وهكذا تنتوع العناوين الشعرية ومضامينها من مبدع لآخر، ومن عمل لآخر لتعكس ثنائية التفاعل بين النص والناص «فالقصيدية هي نتيجة تفاعل بين الشاعر وواقعه، والشاعر إذ يعيش تجربته الجمالية مستغرقا، فإنه يكون محملا بكل ما في عصره، وواقعه، وكل ما يتصل به من مؤثرات تتفاعل معه لتنتج قصيدة ذات صياغة فنية محكمة وتولد لحظة جمالية فائقة التركيز»<sup>(٣٨)</sup>، وهذا ما نجده ينطبق شكلا ومضمونا على النصوص الشعرية الاستقرازية التي تسم قضايا الأدب المعاصر، وإخفاقات الشاعر أو اتجاهاته عبر صيرورة إبداعه الفني. وقد تظن المبدع العربي المعاصر إلى أهمية العنوان التأويلية وجودته، فجعله ذلك يدقق وينقح عناوين دواوينه ونصوصه الشعرية ويخرجها من دائرة التقليد إلى دائرة الحيرة والتساؤل؛ لذلك قيل إن «العنوان الجميل هو بمثابة الوسيط الحقيقي للكتاب ويجعله سريع الرواج»<sup>(٣٩)</sup>.

ولعلّ النص الشعري الحديث يتمحور في ثلاثية، هي: "بؤرة العنوان/ الفاتحة النصية/ الخاتمة النصية" والتي تحيط بعنبة النص، وتعطيه صورته الحديثة التي عكست التجارب العديدة في إخراج النصوص في أتم نضجها الفكري. لهذا فـ «القصيدية مجموعة متتابعة من التجارب فيها الأصوات، والصور، والأفكار والعواطف نمر خلالها حين نقرؤها شعريا — على قدر الإمكان — وبهذه القراءة تختلف القصيدة من قارئ لآخر، أي أنها ذات وجوه متعددة لا يأتي عليها الحصر»<sup>(٤٠)</sup>، فكل قراءة جديدة هي إبداع جديد، فالنص الشعري نص هلامي يتغير حسب نفسية كل قارئ، ويتشكل حسب طبيعته، ويعكس انطباعاته الشعرية، والنقد العربي النصي لم يصل إلى

٣٧ — حجازي، ٢٠٠١، ص ٣٦.

٣٨ — الصياغ، ١٩٩٨، ص ١٢٧.

٤٠ — عباس، ١٩٩٦، ص ١٥٣.

استنطاق البنى العميقة للنصوص الشعرية إلا بعد بروز النقد النصّي في ظلّ المناهج النقدية الغربية، وخاصة المنهج العلاماتي.

ومن أهمّ الدّراسات العربية التي انصبت على مقارنة النصّ الشعري الحديث دراسة وتحليلاً وتصنيفاً نذكر بعض المقالات الموثقة في مختلف المجالات والدّراسات النقدية العربية الحديثة إلى غير ذلك من البحوث التي كان أصحابها سابقين إلى تعريف القارئ العربي بكيفية الاشتغال على مقارنة النصوص الشعرية الحديثة نصياً تنظيراً وتطبيقاً، كما ننوه إلى الدّراسات النقدية التي أنجزها بعض الباحثين في الملتقيات السيميائية في قسم الأدب العربي بجامعة "محمد خيضر- بسكرة/الجزائر" وأيضاً أعمال بعض السيميائيين المنشورة رقمياً، وهذه الدّراسات موضحة في الجدول الآتي:

عنوان المقال	صاحب المقال	الفعاليات النقدية للدراسة
سيمياء العنوان في ديوان مقام البوح لـ"عبد الله العثني".	شادية شقروش	الملتقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي ١٥-١٦ أبريل ٢٠٠٢ م جامعة محمد خيضر/ بسكرة
طلاس إيليا أبو ماضي - دراسة سيميائية	عمار شلواي	الملتقى الوطني الثاني: السيمياء والنص الأدبي ١٥-١٦ أبريل ٢٠٠٣ م جامعة محمد خيضر/ بسكرة
سيمائية العلامة في قصيدة (المهرولون) لزار قباني	بشير تاويريت	الملتقى الوطني الثالث: السيمياء والنص الأدبي ١٩-٢٠ أبريل ٢٠٠٤ م جامعة محمد خيضر/ بسكرة
شعرية المحموم/المفجوع/ الموجوع - مقارنة سيميولوجية تأولية في ديوان قصائد محمومة	عبد الغني بارة	
مقاربة سيميائية لنص شعري قصيدة حانفة لنازك الملائكة	منقور عبد الجليل	مجلة الموقف الأدبي - اتحاد الكتاب العرب عدد ٣٨٢ السنة الثانية و الثلاثون - شباط - ٢٠٠٣م - ذو الحجة - ١٤٢٣ هـ
أغنية المقاومة و نشيد الحرية مقاربة سيميائية لديوان الدرب الأخضر	نبيل سعيد مطبق	<a href="http://www.almolltaqa.com?t=45873.vb/showthread.php">http://www.almolltaqa.com?t=45873.vb/showthread.php</a>

ويلاحظ اليوم أن الكتابات النقدية الإبداعية النصانية سواء في الثقافة الغربية أم الثقافة العربية بدأت في خلخلة الجنس الأدبي، وتحطيم معايير النوعية ومقوماته النمطية باسم الحدائث والتجريب، فأصبحنا نتحدث عن القصيدة النثرية التي يتقاطع فيها الشعر والنثر، والقصيدة الدرامية التي ينصهر فيها الشعر والحوار المسرحي معاً، كما أصبحت الرواية فضاء تخيلياً لتتلاقح النصوص وتتداخل الخطابات والأجناس تتصا وتتهجين، دون أن ننسى المسرح الذي أصبح أباً للفنون والأجناس الأدبية بامتياز.

وهذا كله لم يفقد النص الشعري الحديث هويته، وأصالته العربية، حيث لقد تم مقارنة الجنس الأدبي انطلاقاً من زوايا منهجية متعددة، فهناك دراسات تركز على الشكل، وأخرى على المضمون، والبعض الآخر على الوظيفة، ويمكن تحديد بعض المناهج المعتمدة في تلك الدراسات، نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً - المقاربة الاجتماعية: (لوكاش - باختين - غولدمان...)

ثانياً - المقاربة الفلسفية: (هيجل...)

ثالثاً - المقاربة البنيوية: (تودوروف - جنيت - فلاديمير بروب - توماشفسكي...)

رابعاً - المقاربة التطورية التاريخية: (برونوتير<sup>(٤١)</sup>، أدينغتون...)

خامساً - المقاربة الشكلية: (فراي - شولز - ويليك - أوستين وارين...)

سادساً - المقاربة السيميائية: (كريزنسكي<sup>(٤٢)</sup>...).

وغيرها من المقاربات كما أنّ هناك من يصنف الأجناس الأدبية اعتماداً على الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل)، أو الضمائر، أو الأساليب (السردي - الحوار)، أو الأفعال، أو الصيغ اللغوية أو حسب المواضيع (الرواية التاريخية والرواية السياسية والرواية الاجتماعية...)، وهكذا فموضوع الجنس يثير أسئلة مركزية في تاريخ الأدب والنقد الأدبي، وفي العلاقات الداخلية المتبادلة بينهما، وهو يطرح في سياق أدبي نوعي المسائل الفلسفية المتعلقة بالصلة بين الطبقة والأفراد الذين يؤلفونها، وبين الواحد والمتعدد، وطبيعة الكليات.

إنّ تطبيق المستويات الإجرائية للمنهج السيميائي في مقارنة النصوص الإبداعية

41- BRUNETIERE

42- KRYSINSKI

الشعرية خاصة تبقى عملية معرفية معقدة تختلف في تقنياتها من باحث لآخر، ومن المعلوم أنّ النصوص الأدبية كلها تقبل عملية التحليل اللساني الذي يصبّ في دائرة النقد النصّي، ومع ذلك نجد جلّ النقاد مازالوا يخوضون في مسألة أدوات الممارسة النقدية لأنّها لم تتأسس عند البعض منهم لاختلاف الرؤى والمشارب المعرفية عند كل ناقد.

طبعاً لا يمكن فهم النص الأدبي خاصة الشعري منه وتفسيره، أو تفكيكه وتركيبه إلا من خلال التسلح بنظرية الأدب والانطلاق من مكونات النص ومدى استنزازه للمتلقي والناقد على السواء؛ لأنها العملية الأساس التي نتكئ عليها في تحليل النصوص وتقويمها ومعرفة طبيعتها ومدى انزياحها عن المعايير الثابتة للنص الأصلي ومدى مساهمتها في تطوير الأدب وخلق حدائث أجناسية أو نوعية، ومن هنا كانت رؤيتنا لهذه الآليات النقدية في مقارنة النص الشعري الحديث سيميائياً من خلال عملية الجمع بين ما هو لساني، وما هو جمالي وهي مصنفة كالآتي:

### أولاً - بنية العنوان: "Structure du titre"

يُعدّ النص الشعري آلة لقراءة العنوان إذ تربطهما علاقة تكاملية، فالنص الشعري يتكون من نصين يشيران إلى دلالة واحدة في تماثلهما مختلفة في قراءتهما هما: (النص وعنوانه)، أحدهما مقيد موجز مكثف، والآخر طويل. ولعل صفحة كل غلاف تعطينا انطباعاً يجعل من أغوار أي عمل إبداعي يعد نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شفراته الرمزية.

لهذا يرى السيميولوجيون أنّ العنوان والنص والإخراج الطباعي والإشارات والصور أجزاء لا تتجزأ من الخطاب الأدبي. وهذه الرموز اللغوية المميزة لكل عمل إبداعي هي دلالات واضحة في سلم العمل اللغوي لهذا نجد أنّ "الطباعة واللون والغلاف والعنوان كلها عتبات" لفك شفرات العمل الأدبي، وتبقى عتبة العنوان النصي أهم منافذ النص المدروس وذلك بتقسيمه إلى ثلاثة مفاتيح علامائية هي كالآتي:

١- **بؤرة العنوان:** وذلك من خلال استتطاق عنوان النص الشعري، وفك شفراته العلامائية، وربطها بمتن النص، وعموماً كلّ عناوين النصوص الشعرية القديمة هي فواتح النصوص الأدبية.

٢- **الفاتحة النصية:** تتناول البيت الأوّل أو الوحدة الأولى من القصيدة، حيث

يطرح فيها الشاعر العديد من الأسئلة التي تبحث عن جواب، أو ذكريات لم تتدمل بعد أو حنين وشوق محمل بالوصل والعتاب النفسي المشفر بكلّ الدلالات، والرموز المغلقة التي تبحث عن مفاتيح لتفجير هذه المعاني النصية وسط متاهات ذات الشاعر، ورؤيته للعالم بعيون المستفهم الحاضر/ الغائب.

**٣- الخاتمة النصية:** هذه الأخيرة تبحث في خاتمة النص الشعري لتقدم إجابات شافية لما طرحه الشاعر من حيرة وأسئلة تبحث عن مخرج من هذا المأزق النفسي الذي يتجرع مرارته الشاعر في كلّ ذكرى من مخيله الشعري المتأزم بمرارة الشوق والحنين والجفاء الذي يعيشه في وسط تترمز فيه كل المشاعر الإنسانية لتصبح كل معانيه عللاً وزحافات يتعثر فيها وسط الإخفاقات العاطفية التي تبحث عنها السيمياء، وتعطيها تفسيراتها وقراءتها وفق منهجية علمية ممنهجة على آليات متفق عليها سلفاً بين المتلقي والناقد.

### ثانياً- البنية الصوتية " Structure Phonétique " :

تقتضي طبيعة التحليل اللغوي الصوتي للنص الشعري البدء بالعنوان كنص مصغر وذلك من أصغر وحدة صوتية في النظام اللغوي إلى أعلى مراتب التركيب، وهو الدافع للباحث عند تتبعه لمعاني الألفاظ إلى الانطلاق من الصوت اللغوي الذي يعد أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني، إضافة إلى كونه أساس اللغة، وعمود بنائها، ومبحث الأصوات هو المستوى الأول من مستويات التحليل إذ يعد الخطوة الأولى للمحلل السيميائي لما للصوت من قيمة تعبيرية تنطلق منه ثم تطغى على اللفظة التي تحويه وقد يتعداها ليعم التركيب، فالأصوات تتناسب معاني ألفاظها والعلاقة بينهما متبادلة وجدلية.

### ثالثاً- البنية التركيبية " structure syntaxique " :

يعدّ الحديث عن البنية التركيبية حديثاً عن النحو - وخصوصاً الجملة النحوية وسياقاتها - الذي يعرفه الشريف الجرجاني بأنه: علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء، والبحث في البنية التركيبية لأي نص يحيلنا إلى دراسة الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية في عملية التواصل، فقيمته في المستوى التركيبي كقيمة الصوت في المستوى الصوتي، وقيمة الكلمة في المستوى

الصرفي، وعلى هذا التحليل التركيبي للعناوين يعتمد على تصنيف الجمل اسمية، فعلية، شرطية وظرفية.

#### رابعاً- البنية الصرفية "Structure Morphologique":

يتناول فيها الباحث دراسة صيغ الأفعال وما تتعرض لها من تغييرات عند إسنادها للضمائر وتحديد أقسام الفعل من حيث الزيادة، والتجريد، ودراسة خصائص الأسماء من تنكير وتعريف، ومن تذكير وتأنيث، وبيان اللواحق الدالة على التأنيث، ويبين أقسام الاسم من حيث العدد، فيبين طرق التنثية، والجموع التي منها ما يكون بإلحاق لاحقة، وهو جمع السلامة، ومنها ما يكون بتغيير داخلي في لفظ المفرد، وهو جمع التكسير.

وتناول الظواهر الصرفية مثل: ظاهرة التصغير، فيبين التغييرات التي تطرأ على الاسم عند تصغيره، ودراسة ظاهرة النسب، وتبين التغييرات التي تجري على الاسم بسبب إلحاق لاحقة النسب، والتركيز على المشتقات من "اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسمي الزمان والمكان، صيغ المبالغة، المصدر الميمي والصناعي، اسم المرة والهيئة، اسم الآلة".

#### خامساً- البنية الدلالية "structure sémantique":

الحقل الدلالي مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشمل مفاهيم تدرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل، أي أنه مجموع الكلمات التي تترايط فيما بينها من حيث التقارب الدلالي ويجمعها مفهوم عام تظل متصلة به ولا تفهم إلا في ضوءه. فالدارس السيميائي عليه أن يصنف مجموع الكلمات في المتن أو المتن الشعري التي يصنفها إلى حقول دلالية خاصة بالمعنى الذي يجمع كل مجموعة لتسهيل المقارنة النقدية، والتقريب من مفاتيح التأويل.

#### سادساً- البنية الموسيقية " Structure Harmony ":

وعلى هذا الأساس بدأ تحديد البنية الموسيقية في الخطاب الشعري الحديث ضرورة تتحدد معها معالم أخرى تتعدى إلى الدلالة، فتجد بذلك العلامات السيميائية الشكلية دلالاتها داخل البنية اللغوية، كحال الفاصلة والحذف الكاسرين للتفعيلة، وما يليهما من دلالة إيحائية، وما خفي من علل الزيادة والنقصان وما تحمله من مدلولات

لا تتنافى مع محمول حاملها، وارتباط نوع القافية بصفتها، وما تبديه من توتر خفي يضاف إلى كتلة التوترات داخل الخطاب، وما يوحي به شكلها من إحياءات.

### سابعا-جماليات النص الشعري:

**أولا – التناص:** يشكل التناص بعدا جماليا للعنوان إذ يسبح في عدة مرجعيات ويشير إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص ليؤكد عدم انغلاق النص على نفسه وانفتاحه على غيره من النصوص. وفكرة التناص – كما يرى النقاد المحذون – تعتبر توسعا لمعنى التأثير والتأثر، لا كما ذهب القدماء إلى قضية الانتحال والسرقات فهناك من القصائد ما تضرب صلتها بأبعاد ومرجعيات (دينية – فكرية – أدبية – أسطورية) فيصعب على القارئ الدخول إلى النص إلا إذا كان متسلحا بقدر من الثقافة.

**ثانيا – الانزياح:** يعدّ الانزياح ظاهرة أسلوبية جمالية، وهو يعني الخروج عن الاستعمال العادي المألوف للغة النثرية، والرقى بها إلى مستوى قريب من اللغة الشعرية، يعتمد على قوة الخيال في تحويل الصور والمفاهيم بغية التأثير التجميلي للمتون الشعرية خاصة، وهو يقدم على المفاجأة والتغير وعدم الثبوت فيكسر أفق توقع القارئ.

### إشكاليات مقارنة النص الشعري الحديث سيميائيا:

الملاحظ عموما على المقاربات السيميائية الموثقة في الملتقيات الدولية والوطنية والندوات والمجلات الورقية المحكّمة والرقمية كلّها تشير صراحة وتؤكد على أنها تميّزت بوجود جملة من الإشكالات يمكن للناقد السيميائي عدّها وحصرها على مستوى المنهج أو على مستوى التحليل الإجرائي، وهي كالآتي:

#### إشكالية المقاربة على مستوى المنهج:

أ – يجب على الناقد السيميائي مراجعة طرق وأساليب استخدامه للمنهج، وهذه الممارسة تفترض عليه وعيا مركبا، وعيا بالخلفيات الإبستمولوجية والإيديولوجية للمنهج أولا، ثم وعيا بالنصوص في مجال الدراسة، وهذا ما يقع فيه أغلب نقادنا.

ب – إنّ التحليل السيميائي المقترح أثناء تحليله للخطاب الأدبي الشعري منه خاصة يجب أن يسعى إلى مساءلة الوعي الفكري العربي بالحدثة، لمعرفة مدى

وعيه بالروابط الحضارية العميقة بين الظواهر المعرفية العالمية، ووضعه الفكري الثقافي والنسقي الخاص، وكذا التعرف على دور المفكر العربي أو الناقد العربي في إبراز أسس الحداثة، وطريقة تعامله مع المستجدات الفكرية المعاصرة، وتشخيصه لداء التراجع الدائم في مقابل تقدم الآخر.

### إشكالية المقارنة على مستوى الأدوات الإجرائية:

أ - يسعى المنهج السيميائي إلى دمج الأفكار ومراجعتها أو تفكيكها على النحو الذي يولد منها أفكاراً تقبل المراجعة والمساءلة هي الأخرى، لكن قصر نظر الخطاب النقدي العربي حول حداثة الشعر العربي هو الذي أدى إلى نوع من سوء الفهم لهذه النصوص؛ لأن عقيدة التقليد لدى نقادنا افترست أفكارنا النقدية وحصرت الفكر النقدي في أفق معرفي ضيق يزكّي الأوضاع النقدية السائدة، ويوهم أصحابه بامتلاك الحقيقة، دون الوعي بأن هذا الفكر يعودهم على التلقي وقبول الأشياء كما هي دون مساءلة.

ب - هدف الباحث السيميائي هو إجراء مقارنة معرفية ترمي إلى بناء نمط ثقافي لقراءة النصوص في ضوء الثقافة التي أنتجت تلك المعرفة، ومن ثم مساءلة البنية العميقة للنص الأدبي المراد استنطاقه سيميائياً من خلال طرح أسئلة تتعلق بسياقاته لكشف معانيها وأبعادها داخل الخطاب الأدبي والتحليل، لا يهدف بهذا المنحى إلى فحص المعارف والأفكار، بقدر ما هو بحث في استراتيجيات المعرفة، وفهم آليات التحليل و الأبعاد الجمالية للنص الأدبي، ومعايير الأدبية؛ ومن ثم بناء ممارسة نقدية سيميائية ناضجة تتيح لمختلف الخطابات الأدبية أن تتشكل وتنتشر، وفق رؤية نقدية واعية بإشكالية الذات والموضوع معا.

### خاتمة الدراسة

وفي الأخير ندعو الباحثين السيميائيين إلى تطبيق وتمثل هذه المقاربة السيميائية نظرياً وتطبيقياً والتوسع فيها؛ لأنّ الدرس الأدبي الأكاديمي لا يهتم سوى بالنص الأساسي والمرجعي ولا يبالي بديداكتيكيا ولا بيداغوجيا بالنص الموازي وملحقاته الداخلية وعتباته الخارجية، أو يمر عليها مرور الكرام ولا يتعمق فيها منهجياً أو نظرياً.

كما لاحظنا السمة التجزئية التي يتسم بها الدرس السيميائي، إذ وجدنا من الباحثين

والأساتذة من يركز على المنهج وحده أو النص أو القارئ أو الذوق أو التاريخ أو النفس أو المجتمع دون غيرها من العناصر والمكونات الأدبية والنقدية الأخرى، أي يدرس المنهج السيميائي بالتركيز على عنصر معين في معزل عن العناصر الأخرى المكونة للعملية الإبداعية والأدبية، لذلك أصبح الدرس النقدي قاصرا وجزئيا وعاجزا عن الإحاطة بالنص الأدبي من جميع جوانبه مهما كانت قيمة هذه العناصر على مستوى الدلالة والتبليغ والتواصل، لذلك يجب الجمع بين الجانبين النظري والتطبيقي معا.

### قائمة المصادر

- ١- أريفيه، ميشال وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، (٢٠٠٢)، ترجمة رشيد بن مالك، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- ٢- إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، (٢٠٠٤).
- ٣- إيزر، فولغانغ، فعل القراءة، نظرية الوقع الجمالي، (١٩٨٧)، ترجمة أحمد المدني؛ آفاق المغربية، العدد ٦.
- ٤- توسان، برنار، ما هي السيميولوجيا، (١٩٩٤)، ترجمة محمد نظيف، ط١، دار النشر إفريقيا الشرق.
- ٥- جيرو، بيير، علم السيميولوجيا، (١٩٨٨)، ترجمة منذر عياشي، ط١، دمشق: دار طلاس.
- ٦- حجازي، محمد عبد الواحد، ظاهرة الغموض في الشعر الحديث، (٢٠٠١)، القاهرة، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر.
- ٧- حمداوي، جميل، السيميوطيقا والعنونة، (١٩٩٧)، الكويت، مجلة عالم الفكر، ج٥، ع٣، يناير/مارس، ١٩٩٧.
- ٨- خلف، عصام كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، (٢٠٠٣)، ط١، القاهرة، دار فرحة للنشر والتوزيع.
- ٩- ريفاتير، مايكل، دلاليات الشعر، (١٩٩٧)، ترجمة ودراسة محمد معتصم، ط١، المغرب، الدار البيضاء، مطبعة النجاح.
- ١٠- الجديدة الصباغ، رمضان، في نقد الشعر العربي المعاصر، (١٩٩٨)، دراسة

- جمالية، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- ١١- عباس، إحسان، فن الشعر، (١٩٩٦)، بيروت، دار صادر.
- ١٢- فانون، وجيه، دراسات في حركة الفكر الأدبي، (١٩٩١)، ط١، بيروت، دار الفكر.
- ١٣- قطوس، بسام، سيمياء العنوان، (٢٠٠١)، ط١، الأردن، عمان، وزارة الثقافة.
- ١٤- مصايف، محمد، دراسات في النقد الأدبي، (١٩٨١)، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.
- ١٥- الواعر، مازن، مقدمة الإشارة - السيميولوجيا - لبيير جيرو، (١٩٨٨)، ترجمة منذر.
- ١٦- عياشي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- ١٧- يوس، هانز روبير، جمالية التلقي والتواصل الأدبي، (د.ت.)، لبنان، الفكر العربي المعاصر، العدد ٣٨.
- 18- Ferdinand De Saussure (1973). cours de linguistique générale, Paris, Payot
- 19- Léo. Hock (1984). La marque de titre

## نفسية المتنبي وسعدي وأثرها في حكمتها الشعرية

د. صادق عسكري\*

### الملخص

إنّ نسيّة المتنبي وسعدي من أهمّ المؤثرات على حكمة الشاعرين. لأنها تؤثر على حكمتها من جهتين، الأولى بتأثيرها على إقبالها على الحكمة، والثانية بتأثيرها على المضامين والموضوعات الحكيمية الملائمة لنسبتهما.

واتضح لنا أخيراً أنّ الشاعرين مختلفان في هذا الجانب كلّ الاختلاف، إذ لا نلاحظ أيّ تشابه بينهما، فكلّ ما ذكرنا في هذه المقالة هو تفاوت وتباعد، بل تناقض وتعاكس أحياناً. لأنّ تواضع سعدي يناقض غرور المتنبي، وتفاؤله عكس تشاؤم المتنبي، وتدنيّه يناقض ضعف عقيدة المتنبي.

فخلاصة الكلام في هذا المجال أنّ معالجة نسيّة الشاعرين تُظهر لنا التفاوت بين المتنبي كشاعر المدح وسعدي كشاعر الموعدة والنصيحة، أي: التفاوت بين المدح والوعظ. وإن اشترك الشاعرين فيما يؤخذ عليهما، هو بسبب بعض التناقضات بين حكمتها الشعرية وبين حياتها العملية، من قبيل التكسب والإباحية.

أمّا تأثير هذا الاختلاف في المضامين الحكيمية، فيظهر في الإكثار من بعض المضامين دون غيرها. فكان حثّ المتنبي على الشجاعة والجرأة أكثر بكثير من حثّ سعدي عليهما، وبالعكس لا يقاس إقبال المتنبي على التواضع مع إقبال سعدي عليه. وكذلك أنّ المتنبي ما حثّ على القناعة والعدالة ولم يمنع عن الأنايئة والغرور، بينما حثّ سعدي على القناعة والعدالة والإنصاف ومنع عن الغرور والأنايئة كثيراً.

كلمات مفتاحية: الحكمة، المتنبي، سعدي، النفسية والأخلاق، الدراسة المقارنة

### المقدمة:

من القضايا المؤثرة في أدب المتنبي وسعدي عموماً وفي إقبالهما على الحكمة والموعظة خصوصاً، هي المؤثرات المستمدة من عصري الشاعرين وحياتهما الشخصية.

\* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، إيران.

فكانت هذه المؤثرات راجعة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأدبية. فالاضطرابات السياسية وما فيها من الفتن والحروب، بالإضافة إلى الأزمات الاجتماعية والاقتصادية وما يترتب عليها من فساد وفقر وانهايار خلقي واختلاف طبقي بين الحكام والوزراء والأمراء ومن في حاشيتهم من جهة، وبين الرعية وعموم الناس من جهة أخرى، هذه الأمور كلها انتهت إلى تأملات وخواطر وأدت إلى إكثارها من الأبيات الحكيمية. كما كان للتيارات الفكرية والأدبية كالفكر اليوناني والثقافة الفارسية، وازدهار الفلسفة والتصوف تأثير بارز في حكمة الشعراء ومضامينها أيضاً.

وإلى جانب هذه القضايا المرتبطة بعصري الشعراء وبيئتهما، ثمة أيضاً مؤثرات أخرى مرتبطة بحياتهما الشخصية، منها أساتذة الشعراء، وأسفارهما، ونفسيتهما وأخلاقهما.

ونظراً لأهمية أخلاق المتنبي وسعدي ونفسيتهما، وتأثير ذلك في إقبالهما على الحكمة والإكثار منها من جهة، وفي اختيار الموضوعات والمضامين الحكيمية المتلائمة مع نفسيّة كلّ منهما من جهة ثانية، اخترنا دراسة نفسيّة المتنبي وسعدي وأثرها في حكمتها الشعرية موضوعاً لهذه المقالة. فقد حاولنا في الصفحات التالية أن نقلي الضوء على أبرز الخصائص النفسية والخلقية عند المتنبي وسعدي معرفة لأهمّ وجوه الشبه والاختلاف بين الشعراء الفذيين اللذين عُرف كلّ منهما في الأدبين العربي والفارسي بشاعر الحكمة والموعظة.

هذا وقد درس الباحثون سابقاً أدب المتنبي وسعدي في دراسات مقارنة، كالأستاذ حسين علي محفوظ والدكتور أمير محمود أنوار والدكتورة أمل إبراهيم وغيرهم. إلا أنهم لم تطرّقوا إلى قضية الحكمة التي كانت من أهم أسباب اشتهار الشعراء، كما أن دراساتهم لم تتمتع بمنهج مقبول في المقارنة، فضلاً عن خروجهم عن الموضوعية أحياناً.

#### أ- أنانية المتنبي وتواضع سعدي

لعلّ أوّل ما يترأى لنا في معالجة أخلاق المتنبي ونفسيته هو الغرور والكبرياء. فقد عانى الرجل من إحساسه بالتفوق على كلّ من حوله، فجاءت أغلب مدائحه وكأنّها صيغت لفخره. قال ابن رشيق القيرواني: «وأما أبو الطيّب فكان في طبعه غلظة وفي

عتابه شدة وكان كثير التحامل، ظاهر الكبر والأنفة»<sup>(١)</sup>. ومن الأبيات التي يمكننا الاستشهاد بها في هذا المجال قوله:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي      إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا  
أَجْرِنِي إِذَا أَنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا      بِشِعْرِي أَتَاكَ المَادِحُونَ مُرَدِّدَا  
وَدَعَّ كُلُّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي      أَنَا الصَّائِحُ المَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى<sup>(٢)</sup>

وقوله:

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَن مَقُولِي      وَتَبْنَ الجِبَالَ وَخُضْنَ البَحَارَا  
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ      وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا<sup>(٣)</sup>

وهكذا خالف المتنبي رأي النقاد عندما قالوا: «لا يجوز أن يكون الشاعر معجباً بنفسه، مثنياً على شعره وإن كان جيداً في ذاته»<sup>(٤)</sup>. ورأى عبد الوهّاب عزّام أن هذه الكبرياء والتعاضم من أسباب الفراق بين الشاعر وسيف الدولة، فقال: «كان حول سيف الدولة شعراء كسفت شمس أبي الطيّب نجومهم وأخدمت نباهته ذكرهم، فكانوا يحسدونه... كانت كبرياء أبي الطيّب وفخره بشعره وتعالیه عليهم وإيثار الأمير إياه تزيد حسدهم وغيظهم. وكان غير الشعراء يحسدون الشاعر الأبيّ على مكانته وينقمون عليه تعالیه وتعاضمه... فلا جرم جهدوا أن يوقعوا بينه وبين الأمير»<sup>(٥)</sup>. ولعلّ هذه الخصال النفسية أيضاً هي التي حرّضته على أن يشترط على سيف الدولة أن لا ينشد أمامه إلا قاعداً<sup>(٦)</sup> وأن يدعي امتناعه عن مدح غير الملوك<sup>(٧)</sup>. ويبدو أن هذه الأنانية متوغلة في نفسية الشاعر، والدليل على ذلك ظهورها عنده في عمر الصبا. فلو كان هناك ما يبرّر للشاعر أن يفخر بنفسه بعدما وصل إليه من المكانة والشهرة في بلاط سيف الدولة الحمداني وينظم الأبيات السابقة، فما الذي يبرّر له أن

١- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج ٢، ص ١١٢.

٢- المتنبي، الديوان، ص ٣٦١

٣- المصدر نفسه، ص ٣٦١.

٤- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج ١، ص ٢٠٥.

٥- عبد الوهّاب عزّام، ذكرى أبي الطيّب، ص ٩٥.

٦- عبد القادر البغدادي، خزنة الأدب، ج ١، ص ٣٨٣.

٧- الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ١٣٦.

يُبدى غروره وتعالیه في بدايات حياته الشعرية، إذ يقول:

لا بِقَوْمِي شَرُّتُ بَلْ شَرُّوا بِي      وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي  
 إِنَّا أَكُنْ مُعْجَبًا فَعَجَبٌ عَجِيبٌ      لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ  
 أَنَا تَرَبُّبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي      وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحَسُودِ<sup>(٨)</sup>

وهذه الأبيات من قصيدة هي الرابعة في الديوان على حسب الترتيب التاريخي إذا ما تركنا بعض المقطوعات الصغيرة وإلا فالثالثة عشرة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما قيل عن أسفار المتنبي وأهدافها، وأن غالبها كان لطلب الثروة والشهرة<sup>(٩)</sup>، فكيف يبرّر الشاعر أن يطلبها متكسباً بشعره، وينادي في الوقت نفسه بغروره وتعالیه إلى حدّ سبّب له فيما بعد كثيراً من النقد اللاذع والعداوة من قِبَل النقاد. لعلّ الجواب الوحيد هو أنّ الاضطراب السياسي والاجتماعي والفتن والحروب وخاصة التعاليم القرمطية، فضلاً عن الحرمان الذي عاناه الشاعر في بداية حياته، كلّ هذه الأمور هي التي ولّدت الأنانية والغرور في نفسيته، كما ولّدت فيها التشاؤم وذمّ الدهر والناس.

ويبدو أنّ كلّ ما ذكره النقاد من غلوّ المتنبي أو شجاعته، سواء أكان في المدح أم في الفخر، يرجع إلى هذه الخبيصة النفسية أي إلى التعالي والتعاضم، فلهذا قال ابن رشيق القيرواني في باب الغلوّ من كتاب العمدة ما نصّه: «زعم بعض المتعقّبين أنّ الذي كثر هذا الباب أبو تمام، وتبعه الناس بعد. وأين أبو تمام ممّا نحن فيه؟ فإذا صرت إلى أبي الطيّب، صرت إلى أكثر الناس غلوّاً وأبعدهم فيه همّة، حتّى لو قدر ما أخلى منه بيتاً»<sup>(١٠)</sup>.

ولا شكّ في أنّ هذه الأمور أثرت تأثيراً بالغاً في شعر المتنبي، إذ نلاحظ معالم هذه الخصال والحالات النفسية بوضوح في شعره. ونذكر على سبيل المثال بعض الشواهد الشعرية في هذا المجال، تلك الشواهد التي تدلّ على الإباء والتعالي والكبرياء وإلى أن وصل حدّ الغرور والأنانية والاستهانة بالآخرين، يقول:

٨- المتنبي، الديوان، ص ١٥.

٩- الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص ٩٣، ٢٠٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأبياء، ج ٥، ص ٢٠٣؛ البديعي، الصبح المنبي، ج ١، ص ٧٨-٨١؛ اليازجي، العرف الطيب، ص ٥١، ١٣١؛ بلاشير، أبو الطيّب المتنبي، ص ١٤٢.

١٠- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج ٢، ص ١٤.

واقفاً تحتَ أحمصَي قدرِ نَفسي واقفاً تحتَ أحمصَي الأنام<sup>(١١)</sup>  
ولعلّ ما قيل عن شجاعة المتنبّي هو أيضاً بدوره متأثرٌ بكلّ ما أشرنا إليه من غروره  
وكبريائه وهكذا نفسّر ما نقله ابن رشيق القيرواني عن بعضهم: «وأبو الطيّب كالمملك  
الجبار. يأخذ ما حوله قهراً و عنوة، أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده ولا يبالي  
ما لقي ولا حيث وقع»<sup>(١٢)</sup>. وبإمكاننا أن نفهم هذا الأمر من شعر المتنبّي أيضاً، إذ  
صرّح بذلك في أكثر من موضع في ديوانه. قال مثلاً بعد ما عدله أبو عبد الله معاذ بن  
إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهده من تهوّرهِ واستعدادهِ للثورة:

أبا عبدِ الإلهِ مُعادُ إني خفيّ عنك في الهيجا مقامي  
أميتلي تأخذُ النكباتُ منه ويَجزَعُ من مُلاقاةِ الحمامِ  
ولو برزَ الزمانُ إليّ شخصاً لخضّبَ شعرَ مفرّقهِ حُسامي<sup>(١٣)</sup>

ولكننا نلاحظ زوال هذه الكبرياء والتعاضم في أخلاق المتنبّي في الحقبة الأخيرة من  
حياته عند ما كان في فارس عند ابن العميد وعضد الدولة إذ «أنشده قائماً حين دخل  
عليه، على غير عادته وأمره عضد الدولة بالجلوس، فأبى وقال: هيبتك تمنع من  
ذلك»<sup>(١٤)</sup>، كما لا يظهر في الشعر الذي قاله في عضد الدولة أيّ اعتداد بالنفس أو  
تفضيل نفسه على أحد. فنلاحظ في قصائد المتنبّي في هذه الحقبة زوال تضخم ذاتية  
الشاعر أو أنانيته وتعاضم الأنا الأخرى المتجلية في شخصية الممدوح<sup>(١٥)</sup>.

ولعلّ يمكننا من هذا المنطلق، فهم تخلي المتنبّي في حضرة ابن العميد عن فكرة كونه  
الأقدر شعرياً والأفصح لغةً ونطقاً. بل على العكس نراه يعترف بالنقص، معترداً:  
هل لعذري إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ سوادُ عيني مداؤه  
إنّ في الموج للغريق لعذراً واضحاً أن يَفوتَهُ تعدادُهُ

١١- المتنبّي، الديوان، ص ١٤٩.

١٢- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج ١، ص ١٢٣.

١٣- المتنبّي، الديوان، ص ٤٩.

١٤- محمود شاكر، المتنبّي رسالة في الطريق، ج ٢، ص ٣٥٢. ولم يشر محمود شاكر إلى المصدر الذي أخذ منه هذه  
المعلومة. ونقل عنه مصطفى شعكة في كتابه أبو الطيب المتنبّي في مصر والعراقين، ص ٥٤٦. ولكنّه أضاف بعد الإحالة  
إلى محمود شاكر أنّ هذه المعلومة «عن ترجمة القرظي، الفقرة ١٩». إلّا أنّ هذه الإضافة لم تساعدنا في البحث عن مصدر  
هذه المعلومة. فلا نستطيع الاعتماد عليها كثيراً.

١٥- الأرفه لي، ملامح الأدب العربي في قصور البويهيين، ص ١٢٧.

لَلدَّيِّ الغَلْبُ أَنَّهُ فاضَ والشَّعْبُ — رُ عمادي وابنُ العميد عمادُهُ<sup>(١٦)</sup>  
ونحن نرى أنّ هذا التحوّل في نفسية المتنبي — لو صحّ التعبير — يعود إلى  
الأجواء التي عاشها الشاعر في البيئة الفارسية، حيث لم يواجه خصوماً، فلم يجد  
دواعي للفخر والهجاء كثيراً.

أمّا سعدي فكان، عكس المتنبي تماماً. إذ اتّفق النقاد والباحثون في أدب سعدي  
وشخصيته على أنّ التواضع والاعتدال من أهمّ ميزات الخلقية. وفيما يلي نماذج من  
أقوالهم في هذا الشأن. يقول إدوارد براون: «وفي الحق أنّ فوز سعدي بالشهرة  
العريضة التي نالها يرجع إلى ما اتّصف به من مرونة شاملة»<sup>(١٧)</sup>. وقال الآخر: «إنّ  
اتّصاف سعدي بالفضائل الإنسانية، أدت إلى ابتعاده عن الكبرياء والتعاضم  
والغرور»<sup>(١٨)</sup>. ويقول عطاء الله مهاجراني: «يتجنّب سعدي في كلّ ما كتب، الإفراط  
والتفريط ويتخذ موقفاً وسطاً معتدلاً»<sup>(١٩)</sup>.

ولعلّ خير ما نستشهد به في هذا المجال هو أبيات سعدي نفسه؛ فقد خصّص  
سعدي أربعة أبواب من بوستان لهذه القضايا، وهي: باب التواضع، باب الرضا، باب  
القناعة، باب الشكر. كما خصّص الباب الثالث من گلستان للقناعة أيضاً. وفضلاً عن  
كلّ ذلك يقول في قصيدة عربية:

وما الشعرُ أيمُ اللهُ لستُ بمُدّعٍ	ولو كان عندي ما ببابل من سحرٍ
هنالك نقادونَ علماً وخبرةً	ومنتخبو القول الجميل من الهجرِ
ولو سبقنتني سادةٌ جلّ قدرُهُم	وما حسنت مني مجاوزةً القدرِ
ففي السمطِ ياقوتٌ ولعلّ وجاجةٌ	وإن كان لي ذنبٌ يُكفّرُ بالعُذرِ <sup>(٢٠)</sup>

وأين هذه الأبيات من قول المتنبي إذ يقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي	وأسمعت كلماتي من به صمم <sup>(٢١)</sup>
------------------------------	---

١٦- المتنبي، الديوان، ص ٥٤٣.

17- Edward Browne, *A Literary History of Persia*, vol. II, p. 530.

١٨- محمد دامادي، «سعدي شاعر جامع»، ذكر جميل سعدي، ج ١، ص ٣٥٥.

١٩- عطاء الله مهاجراني، «نصائح سعدي لأبناء القرن العشرين»، الدراسات الأدبية، العدد ٣ و ٤، ص ١٨.

٢٠- سعدي، كليات، ص ٧٦٩.

٢١- المتنبي، الديوان، ص ١١٥.

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي      إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا<sup>(٢٢)</sup>  
 قَوَافٍ إِذَا سِيرَنَ عَن مِقْوَلِي      وَتَسِينَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارِ<sup>(٢٣)</sup>  
 والأمثلة على ذلك من كلام سَعْدِي كثيرة جدًا لا تُعَدُّ ولا تحصى<sup>(٢٤)</sup>.

### ب- تشاؤم المتنبي وتفاؤل سَعْدِي

والفضيَّة الثانية التي تستدعي الانتباه إليها في دراسة أخلاق المتنبي، والمرتبطة بحكمته إلى حد كبير هي سوء الظن بالناس والتشاؤم وشكوى الدهر. ولا يستبعد أن يكون ذلك ناتجاً عن خصلته السابقة أي عن كبريائه وتعاضمه، لأنَّ التعالي وحبَّ الرئاسة والطموح من جهة، وعدم الوصول إلى ما أراد الشاعر من الإمارة والسلطان من جهة ثانية، أديا إلى هذه النظرة التشاؤميَّة وشكوى الدهر وذمَّ الناس والحقد عليهم. وإلى هذا أشار عبد الوهَّاب عزَّام عندما قال: «كان المتنبي في اعتزازه بنفسه وطموحه إلى السُّودد وقصور عصبته وثروته عن بلوغ ما أُمِّل، حاقداً على الناس يحقِّرهم ويذمُّهم ويضطغن عليهم ويتحدَّث بقتلهم»<sup>(٢٥)</sup>. يقول المتنبي:

أَدُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلَهُ      فَأَعْلَمُهُمْ فِدْمًا وَأَحْزَمُهُمْ وَعَدُوَّ  
 وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبًا وَأَبْصَرُهُمْ عَمَّ      وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدًا وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدًا<sup>(٢٦)</sup>

و يقول:

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبًا      فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمْ وَذَاقَا  
 فَلَمْ أَرْ وَدَّهُمْ إِلَّا خِدَاعًا      وَلَمْ أَرْ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا<sup>(٢٧)</sup>

أما عن سبب كلِّ هذا الحقد على الناس والنفور منهم فيمكننا الإشارة إلى السبب الذي ذكره بلاشير فضلاً عما أوردناه آنفاً من الحالة النفسية الناتجة عن الأنايَّة والغرور. يقول بلاشير: «اختلف المتنبي إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة، ولا ريب في أنه تحمَّل تلك المضايقات التي يلقاها فقير ضائع بين رفاقه الأغنياء. ولعلَّ في هذا اللقاء

٢٢- المتنبي، الديوان، ص ٣٦١.

٢٣- المتنبي، الديوان، ص ٣٦١.

٢٤- أنظر إلى بعض النماذج في: بوستان، ص ١١٥، ١١٦، ١٣٥؛ گلستان، ص ٧٦.

٢٥- عبد الوهَّاب عزَّام، ذكرى أبي الطيب، ص ٢١٨.

٢٦- المتنبي، الديوان، ص ١٨٣-١٨٤. القدم: العبي، والوعد: الأحمق الحسيس.

٢٧- المتنبي، الديوان، ص ٢٨٢.

الأول مع الناس، وإن كنا لا نبغي المبالغة في أهميته، منشأ نفور أبي الطيب من البشر»<sup>(٢٨)</sup>. وهذه النظرة التشاؤمية تتخلل نفس الشاعر حتى في أثناء المدح والغزل. قال في مدح سيف الدولة متغزلاً:

زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا      مَ فَحَسُنُ الْوُجُوهُ حَالَ تَحْوُلُ  
وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنَا      يَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ<sup>(٢٩)</sup>

كما نرى أثر هذا التشاؤم في أول بيت من القصيدة الأولى التي مدح بها كافور الإخشيدي، إذ قال:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا      وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا<sup>(٣٠)</sup>

نلاحظ أن نفسية المتنبي انطوت على التشاؤم والشكوى، والحقد والحزن في كثير من قصائده، مدحاً كانت أم هجاءً أم رثاءً. وهذا ما اعترف به الشاعر نفسه إذ يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً      فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ<sup>(٣١)</sup>

فالحزن والتأمل في عاقبة الإنسان وفنائه في هذه الدنيا، الناتجان عن التشاؤم والشكوى قد أثرا بدورهما تأثيراً بالغاً في إدخال كثير من الحكم والأمثال، ليس في رثاء المتنبي فقط، بل وحتى في مدحه وغزله أيضاً.

أما سعدي فقد كان متفائلاً ومحبباً للإنسانية جمعاء. وقد اتصفت شخصيته بنظرة إنسانية شاملة، من دون التقيّد بالحدود الضيقة التي فرضتها المذاهب والجغرافيا. فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية: «صبغت معرفة سعدي بالدنيا وأفكاره وآراؤه بالنزعة العالمية التي لم يدركها شاعر فارسي آخر غيره»<sup>(٣٢)</sup>.

ويقول كورش كمالي سروسطاني: «كان الشيخ سعدي يحب الإنسان دائماً، وكان يرى أبناء آدم كلهم أعضاء لجسد واحد لوحة جوهرهم الإنساني»<sup>(٣٣)</sup>. وقد سبق أن أشرنا إلى فريدة سعدي المشهورة عالمياً في هذا المجال أي في الأخوة الإنسانية، عند ما يقول:

٢٨- بلاشير، أبو الطيب المتنبي، ص ٤٤.

٢٩- المتنبي، الديوان، ص ٣٤٤.

٣٠- المتنبي، الديوان، ص ٣٥٢.

٣١- المتنبي، الديوان، ص ٤٦٥.

بني آدم اعضاء يك بيكرند      كه در آفرينش زيک گوهرند  
چو عضوي بدرد آورد روزگار      دگر عضوها را نماند قرار  
تو کز محنت ديگران بي غمي      نشايد که نامت نهند آدمي<sup>(٣٤)</sup>

أي:— إنَّ أبناءَ آدمَ أعضاءَ جسدٍ واحدٍ، لأنَّهم قد خُلِقوا من جوهرٍ واحدٍ.  
— عندما يُؤلِّمُ الدهرُ عضواً من هذا الجسد، لا يبقى لسائر الأعضاء هدوءٌ واستقرار.  
— إذا كنتَ ممن لا تهَمُّكَ محنةُ الآخرين، فلا يجوزُ أن يُطلقَ عليك اسمُ الإنسان.  
ولعلَّ هذه الرؤيةُ الإنسانيَّةُ الشاملةُ هي السرُّ في خلود هذه الأبيات في صدور الأجيال اللاحقة، وقد بلغت ذروة الأشتهار إذ اختارتها منظمة الأمم المتَّحدة وزينت بها إحدى لوحاتها، لأنها تدعو إلى الإحسان والمحبة والتعاطف والمواساة بين جميع أبناء البشر، ما يناسب شعار الأمم المتَّحدة قبل حوالي سبعة قرون من تشكيل هذه المنظمة العالميَّة. ولعلَّ ذلك ما جعل المستشرق النمساوي فان هومر بورغشتال (vanhammer porgstall) يوصي بحكِّ هذه الأبيات على رخام قبره لما فيها من نزعة إنسانية شاملة، ولما لسعدي من نبوغ فطري مجبول على حبِّ الخير والفلاح للبشريَّة جمعاء<sup>(٣٥)</sup>.

### ج- ضعف عقيدة المتنبّي وتدين سعدي

آخر ما نتعرّض له في دراسة أخلاق المتنبّي هو ضعف عقيدته. إذ يقع ذلك في المرتبة الثالثة في التأثير على حكمة المتنبّي وذلك بتأثيره على مدى إقبال الشاعر على الحكم الدينيَّة، إذا صحَّ التعبير.  
وقد اختلف النقاد وتضاربت آراؤهم في عقيدة المتنبّي كما كان الأمر في كثير من الأمور المرتبطة بحياته. فالكثيرون يتَّهمونه بالزندقة والإلحاد استناداً إلى بعض أبياته، كما كان هناك من يدافع عنه ويفسّر تلك الأبيات بطريقة تخرجه بأمان من دائرة الكفر والإلحاد.

قال الخطيب البغدادي صاحب خزنة الأدب متَّهماً المتنبّي في عقيدته: «هو في الجملة خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحدٍ يكنى أبا الفضل بالكوفة من

٣٤- سعدي، گلستان، ص ٦٦.

المنفلسفة، فهو سه وأضلّه كما ضلّ»<sup>(٣٦)</sup>. ويقول الثعالبي في معرض الحديث عن مثالب المتنبي وعيوبه: «منها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقّة الدين». ثمّ يستشهد ببعض أبيات يرى أنّه قد جاوز حدّ الإساءة فيها، منها قوله:

يَنرَشِّفَنَ مِن فَمِي رَشَفَاتٍ      هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ<sup>(٣٧)</sup>

و يقول:

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا      فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ الْإِلَهِ رَسُولًا  
لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ الْ-      قُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ<sup>(٣٨)</sup>

وكذلك قوله:

وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ الْ-      لَهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ  
مُحْتَقِرٌ فِي هِمَّتِي      كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرَقِي<sup>(٣٩)</sup>

ويتابع الثعالبي كلامه قائلاً: «وقبيح بمن أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة»<sup>(٤٠)</sup>. ونقل البرقوقي عن علي بن حمزة الأصفهاني قوله: «بلوت من المتنبي ثلاث خصال محمودة وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط، وبلوت منه ثلاث خصال مذمومة وذلك أنه ما صام ولا صلّى ولا قرأ القرآن»<sup>(٤١)</sup>. وكذلك استشهد صاحب الروض المعطار في خبر الأقطار ببيت من المتنبي وهو:

وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِيِّ أَنَّهُ      أَبُوكَ وَأَجْدَى مَالِكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ<sup>(٤٢)</sup>

وقال مهاجماً المتنبي: «فغني بالتهامي النبي صلّى الله عليه، وهذه العبارة تقتضي جهله أو قلّة أدبه، فضّ الله تعالى فاه»<sup>(٤٣)</sup>.

٣٦- عبد القادر البغدادي، خزائن الأدب، ج ١، ص ٣٨٢.

٣٧- المتنبي، الديوان، ص ١٣.

٣٨- نفسه، ص ١٣٣.

٣٩- نفسه، ص ٣٥.

٤٠- الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ١٨٦. وقد نُسب هذا الكلام إلى الإمام علي بن أبي طالب أيضاً. أنظر: الكليني، أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٢٩.

٤١- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ١، ص ٤.

٤٢- المتنبي، الديوان، ص ٢١١.

٤٣- عبد النعم الحميري، الروفي المعطار، ص ١٤٢.

ولكن في المقابل دافع ابن جني عن المتنبي أمام هذه الاتهامات عندما قال في شرحه لهذا البيت: «ليست الاعتقادات والآراء في الدين مما يقدح في جودة الشعر ورداعته، لأنّ كلاً منفرداً عن صاحبه»<sup>(٤٤)</sup>. وبمثل هذه العبارات دافع القاضي الجرجاني عن المتنبي، عندما قال مشيراً إلى بعض هذه الأبيات المذكورة: «والعجب ممن ينقص أبا الطيّب، ويغضّ من شعره، لأبيات وجدّها تدلّ على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة...، فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحي اسمُ أبي نواس من الدواوين،... ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»<sup>(٤٥)</sup>.

كما أجاب أبو العلاء المعري في رسالة الغفران عن رسالة أرسلها إليه علي بن منصور المعروف بابن القارح الذي اتهم المتنبي فيها بالزندقة والإلحاد، قائلاً: «وقد دلّت أشياء في ديوانه على أنّه كان متألّهاً... وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان»<sup>(٤٦)</sup>.

ومن الذين دافعوا عن المتنبي في مجال العقيدة أيضاً عبد الوهاب عزّام إذ يقول: «مثل هذه الأبيات تدلّ على الغلوّ في المدح وقلة المبالاة، وتفسيرها بالغلطة والجرأة كالعبارات التي خاطب بها الممدوحين وأخذها عليها النقاد، أولى من تفسيرها بالزندقة والإلحاد»<sup>(٤٧)</sup>.

ونحن هنا لسنا بصدد تفصيل هذه الآراء المتضاربة، إلا أننا متيقنون أن في ديوان الرجل أبياتاً تدلّ على استخفافه بالدين. مع ذلك كلّه لا نستطيع أن نرميه بالإلحاد والكفر أبداً. فهناك أبيات في ديوان الشاعر تدلّ على إيمانه بالله واحترامه للنبيّ محمّد وأهل بيته، نحو:

أَيُّ كَيْبَتِ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقٍ      أَنْتَ لَنَا وَكُنَّا لِلْخَالِقِ<sup>(٤٨)</sup>  
فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ      وَأَنْتَ لِيَاءِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ<sup>(٤٩)</sup>

٤٤- ابن جني، الفسر، ج ٢، ص ٥١٨ - ٥١٩.

٤٥- الجرجاني، الوساطة، ص ١٠٧-١١١.

٤٦- المعري، رسالة الغفران، ص ١٣٤.

٤٧- عبد الوهاب عزّام، ذكرى أبي الطيّب، ص ٢٥٧.

٤٨- المتنبي، الديوان، ص ٢١٦. والكبت: الإذلال والقهر.

٤٩- المصدر نفسه، ص ٣١٤.

فَتَمْلِكُ دَلِيرٌ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ      شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ (٥٠)  
 لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي      أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ (٥١)  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصِ مَضَى      كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٥٢)  
 هُوَ إِبْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَإِبْنُ وَصِيهِ      وَشَبِهُهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ (٥٣)

وفضلاً عن ذلك يرى بلاشير أن المتنبي قرأ القرآن في الكتاب كغيره من المسلمين، وقد أثر هذا الكتاب على تكوينه الفكري والخلقي<sup>(٥٤)</sup>. هذا وقد وجدنا في ديوان المتنبي نماذج من تأثره ببعض المضامين الحكمية الموجودة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة لعلي بن أبي طالب.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الاستخفاف بالدين قد أثر في مضامينه الحكمية وموضوعاتها ومن أبرزها قلة المضامين الدينية في ديوانه عموماً وفي حكمته خصوصاً.

أما المعتقدات الدينية عند سعدي، فإنها من أبرز سمات شخصيته، ومن أهم المحاور التي يدور عليها أدبه نظماً ونثراً، وهي بدورها أحد أهم المؤثرات في حكمته أيضاً. يقول علي دشتي وهو من الباحثين في أدب سعدي: «إن المعتقدات الدينية هي أساس حركة سعدي الفكرية ومجال أبحاثه الأخلاقية، فأورد المبادئ الدينية التي التزم بها الشاعر نفسه عملياً، ولم يتكلم في هذا الأمر على وتيرة المرائين، ولا بلغة محترفي الزهد الجافة المملة، بل لقد مزج الديانة والأخلاق بعضها ببعض بلسان فصيح وتعبير جديدة وجذابة»<sup>(٥٥)</sup>.

ويشير شبلي النعماني في كتابه شعر العجم إلى إحدى حكايات گلستان التي تدلّ

٥٠- (المصدر نفسه، ص ٥٢٤. ودكبر اسم المدوح وهو أبو الفوارس دكبر بن لشكروز قائد جيش أرسله عضد الدولة لقتال بني كلاب الذين خرجوا بغية السيطرة على الكوفة عام ٩٦٢/٣٥٢. عبد الوهاب عزّام، «مقدمات القصائد»، في: المتنبي، الديوان، ص ٥١٩.

٥١- (لم نجد هذا البيت في ديوان المتنبي، ولكن المصادر نسبتها إلى المتنبي برواية تاج الدين الكندي. أنظر: ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٢١؛ صلاح الدين الصفدي، نصره الناصر على المثل السائر، ص ١٨٠؛ ابن شاعر الكندي، فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٥٤؛ العباسي، معاهد التنصيص، ص ١١.

٥٢- المتنبي، الديوان، ص ٥٧٤.

٥٣- المصدر نفسه، ص ٢١٢.

٥٤- بلاشير، أبو الطيب المتنبي، ص ٤٥.

٥٥- علي دشتي، قلمرو سعدي، ص ٣٥٠.

على أن سَعدي قد سهر ذات ليلة مع أبيه لأداء صلاة النافلة وتلاوة القرآن، ويستنتج منها أن سَعدي كان يشناق إلى العبادة متأثراً بتعاليم أبيه في الصغر<sup>(٥٦)</sup>. يرتجف سَعدي خوفاً من الموت وارتكاب المعاصي والنار، وكل ذلك يقربه إلى الله تعالى، فهذا نرى مناجاته ممزوجة بالخوف والرجاء<sup>(٥٧)</sup>. نراه يدعو الله، ويطلب منه التوفيق والقيام بالعمل الصالح حتى لهولاءكو المغولي الملحد، يقول في أثناء مدحه: يارب تو هر چه رای صوابست وفعل خير اندر دل وی افکن وبر دست وی بران<sup>(٥٨)</sup> أي: - يارب، ألهمه كل رأي صائب وأنجز بيده كل فعل خير. ونهت كلامنا على المعتقدات الدينية لسَعدي بأنه يبدأ كل آثاره بذكر الله ومناجاته ونعت النبي محمد (ص) والخلفاء الراشدين ويُنهيه أيضاً بمناجاة الله، فعلى سبيل المثال يقول في البيت الأول من بوستان:

بنام خدایی که جان آفرید	سخن گفتن اندر زبان آفرید
خداوند بخشنده ی دستگیر	کریم خطا پوش پوزش پذیر
عزیزی که هر کز درش سر بتافت	به هر در که شد هیچ عزت نیافت
سر پادشاهان گردن فراز	به درگاه او برزمین نیاز <sup>(٥٩)</sup>

أي: - بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ، وَأَجْرَى الْكَلَامَ عَلَى اللِّسَانِ.  
- الخالقُ الرحمنُ المغيُّثُ، الكَرِيمُ سَتَّارُ الْعِیُوبِ وَغَفَّارُ الذَّنُوبِ.  
- العزیزُ الَّذِي خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غِیْرِهِ.

- فيضعُ الملوكُ الأقوياءُ رؤوسهم، على أعتابِ بابهِ لطلبِ الحاجةِ.  
كما خصَّصَ البابُ العاشر - وهو الأخير من بوستان - بذكر الله ومناجاته وطلب الاستغفار منه، فقال في مطلع هذا الباب الذي تبلغ أبياته مائة وعشرة أبيات:  
بیاتا برآریم دستي ز دل که نتوان برآورد فردا ز گل<sup>(٦٠)</sup>  
أي: - تعال لنمد يداً إلى الله مخلصين، إذ لا يمكن مد اليد غداً من تحت التراب.

٥٦- شيلي النعماني، شعر العجم، ج ٢، ص ١٩-٤٠.

٥٧- غلامحسين زرين كوب، باكاروان حله، ص ٢٥١.

٥٨- سَعدي، كليات، ص ٧٣٦.

٥٩- سَعدي، بوستان، ص ٣٣.

٦٠- سَعدي، بوستان، ص ١٩٦.

وقال في الأبيات الأربعة الأخيرة من هذا الباب معترفاً بذنبه، طالباً العفو والمغفرة من الله:

زلطفت همين چشم داريم نيز      بر اين بى بضاعت ببخش اى عزيز  
كس از من سيه نامه تر ديده نيست      كه هيچ فعال پسنديده نيست  
جز اين كاعتماد به يارى تست      اميدم به آمرزگارى تست  
بضاعت نياوردم الا اميد      خدايا ز عفوم مكن نا اميد<sup>(٦١)</sup>

أي: - أتوقع من فضلك أن تغفرَ لهذا الفقيرِ الضعيفِ، أيها الخالقُ العزيزُ.  
- ليسَ أحدٌ أكثرَ معصيةً مِنِّي، إذ لا عملَ صالحٍ لي؛  
- ولكنني اتكلتُ على عنايةك، ورجوتُ عفوك ومغفرتك.  
- فليستُ عندي بضاعةٌ إلا الأملُ، فلا تؤيسني يا ربَّ من عفوك.

### الخاتمة

هكذا اتضح لنا أن أخلاق المتنبي وسعدي من أهم المؤثرات على حكمة المتنبي وسعدي. لأنها تؤثر على الحكمة من جهتين، الأولى بتأثيرها على إقبالهما إلى الحكمة كالمؤثرات الشخصية الأخرى نحو أساتذة الشعارين وأسفارهما، والثانية بتأثيرها على المضامين والموضوعات الحكيمية الملائمة لنفسية كل منهما وخصائصهما الأخلاقية. واتضح لنا أيضاً أن هناك بوناً شاسعاً بين أخلاق المتنبي وسعدي ونفسيتهما، ونحن لا نشك في أن الشعارين مختلفان في هذا الجانب كل الاختلاف، إذ لا نلاحظ أي تشابه بينهما، فكل ما ذكرنا في المحاور الثلاثة من هذه المقالة هو تفاوت وتباعد بل تناقض وتعاكس. لأن تواضع سعدي يناقض غرور المتنبي، وتفاوله عكس تشاوم المتنبي، وتدنيته يناقض ضعف عقيدة المتنبي. فبقدر ما كان المتنبي متعالياً ومغروراً كان سعدي متواضعاً ومعتدلاً، وبقدر ما كان المتنبي متشائماً وحاقداً على الدهر والناس كان سعدي متفانلاً ومحباً للإنسانية جمعاء، وبقدر ما كان المتنبي ضعيف الاعتقاد كان سعدي متديناً مؤمناً.

فالتفاوت في كل هذه القضايا المرتبطة بنفسية الشاعرين وأخلاقهما أدى بدوره إلى التفاوت بين الشاعرين في مدى إقبالهما على الحكمة أولاً، والاختلاف في مضامينهما الإيجابية والسلبية ثانياً. كما أدى إلى الاختلاف في مكانة الحكمة ووظيفتها عند الشاعرين أيضاً.

ومن مظاهر هذا التفاوت أن اهتمام سَعدي بالحكمة أكثر بكثير من اهتمام المتنبي. وقد استندنا في كلامنا هذا إلى عدّة أمور، أهمّها: الحجم الكبير جداً للحكمة في كليّات سَعدي مقابل حجم القليل في ديوان المتنبي، وأنّ المنظومات الخاصّة بالحكمة عند سَعدي كثيرة جداً، في حين أنّ المنظومات الخاصّة بالحكمة في ديوان المتنبي لا تتعدّى منظومتين أو ثلاث منظومات، وإنّ الحكمة عند المتنبي وسيلة للوصول إلى الثروة والسلطان، بينما هي وسيلة للموعظة والإرشاد عند سَعدي، أي: الحكمة عند الأول وسيلة، وعند الآخر غاية. ذلك لأنّ الهدف الأساس من الحكمة عند سَعدي النصح والإرشاد إمّا للناس أو الممدوح أو لنفسه أحياناً، في حين أنّ الهدف الأساس عند المتنبي المدح والفخر والهجاء. فخلاصة الكلام في هذا المجال أنّ معالجة نفسية الشاعرين تُظهر لنا التفاوت بين المتنبي كشاعر المدح وسَعدي كشاعر الموعظة والنصيحة، أي: التفاوت بين المدّاح والواعظ، وإن اشترك الشاعران فيما يؤخذ عليهما، لوجود بعض التناقضات بين حكمة الشاعرين وحياتهما، من قبيل التكسّب والإباحية.

أمّا تأثير هذا الاختلاف في المضامين الحكيمّة وموضوعاتها الإيجابية والسلبية، أي في الحثّ على الفضائل والتحذير من الرذائل، فيظهر في الإكثار من بعض المضامين دون غيرها. بعبارة أخرى كلّ ما ذكرناه هو من التفاوت في نفسية الشاعرين، فكان حثّ المتنبي على الشجاعة والجرأة أكثر بكثير من حثّ سَعدي عليهما، وبالعكس لا يقاس إقبال سَعدي على التواضع مع إقبال المتنبي عليه. وكذلك إنّ المتنبي ما حثّ على القناعة والعدالة ولم يمنع عن الأناية والغرور، في حين أنّ سَعدي حثّ كثيراً على القناعة والعدالة والإنصاف ومنع عن الغرور والأناية.

وكانت هذه المقالة دراسة موجزة ومتواضعة في نفسية كلّ من المتنبي وسَعدي وتأثيرها على حكمة الشاعرين.

## قائمة المصادر والمراجع

## أ- المصادر والمراجع العربية

- ١- ابن جني، أبو الفتح عثمان، ١٠٠٢/٣٩٢، شرح ديوان المتنبي المسمى بالفسر، تحقيق وتقديم رضا رجب، الطبعة الأولى، دمشق، دار الينابيع، ٢٠٠٤م، خمسة مجلدات.
- ٢- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ١٢٨٢/٦٨١، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ثمانية مجلدات.
- ٣- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، ١٠٦٤/٤٥٦، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، مجلدان.
- ٤- ابن شاکر الكتبي، محمد، ١٣٦٣/٧٦٤، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، لا طبعة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م، خمسة مجلدات.
- ٥- الأرفه لي، بلال وليد، ملامح الأدب العربي في قصور البويهيين، ١٥٣ صفحة (مستنسخة)، رسالة ماجستير، اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأميركية في بيروت، كلية العلوم والآداب، حزيران ٢٠٠٣م.
- ٦- البديعي، يوسف، ١٠٧٢/١٦٦٢، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، لا طبعة، دمشق، مكتبة عرفة، لا تاريخ.
- ٧- بلاشير، ريجيس، أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة ابراهيم الكيلاني، لا طبعة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٥م.
- ٨- الثعالبي، أبو منصور، ١٠٣٨/٤٢٩، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، أربعة مجلدات.
- ٩- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، ١٠٠٢/٣٩٢، الوساطة بين المتنبي وخصومة، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاري، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١م.
- ١٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ١٣٦٣/٧٦٤، نصره الشائر على المثل السائر، تحقيق محمد علي سلطاني، لا طبعة، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩١٧/١٣١٩م.

- ١١- الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتز ورفاقه، الطبعة الثانية [طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلميّة والتكنولوجيّة التابعة لألمانيا الاتّحادية، بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقيّة في بيروت]، بيروت، دار صادر، ١٣٨١ / ١٩٦٢م، تسعة وعشرون مجلّداً.
- ١٢- العبّاسي، عبد الرحمن بن أحمد ، ١٥٥٦/٩٦٣، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لا طبعة، [قسطنطينيّة]، لا ناشر، لا تاريخ.
- ١٣- البرقوق، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، تحقيق عمر فاروق الطباع وتعليقه، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأرقم، ١٩٣٨م ، مجلّدان.
- ١٤- البغدادي، عبد القادر بن عمر، ١٦٨٢/١٠٩٣، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، الطبعة الأولى، [وبهامشه كتاب المقاصد النحويّة في شرح شواهد شروح الألفيّة المزري المشهور بشرح الشواهد الكبرى للإمام محمود العيني]، بيروت، دار صادر، لا تاريخ، أربعة مجلّدات.
- ١٥- الحميري، محمّد بن عبد المنعم، القرن الثامن/ الخامس عشر، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق إحسان عبّاس، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسّسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- ١٦- عزّام، عبد الوهّاب، ذكرى أبي الطيّب، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م، ٣٢٠ صفحة.
- ١٧- الكليني، أبو جعفر محمّد بن يعقوب، ٩٤١/٣٢٩، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفّاري، الطبعة الرابعة، تهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٩٨٥، ثمانية مجلّدات.
- ١٨- المتنبي، أبو الطيّب أحمد بن الحسن، ٩٦٥/٣٥٤، الديوان، صحّحها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها عبد الوهّاب عزّام، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، ١٩٤٤م.
- ١٩- شاكر، محمود، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لا طبعة، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٧م.
- ٢٠- الشعكة، مصطفى، أبو الطيّب المتنبي في مصر والعراقين، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار المصريّة اللبنانيّة، ٢٠٠١م.

- ٢١- أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله، ١٠٥٧/٤٤٩، رسالة الغفران، تحقيق إبراهيم اليازجي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة قومسيون، لا تاريخ.
- ٢٢- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، ١٠٧٦/٤٦٨، شرح ديوان المتنبي، تصحيح وفهرسة فريدخ ديتريشي، لا طبعة [طبع في مدينة برلين المحروسة]، بيروت، دار صادر، ١٨٦١م، مجلدان.
- ٢٣- اليازجي، ناصيف بن عبد الله، ١٨٧١/١٢٨٨، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت، مطبعة القديس جارجيوس، ١٨٨٢م.
- ٢٤- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، ١٢٢٩/٦٢٦، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩١م، ستة مجلدات.

#### ب - المصادر والمراجع الفارسية

- ٢٥- دامادي، محمد، سعدى شاعر جامع ومأخذ چند حكايت بوستان، صفحه ٣٤٧-٣٦٨، در ذكر جميل سعدى، چاپ پنجم، تهران، كمسيون ملى بونسكو وسازمان چاپ وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى، ١٩٩٧/١٣٧٧، جلد دوم.
- ٢٦- دشتى، على، قلمرو سعدي، چاپ دوم، تهران، انتشارات أساطير، ١٣٨٠/٢٠٠٠.
- ٢٧- زرین کوب، عبد الحسين، با كاروان حله، مجموعه نقد أدبي، چاپ نهم، تهران، انتشارات علمى، ١٣٧٤.
- ٢٨- سعدي، مصلح الدين عبد الله، ١٢٩١/٦١٠، بوستان، سعدي نامه، تصحيح وتوضيح دكتور غلامحسين يوسفى، چاپ پنجم، تهران، انتشارات خوارزمى، ١٩٩٦/١٣٧٥.
- ٢٩- سعدي، كليات، شرح وتقديم عباس اقبال آشتياني، چاپ ششم، تهران، نشر علم، ١٩٩٣/١٣٧٢، [طبعة استثنائية، وقد أشير إليها في الحواشي بكلمة «اقبال»]

- ٣٠- سعدي، كليات، تحقيق محمد علي فروغی، بدون نوبت چاپ، تهران، انتشارات امير كبير، ١٣٦٥/١٩٨٥.
- ٣١- كمالي سروسناني، كورش، ديپاچه، صفحه ٧ - ٩، در سعدي شناسی [دفتر اول]، به كوشش كوروش كمالي سروسناني، چاپ نخست، شيراز ، دانشنامه فارس، ١٣٧٧ / ١٩٩٧، دفتر اول.
- ٣٢- مهاجراني، عطاء الله، نصائح سعدي لأبناء القرن العشرين، الدراسات الأدبية، بيروت، الدورة الجديدة، السنة الأولى، ٢٠٠٠م، العددان ٣ و ٤، الصفحات ١٤ - ٤٠.
- ٣٣- نعماني، شبلي، شعر العجم: تاريخ شعر وأدبيات ايران، ترجمه محمد تقی فخر داعی گيلانی، چاپ سوم، تهران، دنياى كتاب، ١٣٦٨/١٩٨٢، دو جلدی.

### ج- المراجع الأجنبية

- 34-Browne (G. Edward). – *A Literary History of Persia: From Firdawsi to Sa‘dī*. – seventh published. – London: Camberidge University, 1964. – Volume II.
- 35-Schimmel, (A.). – *Persian literature*؛ edit by Ehsan yarshater. – U.S.A, 1919.
- 36- Davis, (R.). – “Sa‘dī”, in *Encyclopaedia of Islam*. – New edition. – Leiden : Brill, 1995. – Volume VIII, pp. 719 – 723.



This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

## جمالية توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في لزوميات المعري

د. سيد مهدي مسبوق\*

د. علي باقر طاهري نيا\*\*

مهدي تركاشوند\*\*\*

### الملخص:

شهد العصر العباسي ازدهارا واسعا في مختلف مظاهر الحياة ونشطت الحركة العلمية ووضعت مصطلحات كثيرة وجديدة في مختلف فروع المعرفة ودخلت بعض هذه المصطلحات في الأدب وجرت على اقلام الكتاب والسنة الشعراء. فمن الطبيعي ألا تخلو منها أشعار كبار الشعراء كأبي تمام والمنتبي والمعري وغيرهم. ولما كان المعري ذا موهبة غزيرة وثقافة واسعة في مختلف العلوم والمعارف فقد أكثر من استخدام هذه المصطلحات العلمية في شعره خاصة ديوانه اللزوميات، وإسرافه في توظيف هذه المصطلحات في شعره قد أثار إعجاب فئة من النقاد والدارسين كما أثار طعن فئة أخرى.

هذا والمعري قد تعرض لمصطلحات العلوم المختلفة من الصرف والنحو والعروض والفلك والكيمياء والطب وغيرها. ومن الواضح أن دراسة هذه المصطلحات في شعره تكشف عن جانب من أفكاره وآرائه كما تتم عن سعة إلمامه بهذه العلوم وغزارة أدبه، فمن ثم تتوقف هذه الورقة عند المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية التي استخدمها الشاعر استخداما فنيا وذوقيا لا يستوعبها المتلقى إلا بعد التأمل في الجانب الفني والتي قد استخدمه الشاعر لتصوير خوالج نفسه والتعبير عن آرائه.

### الكلمات المفتاحية:

المعري، المصطلحات، الشعر، الصرف، النحو والعروض.

\* استاذ مساعد في جامعة بوعلي سينا بجمدان.

\*\* استاذ مشارك في جامعة بوعلي سينا بجمدان.

\*\*\* طالب ماجستير في اللغة العربية و آدابها.

## المقدمة

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التتوخي الملقب بالمعري والمكنى بأبي العلاء، قد ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣ للهجرة وتوفي فيها سنة ٤٤٩ للهجرة .  
ويبدو أنه لم يكن راضياً لا عن اسمه ولا عن كنيته، حيث أشار إلي ذلك غير مرة، منها ما قاله عن كنيته:

دُعيتُ أباالعلاء و ذلك مَينٌ ولكنّ الصحيحُ أبوالنزول<sup>(١)</sup>

وعن اسمه الاول:

وأحمدَ سَمّاني كبيري، وقَلّما فعلتُ سوى ما أستحقُّ به الذما<sup>(٢)</sup>

أصيبَ أبوالعلاء بالجدري في الرابعة من عمره فصار ضريراً لا يرى إلا الظلمة. وقد أشار إلي هذه العاهة في لزومياته اشارات كثيرة ذات لوعة وحزن، منها:

ذهابُ العينِ صانَ الجسمَ أَوَنَةً عن التطريحِ في البيدِ الأماليسِ<sup>(٣)</sup>

مع هذا كله، وهبه الله نعمة جليلة نابت مناب عماء وهي ذاكرته القوية العجيبة التي أسعفته في التفوق على معاصريه وفي تحصيل العلوم والقراءة والكتابة واصبحت خير معين له. درس المعري علوم الأوائل من النحو واللغة والعروض والحديث على مشاهير عصره، ثم هم بالأسفار، ورحل إلى المدن الشامية كأنطاكية وطرابلس وحلب واللاذقية للإستزادة من العلم ثم ولى وجهه شطر بغداد منتجع العلماء وقبلة الأدباء في ذلك الحين. وبعد أن أروى ظمأه عبرالجولة في هذه المدن والاختلاف إلى الاوساط العلمية فيها والتعرف إلى الحضارات العريقة كحضارة الفرس والهنود واليونان عاد إلى مسقط رأسه معتزلاً للناس ومكتفياً باليسير من الطعام والكفاف من القوت مسمياً نفسه رهين المحبسين يعني حبس النفس في المنزل وحبس البصر عن الرؤية. وظل الشاعر في هذين المحبسين زهاء خمسين عاماً. ولما أنتابته الأمراض وشعر بدنوّ موته أوصى بأن يُكتب على قبره:

هذا جناه أبي عَلَيَّ وما جنيتُ على أحد<sup>(٤)</sup>

١- لزوم، ص ٣٦

٢- نفسه، ص ٣٠٧

٣- نفسه، ص ٧٢

٤- ابن خلكان، ؟، ص ١١٥

بقي المعري في قيد الحياة حتى سنة ٤٤٩ للهجرة. ولما مات أنشد على قبره أربعة  
وثمانون شاعراً مرثياً، منها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة في رثاء ومنها:

إن كنت لم تُرِقِ الدماء زهادةً      فلقد أرقّت اليوم من جفني دما  
سيرت ذكرك في البلاد كأنه      مسكٌ فسامعٌ يَضْمَخُ أو فما  
وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلةً      ذكراك أخرج فديةً من أحرماً<sup>(٥)</sup>

وقد أدرك أربعة من خلفاء بني العباس من المطيع لله الفضل بن المقتدر إلى القائم  
بأمر الله عبدالله بن القادر و كذلك أدرك خمسة من الخلفاء الفاطميين من المعزّ لدين الله  
معدّ بن المنصور إلي المستنصر بالله معد بن الظاهر<sup>(٦)</sup>.

### نظرة على أهم ميزات شعر المعري

كان المعري مطلعاً على أشعار القدماء ومتطلباً غرائب أشعارهم، والمتنبي الذي كان  
من أبرز الأعلام في الشعر العربي قد أعجب به شاعرنا خاصة في الشطر الأول من  
حياته الأدبية وقبل أن يعكف على العزلة. وقد ظهر صدى هذا الإعجاب في ديوانه سقط  
الزند جلياً، حيث أخذ الشاعر يجري فيه على منهج المتنبي، خاصة في معانيه الحكيمية  
وفخرياته. وفي معرض دراسته لشعر المعري، يشير الدكتور شوقي ضيف إلى هذه  
القضية قائلاً: «بدأ أبو العلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتنبي إذ كان يتعصب له تعصباً  
شديداً، وسقط الزند خير ما يفسر هذا الطور من تقليده إذ تراه ينظم على طريقة المتنبي  
السابقة، فهو يعني بالغريب والشاذ في التراكيب، كما يعتد بالتصنع...»<sup>(٧)</sup>.

ومن أبرز مظاهر تعصب المعري لأبي الطيب ما حدث له في بغداد مع الشريف  
المرتضى، إذ روي أنه قد جرى في بعض مجالس الشريف المرتضى ذكر أبي الطيب  
فهضم المرتضى من جانب المتنبي فقال المعري: لو لم يكن له من الشعر إلا قوله: لك يا  
منازل في القلوب منازل، لكفاه، فغضب المرتضى وأمر بحبسه وقال للحاضرين أتدرون  
ما عني هذا بذكر البيت؟ قالوا: لا، قال: عني به قول المتنبي:

٥ - الحموي، ١٤٠٠: ج٣ ص ١٢٦

٦ - الحجار، ١٤١٨: ص ٦٨

٧ - ضيف،؟، ص ٣٨١

وإذا أنتك مذمتي من ناقص  
فهي الشهادة لي بأني كامل<sup>(٨)</sup>

ومما يدل كذلك على شغف أبي العلاء بأشعار المتنبي أنه شرح ديوانه في كتاب سمّاه «اللامع العزيزي» وقد أهداه إلى الأمير عزيز الدولة، الذي تولي إمارة حلب سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة<sup>(٩)</sup>. ويذكر ابن خلكان أنه لما فرغ من تأليف كتاب «اللامع العزيزي» قرىء عليه فقال: كأنما نظر اليّ بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي  
وأسمعت كلماتي من به صمم<sup>١٠</sup>

ثم أشار ابن خلكان إلى أنه ألف كتاباً آخر مختصراً في شعر المتنبي سماه «معجز احمد» تكلم فيه عن غريب اشعاره ومعانيه ومأخذه على غيره<sup>(١٠)</sup>.

أما الخصائص اللفظية لشعر المعري فتتجلى في ثروته اللفظية وبلاغة تراكيبه والأكثر من التكلف والتميق بضروب البديع. وكانت ثروته اللفظية تشتمل على الكثير من الألفاظ الغريبة والتعابير النادرة والمترادفات الكثيرة<sup>(١١)</sup>.

أصبح اللجوء إلى الصناعة والتكلف ميزة بارزة في عصر المعري وميداناً واسعاً لإظهار المقدرّة الأدبية واللغوية بين الشعراء ولم يكن شاعرنا بمعزل عن هذه النزعة وإنما رافقها وشغف بها وأصبحت طابعاً مميزاً لشعره، وخير مثال على هذا التكلف هو ديوانه المسمى باللزوميات، وعني المعري بالمحسنات البديعية في شعره عناية فائقة وأسرف في التلاعب بالألفاظ والتلميحات التاريخية واستخدام المصطلحات العلمية حيث يقول الدكتور كمال اليازجي عن هذه الظاهرة في شعره: «والذي يظهر لدارس مؤلفات المعري أن عناية المؤلف في الشكل لم تكن أقل منها في الموضوع، بل ربما كانت القيمة في الكثير منها للشكل دون الموضوع، شأن الكثير من رسائله. فمؤلفاته جملة مظهر لسعة اطلاعه اللغوي ومرونته في تقليب الألفاظ والتراكيب ومقدرته في التتميق والتزيين والتجنيس وربما كان العامل الأول في تصنيف عدد من مؤلفاته إبراز هذه المقدرّة والتبجح بسعة العلم»<sup>(١٢)</sup>.

٨ - حسين، ١٣٨٤ق، ص ١٠٣

٩ - علي محمد، ١٩٩٧م، ص ١٥١

١٠ - ابن خلكان، ص ١١٤

١١ - اليازجي، ١٤١٧، ص ٢٢

١٢ - المرجع السابق

وأكثر المحسنات البديعية في شعر المعري استعمالاً هو التجنيس والطباق والمقابلة والتورية ورد العجز على الصدر، والتجنيس بأنواعه المختلفة أكثرها استعمالاً، حيث يظهر الشاعر في لزومياته شغوفاً به إلى حد الجنون. يقول الدكتور شوقي ضيف في سياق دراسة التصنع في لزوميات الشاعر: «إن أبا العلاء استطاع ان يستخدم هذا الجنس استخداماً مزدوجاً، فهو يأتي به غالباً ليعبر عن جناس من جهة وليعبر عن لفظ غريب من جهة أخرى. كان أبو العلاء يستخدم الجنس استخداماً لغوياً يريد به أن يدل على مهارته في اللغة قبل ان يدل على مهارته في استخدام لون قديم من ألوان التصنيف»<sup>(١٣)</sup>.

ضاع أكثر مؤلفات المعري والمعروف والمطبوع من آثاره اليوم هو:

- لزوم ما لا يلزم
- سقط الزند
- ضوء السقط
- رسالة الغفران
- ملقي السبيل
- الفصول والغايات
- زجر النابج ومجموعة من الرسائل.

#### لمحة عن شيوع المصطلحات العلمية في الشعر العباسي

لقد اشدت احتكاك العرب بالثقافات الأجنبية في العصر العباسي ونشطت الحركة العلمية ونهضة الترجمة وحُملت إلى المسلمين قواعد المنطق والعلوم العقلية والفلسفة وظهر في ميدان الأدب شعراء قد تعرفوا إلى الكثير من هذه العلوم والمعارف وتعرضوا لها واستخدموا مصطلحاتها في أشعارهم استخداماً استعارياً وذوقياً، منهم أبو تمام وأبو الفتح البستي والمنتبي والمعري، من ذلك قول أبي تمام يصف الخمر مستخدماً مصطلح الصرف:

خرقاء يلعب بالعقول حباؤها      كتلاعب الأفعال بالاسماء<sup>(١٤)</sup>  
وقوله متمثلاً بألفاظ علم المنطق :

١٣ - ضيف، ٣٩٩:٤

١٤ - ديوان، ١٩٩٤، ص ٢٧

صاعَهم ذو الجلال من جوهر المجد      وصاغ الأنام من عَرَضِهِ<sup>(١٥)</sup>  
ومن هذا القبيل قول أبي الفتح البستي:  
وبصير بمعاني الشعـ      ر والإعراب جدا  
قال لما أن رأني      طالبا مالا ورفدا  
إن مالي يا حبيبي      لازم لا يتعدي<sup>(١٦)</sup>  
وقوله في موضع آخر:

عُزِلْتُ و لم أذنب ولم أكُ جانباً      وهذا لإنصافِ الوزيرِ خلافُ  
حُدِّفْتُ وغيري مثبتٌ في مكانه      كأني نونُ الجمعِ حين تُضافُ<sup>(١٧)</sup>  
والمتنبّي أيضا كان يجري على هذا المنوال ويوظف كثيرا من مصطلحات العلوم في شعره و«إنه لم يكد يترك شاذة نحوية إلا وتكلفها في قصائده»<sup>(١٨)</sup>.  
ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً      مَضَى قَبْلَ أن تُلقَى عليه الجوارمُ<sup>(١٩)</sup>  
أما المعري فقد أكثر من استخدام المصطلحات العلمية في شعره خاصة في ديوانه اللزوميات الذي استخدم فيه شتى المصطلحات العلمية من كيمياء، وفيزياء، وفلك، وجيولوجيا، ورياضة، وطب، وصرف، ونحو، وعروض وقافية... وغيرها. وبما أن المقام يضيق بنا أن نوسع القول في كل هذه المصطلحات فإننا نكتفي منها ببعض المصطلحات الصرفية والنحوية التي ينبسط ظلها على شعره وقبل الخوض في صلب الموضوع نسلط الضوء على موقف النقاد والدارسين من هذه الظاهرة في شعر صاحبنا.

#### موقف الباحثين من هذه المصطلحات في شعر المعري الفئة المؤيدة:

من النقاد من يقف موقفا ايجابيا من هذه الظاهرة في شعر المعري باعتبارها عاملا اساسيا في روعة شعر المعري وجماله، منهم طه حسين، ومحمد الشريقي وحامد أبو

١٥ - المرجع السابق، ص ٣٨١

١٦ - ديوان، ١٩٨٩، ص ٧٨

١٧ - المرجع السابق، ص ١٧٦

١٨ - ضيف، ص ٣١٠

١٩ - ديوان، ١٩٩٧، ص ٣٠٢

شاويش. يرى الدكتور طه الحسين أن وجود هذه المصطلحات في لزوميات المعري «يدل على شدة تأثير الدرس اللغوي في ملكته الشعرية»<sup>(٢٠)</sup>. يبدو في هذه العبارة أن طه حسين يقف موقف المعجب بهذه الظاهرة في شعر المعري ويكشف بصراحة عن موقفه هذا في موضع آخر حيث يقول: «تصرف أبي العلاء باصطلاحات العلم بهذا النحو من التصرف أكسب شعره ظرفاً»<sup>(٢١)</sup>.

واستحسن محمد الشريقي أيضاً صنيع المعري في هذا المجال وظهر موقفه الإيجابي من هذه المبادرة وذكر: «أنّ أبا العلاء عندما يأخذ باختراع المعاني العامة من المسائل والمصطلحات العلمية والفنية خاصة لا يسخر الشعر للعلم بل يسخر العلم للشعر فهو ليس بالشاعر الفقيه أو اللغوي أو النحوي أو الفلكي بالمعنى المنتقص في الذوق الأدبي بل هو الشاعر الملهم أبداً»<sup>(٢٢)</sup>.

والدكتور حماد أبو شاويش يتبنى نفس الموقف ويحذ ما وظفه المعري في شعره من مصطلحات العلوم قائلاً: «إن المصطلحات ألفاظ كغيرها من ألفاظ اللغة ومن حق الأديب أن يستعمل منها ما يحتاج إليه ليحدد الفكرة التي يريد التعبير عنها ويوضح التجربة التي انفعّل بها ولا يخفى أن كثيراً من معاني أبي العلاء جاءت جديدة والمعاني الجديدة قد تحتاج إلى لغة جديدة لأدائها أو لتطويع اللغة المستخدمة، وقد استطاع أبو العلاء حقاً أن يستغل مصادر اللغة وثرواتها إلى أقصى درجة ولا نكاد نجد شاعراً في العربية بلغ درجته من توظيف مصادر اللغة في الشعر والنثر»<sup>(٢٣)</sup>.

### الفئة المعارضة:

رغم أن مثل تلك المصطلحات تمثل في رأي بعض النقاد والدارسين ألواناً جديدة لتساوير الشاعر المبدع التي يرسمها في شعره فقد ظهر من النقد من يقف موقفاً سلبياً من هذه الظاهرة باعتبارها مظهراً من مظاهر التصنيع والتعقيد الفني ووسيلة

٢٠ - طه حسين،؟:ص٢٠٥

٢١ - المرجع السابق،ص٢١٠

٢٢ - الشريقي،١٩٤٥:ص٢٢٢

٢٣ - أبو شاويش،١٩٨٩،ص٢٤٣

ينتمدها المعري ليثبت براعته اللغوية ومعرفته العلمية. منهم شوقي ضيف وأحمد الشايب. يقول الدكتور شوقي ضيف ناعياً على المعري إسرافه في استخدام هذه المصطلحات: «لا نستطيع أن نفهم هذا التصنع لاصطلاحات النحو والصرف والعروض، وكان يلح في طلبه إلحاحاً شديداً أليس يدل ذلك على أن التفكير الفني لم يعد يدخل فيه شيء طريف وأن الشعراء قد أحسوا إحساساً ما بإجذابهم فانطلقوا يتكلفون في شعرهم هذه الكلف التي لا تفصح عن جمال فني سوى التعقيد الذي يدخله الشعراء من ممرات وأبواب كثيرة»<sup>(٢٤)</sup>.

يرى هذا الناقد أن المعري هو أول شاعر عربي وسع نطاق توظيف مصطلحات العلوم والفنون في الشعر العربي ويقول: «لعله أول من وسّع استعارة الشعراء لاصطلاحات العلوم والفنون ومن قبله كان المتنبّي يتصنع لذلك ولكنه لم يسرف فيه إسراف المعري الذي ذهب يطرّر شعره بألفاظ العلوم والفنون بل أننا نراه يدخل مسائلها في آرائه، وكأنه يريد منها الحجة والدليل علي ما يذهب إليه من فكرة أو رأي»<sup>(٢٥)</sup>.

ويتبنى أحمد الشايب نفس الموقف قائلاً: «أرسي المعري على سابقه في استخدام المصطلحات العلمية واتخاذها أقيسة وبراهين ليس فيها جمال الشعر وإن كان فيها تطرف النحويين والفقهاء»<sup>(٢٦)</sup>.

والدكتور عثمان موافي يرفض عكوف الشعراء على هذه الرموز والمصطلحات بعامة، إذ إنها — في رأيه — تخل بعنصر التخيل أو الإيحاء الذي هو عماد الشعر ويرى أن «استعمال المصطلحات العلمية والفلسفية يؤدي إلى طغيان عنصر الإقناع على عنصر التخيل ويفسد بذلك التعبير الشعري إذ يجنح به إلى التقرير والدلالة المباشرة، لا إلى الإيحاء والدلالة غير المباشرة»<sup>(٢٧)</sup>.

٢٤ - ضيف،؟:ص٤٠٥

٢٥ - شوقي ضيف،؟:ص٤٠٣

٢٦ - الشايب، ١٩٤٥، ص٣٨

٢٧ - موافي، ٢٠٠٠، ص٢٢٤

### نماذج من المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في شعر المعري المصطلحات الصرفية

وظف المعري المصطلحات الصرفية والنحوية في شعره توظيفاً إستعارياً، لكنّه أكثر من استخدام الصرفية منها. نبدأ بتحليل المصطلحات الصرفية قبل النحوية والعروضية.

ومن التمثيل بالإعلال قوله:

بتُ كالواو بينَ ياءٍ و كسرٍ      لا يلامُ الرجالُ إن أسقطوني<sup>(٢٨)</sup>

يصف المعري أحواله بين الناس وصفاً صرفياً ويشبهها بالواو التي وقعت بين الياء والكسر<sup>(٢٩)</sup>.

يريد الشاعر بهذا البيت أن يشير إلى أن شأنه في الاعتزال عن الناس شأن الواو في مضارع المثال الواوي وأمره ومصدره الذي تحذف منه الواو وتتفصل عن عين الفعل ولامه.

يعتقد أبو العلاء إن الإنسان معذور في غدره وخيانتته، لأنه قد ورث هذه الشيمة من آبائه:

وفي الأصل غشُّ والفروع توابعُ      وكيفَ وفاءُ النجلِ والأبُ غادرٌ؟  
إذا اعتلت الأفعالُ جاءتْ عَلِيَّةً      كَحالاتها أَسْمَاؤُها والمصادرُ  
وقُل للغرابِ الجَوْنِ إن كانَ سامعاً      أنتِ على تَغْيِيرِ لُونِكِ قَادرٌ؟<sup>(٣٠)</sup>

يجعل المعري الصلة بين الأصول والفروع تعليلاً صرفياً فيقول: الأفعال إذا كانت معتلة تبعتها مشتقاتها في الإعلال ولا تستطيع الخلاص منها. وعلى هذه القاعدة تتبع الفروع الأصول.

أما الغرض الذي قصده الشاعر فهو أن الابن يتخلق بأخلاق أبيه، إن كان الأب ذا نفس سليمة سيكون الابن سالماً وإن كان خائناً سيحذوا الابن حذوه. ومنها قوله:

٢٨ - لزوم، ص ٤٧٠

٢٩ - تُحذف الواو التي هي فاء الفعل الثلاثي مفتوح العين في الماضي مكسور العين في المضارع مثل: وَعَدَ ، وَصَفَ ، فَيَجِبُ حَذْفُ هَذِهِ الْوَاوِ فِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرِ. (النحو الوافي، عباس حسن، ٤: ٦٠٧)

٣٠ - نفسه، ص ٣٤٣

إذا غدوتَ عن الأوطان مُرتحلاً فضاه في البين حذفَ الواوِ في "يَعُدُّ"  
كانت فبانَت وما حنَّت إلي وطنٍ وعادَ غادِ إلي وكرٍ ولم تُعُدَّ (٣١)  
ينصح الشاعر المخاطب بالعزلة والتشبث بها ويقول: إذا رحلتَ عن وطنك فلا تعد  
إليه بل كن كالواو لأنها متى وقعت بين ياء وكسر تحذف لغرض صرفي فلا تعود إليه  
أبداً.

في موضع آخر يشبه نفسه بفعل قال في إعتلاله ويقول:

أعلتُ علةً "قال" وهي قديمةٌ أعياء الأظبة كلهم إيراؤها (٣٢)

إنه وظف في هذا البيت قاعدة صرفية للتعبير عن علة إنسانية واستمد من إعتلال قال  
وما يشبهها من الأفعال المعتلة وأشار بذلك إلى أنه لا يمكنه أن يبرأ من عاهته وعلته  
كما أن الأفعال المعتلة لا تبرأ من الاعتلال ويعني بذلك أن علة قديمة وأن الحياة وما  
فيها من الآلام والمصائب قد ثقلت عليه ولا نجاة له منها.

ومنها:

كم تنصَح الدنيا و لا تقبلُ وفائزٌ من جدُّه مُقبلُ  
إن أذاها مثلُ أفعالنا ماضٍ وفي الحال مُستقبلُ (٣٣)

يخلق أبو العلاء في البيت الثاني تصويراً رائعاً إذ يشبه أذى الدنيا بأزمنة الأفعال.  
ويقول كما ينقسم الفعل إلى الأزمنة الثلاثة (٣٤) كذا يستمر أذى الدنيا دائماً ويشمل الماضي  
والحاضر والمستقبل.

ويقول مشبهاً حالات الناس بإعراب الأفعال رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً:

وتُرفعُ أجسادٌ وتتصبُّ مرّةً وتُخفضُ في هذا التراب وتُجزمُ (٣٥)

يصف الشاعر أحوال الناس في النعمة والشقاء وصفاً صرفياً فكما يكون للفعل ثلاث  
حالات من الرفع والنصب والجزم، للإنسان حالات مختلفة، كذلك منهم من ينعم في حياته

٣١ - نفسه، ص ٣٠٩

٣٢ - نفسه، ص ٥٦

٣٣ - نفسه، ص ١٧٠

٣٤ - للفعل ثلاثة أقسام: ١- الماضي وهو فعل يدل على امرين: المعنى والزمان الذي فات ٢- مضارع وهو كلمة تدل على امرين  
معا: المعنى و الزمن الصالح للحال او الاستقبال ٣- امر وهو كلمة تدل بنفسها على امرين: معنى مطلوب تحقيقه في زمن  
مستقبل ولا بد لفعل الامر ان يدل بنفسه مباشرة على الطلب. (النحو الوافي، عباس حسن، ١: ٢٧)

٣٥ - نفسه، ص ٢٦٩

ومنهم من يشقي و يتحمل المصائب حتى يموت ويدفن، وهكذا جعل الشاعر الموت عامل خفض وسكون للإنسان.

وقال في ما يجمع على المؤنث السالم من غير العاقل:

إنَّ الرجالَ إذا لم يَحْمِها رَشَدٌ      مثلُ النساءِ عَراها الخُلفُ والخُلفُ  
ألا ترى جمعَ ما لا عقلَ يُسِنِّدُه      جَمَعَ المؤنثُ<sup>(٣٦)</sup> فيه التاءُ والألفُ<sup>(٣٧)</sup>

عبى الشاعر بهذا البيت أن الرجل الذي لا يتمتع بالعقل في حياته يشبه المرأة الحمقاء. ولتبرير ما ذهب إليه إعتد على قاعدة صرفية وهي أن جمع المذكر غير العاقل يكون على جمع المؤنث السالم.

وقال متمثلاً بعدم جواز تصغير المصغر:

أردت إهانتني فحماك مني      قضاءً فيّ كان له نُجوزُ  
وجدتني اللجينَ أو الثريا      وتصغيرُ المصغرِ لايجوزُ<sup>(٣٨)</sup>

اللجين والثريا كلاهما علي زنة التصغير ولا يجوز تصغير المصغر، فاستمد المعري من هذه القاعدة الصرفية وقال: أراد عدوي تحقيري بتصغير شاني فوجدني كاللجين والثريا لا يجري عليهما التصغير لأنهما علي زنة التصغير والتصغير فيهما للتحبيب أو التعظيم فلا يمكن للشامت أن يحط من شاني .

وقال متمثلاً بعامل الخفض:

لا تدنُون من النساء      فإنَّ غِبَّ الأري مرُ  
وبالباء مثلُ الباءِ تخـ      فِضُ للدناءة أو نُجُرُ<sup>(٣٩)</sup>

يقول: إحدروا النساء فإن كان أول القرب منهن حلو كالعسل فعقباه مرُ كالحنظل ثم استعار قاعدة صرفية لإثبات دعواه وإقناع الآخرين وهي تشبيه النساء بالباء الجارة

٣٦ - جمع المؤنث السالم ينقاس في ستة اشياء منها: في وصف مذكر غير عاقل مثل: كلمة جميل في: هذه بساتين جميلات (النحو

الوافي، ١: ١٠٢)

٣٧ - نفسه، ص ٥٠

٣٨ - أحد شروط الأسماء التي يدخلها التصغير هو: ألا يكون الاسم مصغر اللفظ، مثل كميته، دريد، وسويد. (النحو

الوافي، ٤: ٥١٤)

٣٩ - نفسه، ص ٣٩٠

خفضاً ودناءةً. الغرض الذي قصده الشاعر بهذه البيت هو كما «الباء الجارة» يعمل في الإسم ويجره، كذا القرب من النساء يسوق إلي العار والذل.

### المصطلحات النحوية

ليست المصطلحات الصرفية هي التي يستمد منها الشاعر فقط، بل يميل إلى النحو ويستعير منه مادته الشعرية ليعبر بها عن معتقداته وآرائه تجاه الحياة. منها قوله:

سِرُّ سَيُعلَنَ والحياةُ مُعارَةٌ      ولتَقْضِينَ بها ديونَ المُعْسرِ  
كخبيءٍ نِعَمٍ وبئسَ يُخبأُ فيهما      ويكون ذلك على اشتراطِ مفسرٍ<sup>(٤٠)</sup>

يقول: الحق مكنون في هذه الدنيا، ومتى انقضت الحياة الدنيا يظهر الحق فيكافئ من حرم من أبنائه ثم يفسر عقيدته تفسيراً نحويّاً ويخلق لها تصويراً أدبياً إذ يشبه الحق المكنون بفاعل أفعال المدح والذم، فكما يكون الفاعل<sup>(٤١)</sup> في هذه الأفعال مستتراً وجوباً إذا وليها تمييز مفسر كذا يكون الحق مستوراً في هذه الدنيا ويظهر ويطلع عليه الناس متى بادت هذه الدنيا.

يريد أن يقول إن انقضاء هذه الحياة هو القرينة الدالة على الحق المستور فيها كما أن التمييز هو القرينة الدالة على الفاعل المستتر في أفعال المدح والذم.

ويرى المعري أن خير النساء هي من تلازم الخباء:

تَزَوَّجَ إنْ أرَدتَ فتاةً صدق      كمُضْمَرٍ نعم، دامَ على الضمير  
إذا طَلعَ الأوانسُ لم تَطَّلِع      إلى عُرْسٍ تمرُّ ولا أميرٍ<sup>(٤٢)</sup>

يقول إنه خير للرجال أن يتزوجوا بالفتيات العفيفات العابدات اللاتي لا يتبرجن ولا يخرجن من بيوتهن إلى الشوارع. وهو يشبه سترهن في الخدر بفاعل أفعال المدح والذم الذي يكون مستتراً دائماً عند تفسيره بالتمييز.

ومنها قوله، مستعينا «كان»:

٤٠ — نفسه، ص ٤٧٣

٤١ — يقتصر فاعل أفعال المدح والذم على أنواع معينة منها: الضمير المستتر وجوباً بشرط أن يكون ملتزماً بالإفراد والتذكير وعانداً على تمييز بعده يفسر ما في هذا الضمير من الغموض والإمهام نحو: نعم قوماً العرب اي: نعم القوم قوماً ففي نعم ضمير مستتر وجوباً تقديره هو يعود إلى التمييز (قوما). (النحو الوافي، ٣: ٣٠٠)

٤٢ — نفسه، ص ٤٦٥



ومنها قوله:

عش يا بن آدم عدة الوزن الذي      يدعى الطويل ولا تجاوز ذلكا  
فإذا بلغت وأربعين ثمانياً      فحياةً مثلك أن يوسد هالكاً<sup>(٤٧)</sup>

يقول على الانسان أن يقتنع في حياته بثمانية وأربعين عاما وعبر عن هذا المعنى اعتمادا على عدد حروف البحر الطويل لأنه مركب من ثمانى تفاعيل أربع منها مكونة من خمسة أحرف (فعولن×٤) وأربع أخرى مكونة من سبعة أحرف (مفاعيلن×٤) وربما تسميته بالطويل تعود إلى عدد حروفه حيث قيل «سمي طويلا لأنه أطول الشعر وليس في الشعر ما يبلغ حروفه ثمانية وأربعين حرفا في البحور غيره»<sup>(٤٨)</sup>.

ومنها:

غدوتُ أسيرا في الزمان كأنني      عروضُ طويلٍ قبضُها ليس يبسطُ<sup>(٤٩)</sup>  
يشير إلى أنه وقع أسيرا في يد الزمان ولا يتغير حاله وشأنه في ذلك شأن البحر الطويل الذي عروضه مقبوضة على الدوام والقبض في الطويل هو حذف الخامس الساكن الذي يلزم حذفه في عروض الطويل أي في تفعيلته الأخيرة من الشطر الأول ويصير (مفاعيلن) في عروضه (مفاعلن).

ومنها:

وأكرمني على عيبي رجالٌ      كما روي القريضُ على الزحافِ<sup>(٥٠)</sup>

يقول إن الناس يكرموني رغم ما فيّ من العيوب كما يروون أشعارا فيها الزحاف ولا يعيبنها على الشاعر وإنما يعتبرونها من الجوازات الشعرية، والزحاف تغيير يطرأ على الحرف الثاني من الأسباب ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن ففي مثل متفاعلن يكون بتسكين التاء فتصير متفاعلن وتنتقل إلى مستفعلن أو بحذفها فتصير مفاعلن<sup>(٥١)</sup>.

٤٧ - لزوم، ص ٢٨٠

٤٨ - الهاشمي، ٤٢، ٢٠٠٦

٤٩ - لزوم، ص ٢٢٧

٥٠ - نفسه، ص ٢٤٣

٥١ - مصطفى، ؟، ٣١

ومنها:

بقائِي الطويلُ وغيي البسيطُ وأصبحتُ مضطرباً كالرجزُ  
في الشطر الأول يشير إلى المعنى اللغوي للبحرين الطويل والبسيط ويشكو من أنه قد  
عاش حياة طويلة في غباوة منبسطة وفي الشطر الثاني يلمح إلى ما يعانيه من الآلام  
والمصاعب مستمداً من حالات بحر الرجز الذي تضطرب تفاعيله ويكثر فيه دخول  
الزحافات والعلل.

والشاعر بالإضافة إلى ما مر بنا من الرموز العروضية قد يستخدم مصطلحات القافية  
في شعره، منها قوله:

بُعدي عن الإنس بُرءٌ من سقامهم      وقُرْبُهُم للحجى والدين إدواءٌ  
كالبيت أُفردَ لا إيطاءٌ يدركه      ولا سنادٌ ولا في اللفظ إقواءٌ<sup>(٥٢)</sup>

يبرر الشاعر ما اختار من حياة العزلة والإنفراد معتقداً بأن الاعتزال عن الناس ينجيه  
من شرورهم وأسقامهم فشبه نفسه في انفراده وبعده عن شرور الناس بالبيت المفرد الذي  
لا يعتريه الإيطاء ولا السناد ولا الإقواء. هذه المصطلحات الثلاثة من عيوب القافية  
والإيطاء هو أن تتكرر القافية في قصيدة واحدة بلفظها ومعناها من غير فاصل أقله سبعة  
أبيات والسناد هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من حروف وحركات والإقواء هو  
اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة كأن يكون الروي في بيت مجروراً وفي آخر  
مرفوعاً<sup>(٥٣)</sup>.

ومن البديهي أن كل هذه العيوب لا تقع في البيت الواحد وكأنما المعري هو هذا البيت  
يعيش بمعزل عن شرور الناس وأذاهم.

### النتيجة:

نستخلص مما مر بنا أن:

- ١- أبا العلاء قد ألح في توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في  
شعره إلحاحاً كثيراً وحاول أن يرد كثيراً من أفكاره إلى علل أصحاب الصرف والنحو  
والعروض ومصطلحاتهم.

٥٢ - لزوم، ٢٦

٥٣ - الأسمر، ٢٠٥، ص ١٦٤-١٦٥

- ٢- إكثار المعري من استخدام هذه الرموز زاد شعره غموضاً وصعوبة وأفسد بذلك التعبير الشعري إذ طغى عنصري التفكير والإقناع على عنصري التخيل والعاطفة.
- ٣- الشاعر استخدم هذه المصطلحات ليعبر بها عن أفكاره وآرائه من جهة ويثبت معرفته العلمية الواسعة من جهة أخرى وبذلك خلا كلامه من الجمال الشعري وأصبح أقرب إلى النثر منه إلى الشعر.

### المصادر:

أولاً: الكتب

- ١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ت)، تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت.
- ٢- أبوتمام، ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي، (١٩٩٤م)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣- أبوشاويش، حماد حسن، النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري، (١٩٨٩م)، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت.
- ٤- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، (٢٠٠١م)، شرح كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت.
- ٥- الأسمر، راجي، علم العروض والقافية، (٢٠٠٥م)، دار الجيل، بيروت.
- ٦- البستي، أبو الفتح، ديوان أبي الفتح البستي، (١٩٨٩م)، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٧- حسن، عباس، النحو الوافي، (د.ت)، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.
- ٨- حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، (د.ت)، دار المعارف، القاهرة.
- ٩- حسين، طه، تعريف القدماء بأبي العلاء، (١٣٨٤ق)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الدار القومية للطباعة، القاهرة.
- ١٠- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، (١٤٠٠ق)، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت.
- ١١- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، (د.ت)، الطبعة الثالثة عشرة، دار المعارف، القاهرة.

- ١٢- المتنبّي، أبو الطيّب، ديوان المتنبّي، (١٩٩٧م)، شرحه وضبطه وقدم له على العسيلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ١٣- مصطفى، محمود، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، (د.ت)، دار القلم، بيروت.
- ١٤- موافي، عثمان، في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، (٢٠٠٠م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ١٥- الهاشمي، السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (٢٠٠٦م)، ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية، الطبعة الثالثة، مكتبة دار البيروتي، بيروت.
- ١٦- اليازجي، كمال، أبو العلاء ولزومياته، (١٤١٧ق)، دار الجبل، الطبعة الثانية، بيروت.

### ثانيا : المقالات

- ١- آينه وند، صادق، ببش در آمدي بر شناخت سبک ادبي أبو العلاء المعري، (٣٧٧ش)، مجلة مدرس علوم انساني، الشتاء، العدد ٩.
- ٢- السعدني، المصطفى، الإسترفاد الشعري في لزوميات المعري بين التأثير والتأثر، (١٤١٨ق)، منشورات ندوة أبي العلاء المعري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، الجزء الأول، دمشق.
- ٣- الشايب، أحمد، أبو العلاء شاعر أم فيلسوف، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دمشق.
- ٤- الشريقي، محمد، أسلوب المعري ومناهجه، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دمشق.
- ٥- علي محمد، احمد، تأثر المعري في سقط الزند بشعر المتنبّي، (١٩٩٧م)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعري.
- ٦- النجار، عز الدين، المعري حياته ونشأته وثقافته، (١٤١٨ق)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعري.



## ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر

د. مالك يحيى\*

### الملخص

تحاول هذه الدراسة أن توضح أن ظاهرة التناوب اللغوي التي وردت في النصوص اللغوية، من شعر ونثر وقرآن كريم، تشيع في العربية، إذ قد تأخذ صيغة صرفية ما الأحكام النحوية والدلالية لصيغة أخرى وتتبادل معها مبنى ومعنى. ونظراً لشيوع هذه الظاهرة وغازرة أمثلتها، فقد ركز البحث على ظاهرة التناوب بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر، وأورد كثيراً من الشواهد التي وضحت التالي:

أ – مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر.

ج – مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل.

د – اشتراك المصدر مع الصفات المشبهة وصيغ المبالغة في صورته الشكلية.

هـ – مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر.

و – مجيء المصدر بمعنى المفعول.

وخلص البحث إلى أن التناوب أسهم في توسع العرب في توظيف الصيغ الصرفية لإفادة معان متعددة غير معانيها الموضوعية لها، وهو توسع أثبت البحث أن في ظاهرة التناوب اللغوي هذه مرونة واتساعاً واهتماماً بالمعنى وتنوعاً في الأساليب. **كلمات مفتاحية:** التبادل اللغوي – التناوب اللغوي بين المشتقات والمصدر – أثر التناوب اللغوي في الدرس الصرفي.

### مقدمة:

يجمع الباحثون على أن اللغة العربية من أغنى لغات العالم، وأكثرها ألفاظاً وعبارات، وأنها لغة موحية تتوخى الوضوح. وعلى الرغم من أن كثيراً من مفرداتها

\* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية .

قد ضاع، وأن كثيراً من شعرها لم يصل إلينا، كما قال أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرأ لجاؤكم علم وشعر كثير»<sup>(١)</sup> فإن ما تمتلكه اللغة العربية الآن من مفردات يُعدُّ ثروة كبيرة لا يستهان بها.

وهذا ما جعلها لغة حية تفتح صدرها لتقبل الجديد اللغوي، تستطيع أن تعبر عن كل شيء يعترض الإنسان في حياته، بفضل ما تمتاز به من خصائص كالاشتقاق والنحت والمجاز وغيرها.

ومهما قيل عن صعوبة في قواعدها، وجفاف في أبواب نحوها وصرفها، فإننا نجد مرونة في كثير من مسائلها. ومن مظاهر المرونة في قواعد اللغة الصرفية ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر.

ونعني بالتناوب تبادل الأحكام اللغوية كأن تأخذ صيغة صرفية الأحكام النحوية والدالية لصيغة أخرى، وتتناوب معها مبنى ومعنى.

### منهج البحث:

وقد نهجت في هذا البحث منهجاً وصفيّاً، فدرست مواطن التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر، معتمداً على كثير من الشواهد القرآنية والشعرية التي توضح ظاهرة التناوب اللغوي، الذي يعد مظهراً من مظاهر توظيف المشتقات، اقتضاه توسع العرب في استخدام الصيغ الصرفية، والتنوع في دلالاتها.

### أهداف البحث:

ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث يهدف إلى تفسير ظاهرة التناوب اللغوي، وإلى تبيان أن ظاهرة التناوب التي وردت في النصوص اللغوية دلت على مرونة واتساع وقدرة على التنوع في قواعد اللغة، وعلى أن اللغة العربية بقدر اهتمامها بالألفاظ فإنها تجعل الأهمية الكبرى للمعاني وإن كان اهتمامها بالألفاظ كبيراً. ولاسيما أن اللغويين

١- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة - دار فحصة مصر، د. ت. ص ٢٧.

العرب قد عدّوا المعنى ملحظاً ضرورياً في استكمال التحليل وعمل المعرب<sup>(٢)</sup>.

### التناوب اللغوي بين اسم الفاعل والمصدر:

إن التناوب بين المشتقات والمصدر ظاهرة شائعة في العربية، إذ قد يأتي اسم الفاعل على صورة المصدر، وقد يأتي المصدر على صيغة اسمي الفاعل والمفعول، يقول ابن مالك: «ويجيء المصدر على زنة اسم المفعول في الثلاثي بلفظ اسم الفاعل»<sup>(٣)</sup> ومما جاء من المصادر على صيغة اسم الفاعل الثلاثي في كلام العرب: واقية، إذ يقال: «وقاه الله وقياً وواقيةً ووقايةً، أي صانه»<sup>(٤)</sup>. فواقية مصدر جاء على زنة اسم الفاعل، ومثل ذلك كاذبة أي كذب<sup>(٥)</sup>، والصاخة قد تكون اسم فاعل، وقد تكون مصدر<sup>(٦)</sup> وكذلك الطاغية، والعافية<sup>(٧)</sup>.

وهذه مسألة شائعة في العربية، حصر العلماء كثيراً من ألفاظها<sup>(٨)</sup>. وقد جاء مثل هذا في الشعر. قال الفرزدق:

على حَفَّةٍ لا أَشْتَمُ الذَّهَرَ مُسْلِماً      ولا خَارِجاً مِنْ فِيٍّ زورُ كَلامٍ<sup>(٩)</sup>

فاسم الفاعل (خارجاً) هنا هو في حقيقة دلالاته مصدر، لأن خارجاً هو بمعنى خروج، وقد علّق المبرد على هذا بقوله: (إنما أراد لا أشتم ولا يخرج من فيٍّ زور كلام، فأراد ولا خروجاً، فوضع (خارجاً) في موضعه<sup>(١٠)</sup>).

٢- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، معني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط ٢، مؤسسة الصادق، طهران. ١٣٧٨هـ - ص ٥٨٢ - ٥٨٣.

٣- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧، ص ٢٠٧.

٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت. د. ت.، مادة (وقى)

٥- لسان العرب، مادة (كذب).

٦- المصدر السابق، مادة (صح).

٧- المصدر السابق، مادة (طغى)، (عفا).

٨- ابن يعيش، موفق الدين، بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٦: ٥١ - ٥٢، وانظر: قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨، ص ١٣٥.

٩- الفرزدق، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م. مج ٢: ٢١٢.

١٠- المراد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٦٩.

وكقول سحيم:

عُميرة ودّع إن تجهزت غازياً كفى الشيبُ والاسلامُ للمرءِ ناهياً<sup>(١١)</sup>

فكلمة (ناهياً) وإن جاءت على وزن (فاعل)، فهي في الحقيقة دلالتها تصح أن تكون بمعنى المصدر، وهذا ما جوّزه ابن جني حين قال: «وقد يجوز أن يكون (ناهياً) هنا مصدرًا كالفالح والباطل والغائر والباغز ونحو ذلك، مما جاء فيه المصدر على فاعل، حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهيًا وردّعا»<sup>(١٢)</sup>

ومن مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر أيضاً، ما جاء في شعر الهذلي:

شنتت العقرَ عقرَ بني شليلٍ إذا هبَّت لقارئها الرياحُ<sup>(١٣)</sup>

قالوا: وهو مصدر قرأت الرياح: إذا جاءت لوقتها. قال الفراء: يجيء المصدر على فاعلة، نحو: الحاقّة، الصاخّة، والعافية<sup>(١٤)</sup>.

وقد أيّد القرآن الكريم هذا التناوب بين اسم الفاعل والمصدر، وهذا ما نجده في قوله تعالى: «يعلم خائنة الأعين»<sup>(١٥)</sup>. أي خيانة، وقوله تعالى: «ولا تزال تطلع على خائنة منهم»<sup>(١٦)</sup>. قال الزمخشري: «قوله على خائنة على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة..... وقُرى على خيانة»<sup>(١٧)</sup>.

وقال تعالى: «فأهلكوا بالطاغية»<sup>(١٨)</sup>. أي بطغيانهم، ويؤيد هذا ما ورد في قول

أبي حيان: وقال ابن عباس وابن زيد أيضاً وأبو عبيدة ما معناه: الطاغية مصدر

١١- الحسحاس، سحيم عبد بني، ديوانه، تح: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٦.

١٢- ابن جني، أبو الفتح، عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ١: ٣٤.

١٣- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، شرح الفصح، تح: . ودراسة د. إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة - ١٤١٧هـ - ح ١: ٥٨ .

١٤- ابن يعيش، شرح المفصل، ٦: ٥٢

١٥- غافر ١٩.

١٦- المائدة ١٣.

١٧- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت، ١: ٦١٦ .

١٨- الحاقّة ٥.

كالعاقبة فكانه قال بطغيانهم. ويدل عليه «كذبت ثمودُ بطغواها»<sup>(١٩)</sup>.

فالشواهد الشعرية والقرآنية السابقة تشي بوجود التناوب اللغوي بين اسم الفاعل والمصدر، وفي ذلك دليل على سعة العربية ومرونة قواعدها الصرفية.

وقد يرجع التناوب بين اسم الفاعل والمصدر إلى تطور بناء الصيغة نفسها وما يطرأ عليها من تغييرات صوتية من ذلك أن النادية اسم فاعل بمعنى المصدر كما في قولنا: «نادا نادية أي: نداء». وقال ابن منظور: إن أصلها نداء، قلبت إلى نادية، وجعل اسم الفاعل موضع المصدر<sup>(٢٠)</sup>. فالتطور في الصيغة رافقه تطور في الدلالة.

#### التناوب اللغوي بين المصدر واسم الفاعل:

وتوجد صورة أخرى للتناوب بين المصدر واسم الفاعل ولاسيما الثلاثي، إذ قد يأتي المصدر بمعنى اسم الفاعل في كلام العرب، نحو قولهم: رجلٌ عدلٌ، أي: عادل<sup>(٢١)</sup>. ورجلٌ صومٌ، أي: صائم<sup>(٢٢)</sup>. وقالت العرب: بنو فلان لنا سلمٌ، أي مسالمون، وحرَبٌ، أي مُحاربون<sup>(٢٣)</sup>.

وهذه مسألة نصّ على شيوعها سببويه، إذ ذهب إلى أن المصدر، قد يقع على الفاعل، وذلك قولك يومٌ غمٌّ ورجلٌ نومٌ، إنما تريد النائم والغام<sup>(٢٤)</sup>.

وقال الشاعر:

أجارُتكم بسئل علينا مُحَرَمٌ      وجارُتنا حلٌّ لكم وحليها<sup>(٢٥)</sup>

١٩ - الشمس ١١ و الأندلسي، أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف (٧٥٤هـ -)، البحر المحيط، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت. ٨: ٣٢١. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طغى).

٢٠ - ابن منظور لسان العرب مادة (ندي).

٢١ - العيني، بدر الدين، ت ٨٥٥هـ، شرح المراح في التصريف، حققه وعلق عليه عبد الستار جواد، ص ٣٦.

٢٢ - الأستراباذي، رضي الدين، ت ٦٨٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ١: ١٧٦.

٢٣ - التعالي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت ٤٣٠هـ، فقه اللغة وسر العربية، تح. مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٣، ١٣٥٣: ١٩٣٨. ص ٣٤.

٢٤ - سببويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. تح: عبد السلام هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م. ٤: ٤٣.

٢٥ - الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح ديوانه، قدّم له ووضع فهرسه، د. حنا نصر الحلي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ٢٩٢.

لقد استعمل الشاعر كلمة (بَسَلٌ) وهي مصدر، وكان عليه أن يستعمل اسم الفاعل باسلاً، وذلك لأنه لم يكن يقصد وقوع حدث في زمن معين، وإنما البسالة هنا غير مقيدة بزمن معين، ولذا جاء المصدر نيابة عن اسم الفاعل.  
ومن ذلك قول الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا أذكرت      فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ<sup>(٢٦)</sup>

إن المصدرين (إقبال وإدبار) استعملتا بدلالة أخرى وصف بهما الحدث فهما بمعنى مُقبلة ومدبرة.

وعلق سيبويه على بيت الخنساء بقوله: «فجعلها الإقبال والإدبار فجاز على سعة الكلام كقولك: نهارك صائم وليك قائم»<sup>(٢٧)</sup>. فهذه المصادر كلها مما وصف بها للمبالغة، كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه، وقالوا: «رجل عدل ورضا وفضل، كأنه لكثرة عدله والرضا عنه وفضله جعلوا العدل والرضا نفسيهما، ويجوز أن يكونوا وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعاً فرجل عدلٌ بمعنى عادل، وماء غورٌ بمعنى غائر ورجل صومٌ بمعنى صائم»<sup>(٢٨)</sup>.  
وقال الشاعر:

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن      وإن تخرقي يا هند فالخرق ألامم  
فأنت طلاقٌ والطلاق عزيمة      ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم<sup>(٢٩)</sup>

فأتى بلفظ الطلاق، وهو مصدر، وأراد اسم الفاعل وهو طالق.

وقد جاءت آيات الذكر الحكيم مؤيدة لهذا التناوب، كما نص على ذلك بعض المفسرين من ذلك قوله تعالى: «الذين يؤمنون بالغيب»<sup>(٣٠)</sup>. والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل، وكذلك قوله تعالى: «وما تغني الآيات والنذر»<sup>(٣١)</sup> والنذر مصدر معناه المنذر.

٢٦- الخنساء ديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ص ٣٨.

٢٧- سيبويه، الكتاب، ١: ٣٣٧.

٢٨- ابن يعيش، شرح المفصل، ٣: ٥٠.

٢٩- المصدر السابق: ٤: ٤٣.

٣٠- البقرة، ٣.

٣١- يونس ١٠١.

ويدخل في هذه المسألة بعض ما جاء من المصادر في موضع حال، وقد كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة، وقد وضع سيبويه باباً سماه: (هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال وقع فيه الأمر فانتصب، لأنه موقوع فيه الأمر)، قال فيه: «وذلك قولك: قتلته صبراً، ولقيته فجأة ومفاجأة وكفاحاً ومكافحة، ولقيته عياناً وكلمته مشافهة،...»<sup>(٣٢)</sup>. كما نجد أن المبرد قد أكد ذلك فقال: «ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسند مسده فيكون حالاً، لأنه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه، وذلك قولهم: قتلته صبراً، إنما تأويله صابراً أو مصبراً وكذلك جنته مشياً؛ لأن المعنى جنته ماشياً...»<sup>(٣٣)</sup>.

وقد ورد مثل ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا»<sup>(٣٤)</sup>. أي غائراً. وقال تعالى: «ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا»<sup>(٣٥)</sup>. أي ساعيات، مسرعات كما قال الزمخشري<sup>(٣٦)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى «وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حِسَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا، أَوْ يَصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا»<sup>(٣٧)</sup>. وقد علق الزمخشري على هذه الآية: قوله «صعيداً زلقاً» فرأى أنها أرض بيضاء يُزلق عليها لملاستها، زلقاً وغوراً كلاهما وصف المصدر<sup>(٣٨)</sup>. ويبدو أن استخدام المصدر بمعنى اسم الفاعل مظهر من مظاهر التوسع في اللغة، وأن استخدام المصدر لإفادة معنى اسم الفاعل هو الأسلوب الأقدم تاريخياً للتعبير عن اسم الفاعل، وقد يدل على ذلك أن الوصف بالمصدر شائع في العربية، وعده العلماء ضرباً من الوصف.

وإذا وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجرى مجراه يجوز لك فيه وجهان:

٣٢- سيبويه، الكتاب، ١: ٣٧٠.

٣٣- المبرد، المقتضب، ٣: ٢٣٤.

٣٤- الملك، ٣٠.

٣٥- البقرة، ٢٦٠.

٣٦- الزمخشري، الكشاف، ١: ٧٢٣.

٣٧- الكهف، ٤٠- ٤١.

٣٨- المصدر السابق، ٢: ٧٢٣.

١- أن تتركه مفرداً وتصف به المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، ويؤيد هذا ما ذكره ابن جني في مسألة الوصف بالمصادر، إذ ذهب إلى أن الوصف بالمصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث، نحو: رجل عدل، وامرأة عدل، وسبب ذلك أنهم أرادوا المصدر<sup>(٣٩)</sup>. وقد خطأ السيوطي من يقول للمرأة عذبة بالتاء، فقال: «إنما يقال رجل عذب وامرأة عذب، لأنه مصدر وصف به فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. كما يقال رجل خصم، وامرأة خصم»<sup>(٤٠)</sup>.

ويُفهم من كلام السيوطي هذا، أن المصدر قد وُظفَ توظيفاً جديداً هو الدلالة على الوصفية، ولذا فإن ما جاء من الصفات المؤنثة دون علامة تأنيث هو لحفظ الأصل، وهو المصدرية.

وقد عبّر العلماء عن هذا التوظيف بالأصالة والفرعية، إذ نصّ ابن منظور على أنّ «الزَّور، بمعنى الزائر، وهو في الأصل مصدر وُضع موضع الاسم، كصَوْمٍ ونَوْمٍ، بمعنى صائم ونائم»<sup>(٤١)</sup>.

ويمكن أن نعد الأصالة التي ذكرها ابن منظور، يمكن أن نعدّها المرحلة الأولى التي تمثل البنية التحتية وأنّ التحول في الدلالة هو المرحلة الثانية التي تمثل البنية الفوقية. والمرحلة الأولى هي المعنى المعجمي، بينما تكون الثانية مبنية على السياق<sup>(٤٢)</sup>.

٢- أن تثنيه وتجمعه، فنقول: هذان عدلان، وهؤلاء عُدُول، ومما جاء على ذلك قول الشاعر:

وبابعت ليلى في خلاء ولم يكن      شهود على ليلى عدول مقانع<sup>(٤٣)</sup>

٣٩- ابن جني، الخصائص، ٢: ٢٠٦-٢٠٧.

٤٠- السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تج: طه عبد الرؤوف سعد (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٤: ١٦٣).

٤١- ابن منظور، لسان العرب (زور).

٤٢- عمارة، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، ط ١، ١٩١٧هـ - ١٩٩٦م. ص ٢٩٠.

٤٣- مجنون ليلي، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص ١٨٦.

وقد علّق ابن يعيش على ذلك بقوله: « فجمع عدلاً ومقتناً»<sup>(٤٤)</sup>.

ويلاحظ أن مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل، واستخدام اسم الفاعل بمعنى المصدر. يدخل في باب التوسّع في توظيف الصيغ الصرفية لإفادة معانٍ متعددة، وقد عبّر العلماء عن شيء من هذا التوسّع والمرونة والتوظيف المتعدد للصيغ. يقول الرضي: « وقد يوضع اسم الفاعل مقام المصد، كما يوضع المصدر مقام اسم الفاعل»<sup>(٤٥)</sup>. والوضع الذي أشار إليه الرضي هو توظيف جديد لصيغة صرفية لأداء دور صيغة أخرى .

#### التناوب بين المصدر وصيغ المبالغة:

أما الاشتراك بين المصدر وصيغ المبالغة شكلاً فمسألة شائعة في العربية أيضاً. ومن ذلك أن (فَعِيل) صيغة صرفية قد تستخدم لإفادة المبالغة، وهي من الصيغ التي يأتي عليها المصدر، نحو: الشهيق، والصهيل، والزفير، والهدير، والهويل، وأكثر ما ينقاس (فَعِيل) مصدراً في الأصوات<sup>(٤٦)</sup>. وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قوله تعالى: «وإن نشأ نُغْرِقْهُمْ فلا صرِيخَ لهم ولا هم يُنْقَدُونَ»<sup>(٤٧)</sup> وقد ذهب الزمخشري إلى أن صيغة (فَعِيل) في لفظة (صرِيخ) تكون بمعنى المصدر أي الصراخ نفسه، فيكون مصدراً بمعنى الإصراخ<sup>(٤٨)</sup>. ومنه قوله تعالى: «فلَمَّا استأيسوا فيه خلصوا نجياً»<sup>(٤٩)</sup> النجي قد يكون اسماً ومصدراً<sup>(٥٠)</sup>.

وقد جعله ابن عطية مصدراً فقال: «النجي لفظ يوصف به من له نجوى واحداً أو

٤٤- ابن يعيش، شرح المفصل ١: ١٣.

٤٥- الأسترابادي، شرح الشافية ١: ١٧٧.

٤٦- البغدادي، عبد القادر، ت ١٠٩٣هـ، خزنة الأدب، ولب لباب لسان العرب، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. ٧: ٤١٦

٤٧- يس: ٤٣.

٤٨- الزمخشري، الكشاف ٣: ٢٨٨.

٤٩- يوسف: ٤٠.

٥٠- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحي)

جماعة أو مؤنثاً أو مذكراً، فهو مثل عدول وعدَل»<sup>(٥١)</sup>. وقال الألويسي: «وحده وكان الظاهر جمعه لأنه حال من ضمير الجمع ولأنه مصدر بحسب الأصل كالتناجي أطلق على المتناجين مبالغة أو لتأويله بالمشتق والمصدر ولو بحسب الأصل يشمل القليل والكثير، أو لكونه على زنة المصدر لأن فَعِيلاً من أبنية المصادر»<sup>(٥٢)</sup>.

والذي يظهر من النقول السابقة أن (نجياً) هنا مصدر، لأن (فَعِيلاً) تأتي للمصدر بلا تأويل، فهي إحدى صيغ المصادر، وأنها تدل على صوت، والغالب في المصدر الذي على (فَعِيلاً) أن يدل على صوت.

ومن المصادر التي جاءت على (فَعِيلاً) في غير الأصوات، النكير بمعنى الإنكار، والنذير بمعنى الإنذار، والعذير بمعنى العذر<sup>(٥٣)</sup>. ومن ذلك رحل رحيلاً، وذمل ذملاً<sup>(٥٤)</sup>.

وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قوله تعالى: «الر، تلك آيات الكتاب الحكيم»<sup>(٥٥)</sup>. فالحكيم صفة وضعت موضع المصدر أي: ذو الحكمة<sup>(٥٦)</sup>. ومثل هذه المصادر قد تلتقي في صورتها اللفظية مع صيغ المبالغة.

ومن الصيغ التي يشترك فيها المصدر والمبالغة من الناحية الشكلية صيغة

(مِفْعَال)، وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قوله تعالى: «فأوفوا الكيل

والميزان»<sup>(٥٧)</sup>، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ»<sup>(٥٨)</sup>.

٥١- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، تحقيق على عوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ٣: ٢٦٩.

٥٢- الألويسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، د.ت. ١٣: ٣٥.

٥٣- البغدادي، خزائن الأدب: ٧: ٤١٦.

٥٤- الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، شرح د. محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل. ط ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م ص ٧٠.

٥٥- يونس: ١.

٥٦- النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تح. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، دار النهضة العربية، ١٠١٩٨٥: ٤١٣.

٥٧- الأعراف: ٨٥.

٥٨- آل عمران: ٩.

يقول أبو حيان: «والكيل مصدر كنى به عن الآلة التي يكال بها، كقوله في هود "المكيال والميزان" فطابق قوله "والميزان"، أو هو باق على المصدرية، وأريد بـ "الميزان" المصدر، كالميعاد لا الآلة فتطابقاً»<sup>(٥٩)</sup> وهذا ما أكدته عزيمة، إذ قال: «إنَّ الميزان يعني الوزن، وإنَّ الميعاد يعني الوعد، فالميزان والميعاد صفتان وضعتا موضع المصدر»<sup>(٦٠)</sup> ومنه قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»<sup>(٦١)</sup>. والميثاق مصدر بمعنى الإيثاق أو الوثيقة أو التوثيق، فهو من الصفات التي وضعت موضع المصدر<sup>(٦٢)</sup>.

وقد تأتي بعض المصادر على صيغة (فَعُول) فيلنتقي بذلك المصدر مع ما جاء من صيغ المبالغة على هذا الوزن، ومن ذلك قوله تعالى: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ»<sup>(٦٣)</sup> وقبول مصدر. يقول الألوسي: «والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد، أي: قبلها قبولاً حسناً»<sup>(٦٤)</sup>. ومنه قوله تعالى: «النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ»<sup>(٦٥)</sup>.

فهذه الألفاظ جميعها مصادر، و(فَعُول) من الأوزان الشائعة في المبالغة، نحو: كَسُولٌ، شَكُورٌ، وَأَكُولٌ. وقد ذكر أبو حيان أنَّ ما جاء من مصادر على صيغة (فَعُول) قليلة، منها: الوضوء، والطهور، والولوع، والقبول<sup>(٦٦)</sup>. وذهب ابن جنِّي إلى أن الأصل بالضم، أي الوقود، والقبول، والولوع، وأنَّ الفتح يُعدُّ لغة شاذة<sup>(٦٧)</sup>.

٥٩- أبو حيان، البحر المحيط، ٤: ٢٣٨.

٦٠- عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ت، القسم الثاني، ج ٣: ١٦٧.

٦١- البقرة: ٨٣.

٦٢- العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تح علي البحاي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١: ٤٤.

٦٣- آل عمران: ٦٣.

٦٤- الألوسي، روح المعاني، ٣: ١٣٨.

٦٥- البروج: ٥.

٦٦- أبو حيان، البحر المحيط، ١: ١٠٢.

٦٧- ابن جنِّي، اختسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، تح. علي النجدي ناصف، وعبد الحلیم نجار، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج - ع - م ١٣٨٦هـ، ١: ٦٣.

أما ابن منظور فينقل جواز الأمرين، أن يكون الوقود بضم الواو وفتحها مصدراً، يقول: «وقد جاء في المصدر فعول، والباب الضم، وقوله تعالى: "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ" بالفتح معناه: التوقد فيكون مصدراً، والوقود بالضم المصدر»<sup>(٦٨)</sup>.

ويبدو أنّ هذا الاشتراك بين المصدر وصيغ المبالغة من الناحية الشكلية من باب التوسع والمرونة في توظيف المشتقات. ويؤكد ذلك أن الصيغ السابقة وردت في أول استعمالاتها لإفادة المصدر، ثم تطورت لإفادة معانٍ متخصصة، مثل المبالغة. ويؤيد هذا الرأي أن (فَعَال) مصدر سامي قديم، تحول إلى المبالغة، واستبدلت به صيغة (تَفَعِيل) وهذا يدخل في باب تطوّر المصادر من مجرد الدلالة على الحدث إلى الدلالة على الوصف<sup>(٦٩)</sup>.

### التناوب بين المصدر والصفة المشبهة:

وقد يلتقي المصدر مع الصفات المشبهة في صورته الشكلية، ومن ذلك أن نَعْمَاء، وسرّاء، وبَغْضَاء، ورغباء، ونصيحة، وغيرها مصادر على أوزان الصفة المشبهة<sup>(٧٠)</sup>. ومن الأوزان التي يلتقي فيها المصدر مع الصفة المشبهة (فَعَل) نحو: قَتَلَ مصدراً، وضَخَمَ صفة، وكذلك (فَعَلَ) نحو: لَعِبَ مصدراً، وبَطَرَ صفة. و(فَعَال) نحو: صُرِّخَ مصدراً، وكُبِّرَ صفة، و(فَعَال) نحو: نَفَارَ مصدراً، وفِسَاقَ صفة.

والحقيقة أن الاشتراك بين صيغ المصدر والصفة المشبهة شائع في العربية، ومما أسهم في الاشتراك بين المصدر وأبنية الصفة المشبهة شكلاً تعدد صيغ المصدر للفعل الواحد تعدداً قد يفضي إلى أن تتشابه بعض الأوزان مع أبنية الصفة، وهذا التعدد سمة ظاهرة في أبنية المصادر في العربية، نحو: هَلَكَ هُلُكاً، وهَلَاكاً، وَتَهَلُّوكاً، وهَلُوكاً، وَمَهْلَكَةً، وَتَهْلِكَةً وَتَهْلُكَةً. وغيرها<sup>(٧١)</sup>.

٦٨- ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقد).

٦٩- عمارة، إسماعيل احمد، التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية، دراسة مقارنة مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات ج ١٤، العدد ١، ١٩٩٦، ص ٣١٣ - ٣٣٥.

٧٠- قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، ص ١٣٥.

٧١- ابن منظور، لسان العرب، مادة (هلك).

## التناوب بين اسم المفعول والمصدر:

تستعمل العرب اسم المفعول بمعنى المصدر، من ذلك قولهم: حلفت محلوقاً، ومرجوع، وموعود، ومصدوقة ومكروهة، ومكذوبة، وموعودة<sup>(٧٢)</sup>.

ووصف ابن مالك مجيء المصدر على زنة اسم المفعول من الثلاثي بالقلّة، وفي غير الثلاثي بالكثرة<sup>(٧٣)</sup>. ووافق في ذلك الرضي، وذكر من ذلك ميسور، ومقسور، ومجلود، ومفتون<sup>(٧٤)</sup>. ويفهم من كلام الرضي أنها مصادر جاءت على (مفعول). فالميسور بمعنى اليسر<sup>(٧٥)</sup>. والمجلود: الجلد أي الصبر<sup>(٧٦)</sup>. ومثله المعقول بمعنى العقل، يقال (ماله معقول) أي عقل<sup>(٧٧)</sup>. بيد أن سيبويه أنكر مجيء المصدر على وزن (مفعول)، وفسر ما جاء من صيغة المصادر على هذا الوزن، بأن ذلك يراد به الزمان، ففي قولهم: دعه إلى ميسورة، ودع معسورة، كأنه قال: دعه إلى أمر يؤسر فيه أو يُعسر فيه<sup>(٧٨)</sup>.

غير أن الواقع اللغوي يخالف ما ذهب إليه سيبويه في هذه المسألة، لأن كثيراً من المصادر جاءت على (مفعول) وأقر بها العلماء، وعليها شواهد من القرآن الكريم والشعر.

ومن المصادر التي جاءت على وزن (مفعول) في الذكر الحكيم، قوله تعالى: «فَسْتَبْصِرُ وَيَصْبِرُونَ بِأَيُّكُمْ الْمَقْتُونَ»<sup>(٧٩)</sup>. فمفتون هنا هي بلفظ اسم المفعول لا بمعناه إذ اكتسبت دلالة المصدر وأدت معناه في السياق، وبالتالي فهي بمعنى الفتنة، وهذا ما أكده الزمخشري بقوله: «وقد يرد المصدر على وزن اسم المفعول»<sup>(٨٠)</sup>. وكذلك قوله

٧٢- سيبويه، الكتاب، ٤: ٩٧، العيني، شرح المراح، ص ٣٦.

٧٣- الأستراياذي، شرح الشافية: ١: ١٦٨.

٧٤- المصدر السابق - ١: ١٧٥.

٧٥- ابن يعيش، شرح المفصل: ٦: ٥٢.

٧٦- الأستراياذي، شرح الشافية، ١٤: ١٧٤.

٧٧- ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقل).

٧٨- سيبويه، الكتاب، ٤: ٩٧.

٧٩- القلم، ٥، ٦.

٨٠- الزمخشري، المفصل، ٢٢٠.

تعالى: «ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ»<sup>(٨١)</sup> ، ومكذوب مصدر جاء على وزن مفعول<sup>(٨٢)</sup>.  
ولم يأت اسم المفعول بمعنى المصدر في القرآن الكريم وحده، وإنما وجدناه في  
أشعار العرب. قال الراعي النميري:

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا الْعِظَامِهِ      لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا<sup>(٨٣)</sup>

فقد وردت كلمة (مَعْقُول) بمعنى عقل. كما وردت كلمة (مُصَاب) بمعنى الإصابة  
في قول الحارث بن خالد المخزومي:

أَظْلُومٌ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا      أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظَلْمًا<sup>(٨٤)</sup>

وجاء (الموضوع) و (المرفوع) بمعنى الرفع والوضع، وهما ضربان من السير في  
قول طرفة:

مَوْضُوعُهَا زَوْلٌ وَمَرْفُوعُهَا      كَمَرٌّ صَوْبٌ لَجِبٍ وَسَطٌ رِيحًا<sup>(٨٥)</sup>

ولعل هذا التناوب بين اسم المفعول والمصدر، سمة تعكس مدى الاشتراك بين  
الصيغ الصرفية، وقد يكون استخدام اسم المفعول بمعنى المصدر أثرًا من آثار مراحل  
الاختلاط في الأدوار والمعاني في اللغة كما يرى إسماعيل عمايرة<sup>(٨٦)</sup>.

وإن مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر لم يقتصر على الثلاثي وحده وإنما تعداه  
إلى غير الثلاثي. ويدخل في هذا الباب المصدر الميمي ودلالته، وهو كثيرًا ما يلتقي  
مع اسم المفعول شكلاً. قال تعالى:

«وَمَرَقْنَاَهُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ»<sup>(٨٧)</sup>. أي تمزيق، وقوله تعالى: «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

٨١ — هود: ٦٥ .

٨٢ — أبو حيان، البحر المحيط، ٥: ٢٤٠ .

٨٣ — النميري، الراعي، ديوانه، جمعه وحققه راينهرت فايرت، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٠١هـ،  
١٩٨٠م، ص ٣٣٦.

٨٤ — المخزومي، شعر الحارث بن خالد، تح. يحيى الجبوري، ط١، بغداد، منشورات مكتبة الأندلس، ١٣٩٢هـ—  
١٩٧٢م، ص ٩١.

٨٥ — طرفة، ديوانه، شرح الأعلام الشنتري، شالون، مطبعة فرطند، ١٩٠٠ ص ١٥٠. وانظر، ابن منظور، لسان  
العرب، مادة (وضع) ومادة (رفع).

٨٦ — عمايرة، إسماعيل، التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية، ٣٣٥ .

٨٧ — سبأ: ١٩ .

المُسْتَقَرُّ»<sup>(٨٨)</sup>. أي الاستقرار، وكذلك قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ»<sup>(٨٩)</sup> وقد ذهب العكبري إلى أن (مستقر) يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الاستقرار<sup>(٩٠)</sup>.

وقد وردت كلمة (مُكْرِم) بمعنى إكرام في قراءة من القراءات؛ قال تعالى: «وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ»<sup>(٩١)</sup>. وجاء في اللسان: «قال الأخفش: وقرأ بعضهم: "ومن يُهِنِ اللَّهُ فما له من مُكْرِمٍ" بفتح الراء، أي إكرام وهو مصدر مثل: مُخْرَجٌ وَمُدْخَلٌ»<sup>(٩٢)</sup>. ويظهر أن شيوخ اسم المفعول من غير الثلاثي لإفادة المصدر، يرجع إلى أن المصدر الميمي من غير الثلاثي يوافق شكلاً بناء اسم المفعول من غير الثلاثي، وهذا ما أسهم في التناوب بين صيغتي اسم المفعول والمصدر من غير الثلاثي.

وقد يأتي المصدر بمعنى اسم المفعول كثيراً في كلام العرب. يقول سيبويه: «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك قولك: لبن حَلْبٌ، إنما تريد مَحْلُوبٌ، وكقولهم: الخَلْقُ، إنما يريدون المخلوق، ويقولون للدرهم: ضَرَبُ الأَمِيرِ، وإنما يريدون مَضْرُوب الأَمِيرِ»<sup>(٩٣)</sup>.

والتبادل بين المصدر واسم المفعول، مسألة بينة في العربية. جاء في شرح الفصيح للزمخشري: «الكتاب مصدرٌ كتبَ يَكْتُبُ كِتَاباً وَكِتَاباً، ثم يوصفُ المفعول بالمصدر فيقال للمكتوب: كتابٌ وَكِتَابَةٌ، كما يقال للمخلوق: خَلْقٌ، وللدرهم المضروب: ضَرَبٌ تقول: "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ"<sup>(٩٤)</sup>، وهذا الدرهم ضَرَبُ الأَمِيرِ»<sup>(٩٥)</sup> وكذلك قوله: «اعملْ على حَسَبِ ما أَمَرْتُكَ، وحَسَبٌ في هذا الموضع بمعنى مَحْسُوبٌ، وفَعَلَ بمعنى مَفْعُولٍ في كلامهم موجود، كقولهم: نَفَضَ للمنفوض،

٨٨ - القيامة: ١٢.

٨٩ - البقرة: ٣٦.

٩٠ - العكبري، البيان في إعراب القرآن ١: ٥٣.

٩١ - الحج، ١٨.

٩٢ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرج) و مادة (دخل).

٩٣ - سيبويه، الكتاب ٤: ٤٣.

٩٤ - البقرة: ١٨٣.

٩٥ - الزمخشري، شرح الفصيح، ١: ٦.

وخبَطَ للورق المخبوط»<sup>(٩٦)</sup>.

وقد جاء بعض هذه المصادر المراد بها اسم المفعول في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: «وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ»<sup>(٩٧)</sup> ف (كَذَب) مصدر على وزن (فَعَلَ) دلّ في هذه الآية على موصوف بالحدث، وهو اسم المفعول الذي أدى المصدر معناه ووظيفته. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا»<sup>(٩٨)</sup>. قال أبو حيان: «الرزق هنا المرزوق»<sup>(٩٩)</sup>. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: « وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ»<sup>(١٠٠)</sup> والنسل: مصدر أريد به اسم المفعول<sup>(١٠١)</sup>. ومنها قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ»<sup>(١٠٢)</sup>، أي مكروه، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول كما أشار الزمخشري في كشافه<sup>(١٠٣)</sup>. وقوله تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا»<sup>(١٠٤)</sup>، أي: مذكوكاً. قال الزمخشري (دكاً) أي مذكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك<sup>(١٠٥)</sup>.

ولعلّ هذا التناوب بين المصدر واسم المفعول مظهر من مظاهر التوسع اللغوي، فما جاء من المصادر بمعنى اسم المفعول، نحو: الخلق بمعنى المخلوق، والحلب بمعنى المحلوب، قد يكون بقايا مرحلة كان يؤدي فيها المصدر معاني الصيغ الصرفية، ومن بينها اسم المفعول، وربما كانت هذه المصادر تفيد مجرد الحدث، ثم تطورت لإفادة معنى اسم المفعول، وفي مرحلة لاحقة مالت فيها اللغة نحو تخصيص المعاني الصرفية، وأصبح لاسم المفعول صيغته الخاصة به، شأنه في ذلك شأن بقية

٩٦- الزمخشري، شرح الفصح، ٢: ٥٤٧.

٩٧- يوسف: ١٨.

٩٨- البقرة: ٢٥.

٩٩- أبو حيان، البحر المحيط، ٢: ١٠٨.

١٠٠- البقرة: ٢٠٥.

١٠١- المصدر نفسه، ٢: ١٠٨.

١٠٢- البقرة: ٢١٦.

١٠٣- الزمخشري، الكشاف، ١: ٣٠١.

١٠٤- الأعراف: ١٤٣.

١٠٥- المصدر نفسه، ١: ٧٤٨.

المشتقات، وقد أسهم في هذا الأمر ما سمّاه النحاة الوصف بالمصدر، وهو ملمح تطور وظيفة المصدر من مجرد الدلالة على الحدث إلى إفادة أحد معاني الصيغ الصرفية.

### خاتمة البحث:

- و في نهاية المقالة يمكننا التسجيل، أهم ما نتائج البحث، وهي:
- بين البحث أن استخدام المصدر بمعنى اسم الفاعل، واسم المفعول بمعنى المصدر، مظهرٌ من مظاهر التوسّع في اللغة، وهو الأقدم تاريخياً للتعبير عن اسم الفاعل وقد يدل ذلك أن الوصف بالمصدر شائع في العربية، وفي ذلك تأكيد على أن العرب كثيراً ما تنعت بالمصدر، وتأتي بالحال مصدراً منكرًا.
  - أثبت البحث أن الاشتراك بين المصدر وصيغ المبالغة شكلاً مسألة شائعة في العربية، ويبدو أن هذا الاشتراك يدخل في باب التوسع في توظيف المشتقات.
  - بين البحث أن الاشتراك بين صيغ المصدر وأبنية الصفات المشبهة شكلاً متداول في كلام العرب، ومما أسهم في هذا الاشتراك تعدد صيغ المصدر، تعدداً قد يفضي إلى أن تتشابه بعض أوزان المصدر مع أبنية الصفات.
  - أظهر البحث أن ما جاء من صيغ المصادر على وزن المفعول، يمكن أن يفسر بأن صيغة (مفعول) من الصيغ الصرفية التي كانت تستخدم لإفادة معنى المصدر في مرحلة من مراحل طور اللغة. وفي مرحلة لاحقة مالت فيها اللغة نحو تخصيص المعاني الصرفية، وأصبح لاسم المفعول صيغته الخاصة.
  - بين البحث أن شيوخ اسم المفعول من غير الثلاثي لإفادة معنى المصدر يرجع إلى أن المصدر الميمي من غير الثلاثي قد يوافق شكلاً بناء اسم المفعول من غير الثلاثي.
  - أظهر البحث كثرة النصوص اللغوية التي تشي بوجود ظاهرة التناوب بين المصدر والمشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، ولحظ البحث أن هذه النصوص لم تقف عند الشعر وحده، ولا النثر فقط، ولا القرآن الكريم فقط، وإنما شملت ذلك كله.
  - إن ما ورد في هذا البحث من شواهد، قوة لقواعد اللغة نحواً وصرفاً، ووصف لها بالمرونة والاتساع، والقدرة على التنوع.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأستراياذي، رضي الدين (ت ٦٨٦هـ) شرح الشافية، دار الكتب العلمية، بيروت (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م)
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح ديوانه، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه، د. حنا نصر حتي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م)
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن تح. محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. د. ت.
- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت. د. ت.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم (دار نهضة مصر، القاهرة) د. ت.
- الأندلسي، أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ)، البحر المحيط، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض – د. ت.
- البغدادي، عبد القادر (ت ١٠٩٣هـ) خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٣٠هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تح. مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٣، ١٩٣٨م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح. محمد علي النجار، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، تح. علي النجدي ناصف، وعبد الحليم نجار، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج. ع. م، ١٣٨٦هـ.
- الحساس، سحيم عبد بني، ديوانه، تح. عبد العزيز اليميني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

- الحملوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، شرح د. محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
- الخنساء، ديوانها، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣ هـ: ١٩٦٣ م.
- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح. عبد الرزاق المهدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- شرح الفصيح، تح، ودراسة د. إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح. عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.
- السيوطي، أبو بكر، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تح. طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.
- طرفة، ديوانه، شرح الأعم الشنتمري، (شالون، مطبعة فرطرنند)، ١٩٠٠ م.
- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، تح. علي عوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تح. علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- عمابرة، إسماعيل أحمد، التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية، دراسة مقارنة، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مج١٤، العدد١، ١٩٩٦ م.
- بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، ط١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦.
- العيني، بدر الدين، (ت ٨٥٥ هـ)، شرح المراح في التصريف، حققه وعلق عليه عبد الستار جواد، د.ت.
- الفرزدق، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠ هـ، ١٩٦٠ م.

- قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م.
- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧ م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الميرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥ هـ)، المقتضب، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣ .
- مجنون ليلي، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
- المخزومي، شعر الحارث بن خالد، تح. يحيى الجبوري، ط١، بغداد، منشورات مكتبة الأندلس، (١٣٩٢ هـ، ١٩٩٧ م).
- النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تح. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.
- النميري، الراعي، ديوان، جمعه وحققه راينهت فايبيرت، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، (١٤٠١ هـ، ١٩٨٠ م).
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط٢، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٧٨ هـ.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣ هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.

## لم ولما الجازمتان ودلالاتهما في القرآن الكريم

د . يونس علي يونس\*

### الملخص

يُسلط هذا البحث الضوء على أداتين جازمتين مبيناً دلالاتهما في القرآن الكريم وهما (لم ولما) الجازمتان، وذلك من خلال قراءة متأنية في القرآن الكريم، ويركز على الجوانب المتعلقة بمعانيهما وأقسامهما، وقد تم فيه عرض آراء العلماء في مسألة وجوب عملهما، وما هي مواقع إعراب الجمل المنفية بلم، ثم إحصاء مواقع لم ولما في القرآن الكريم. وما أتوخاه من هذا البحث أن يتعرف القارئ على دلالة هاتين الأداتين الجازمتين في القرآن الكريم وتنوعاتهما.

ولقد تتبعنا جل المسائل المتعلقة بهاتين الأداتين في القرآن الكريم ووصفنا الطريقة التي تعاطى بها النحاة والمفسرون، وتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن آراء النحاة والمفسرين كانت متفقة حيناً، ومتباينة في بعض المواضع.

**كلمات مفتاحية:** القرآن – الجزم – لم – لما – الدلالة.

### مقدمة:

الجزمُ في اللغة، القَطْعُ، فإِذْكَ كَانَ فِي الْكَلَامِ حَذْفُ الْحَرَكَةِ أَوْ مَا قَامَ مَقَامَهَا، وَفِي اصطلاح النحاة: إنّما هو حذفٌ، والحذف تخفيفٌ، أي: حذف الحركة الإعرابية من آخر الفعل وتسكينه، أو ما قام مقامها كحذف النون من الأفعال الخمسة، وحذف حرف العلة من آخر الفعل المعتل عند جزمه، والحذف والقطع سيان، ولذا سموه جزماً<sup>(١)</sup>.

وقد حكى عن أبي بكر بن السراج أنه شبه الجازم بالدواء، والحركة في الفعل بالفضلة التي يخرجها الدواء، وكما أن الدواء إذا صادف فضلة حذفها، وإن لم يجد فضلة أخذ من نفس الجسم، فكذلك الجازم إذا دخل على الفعل، إن وجد حركة أخذها، وإلا أخذ من نفس الفعل، وسهل حذفها وإن كانت أصلية لسكونها، لأنها بالسكون

\* مدرس – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

١ – الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ، ٢ : ٥٧٥ ، هادي عطية: الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، ط ١، ص ٦٨٨ .

تضعف<sup>(٢)</sup>.

إذاً، لا بدّ للمجزوم أن يُحذف من آخره علامة الرفع، وإذا كان الفعل معتلاً سُكّن آخره علامة للرفع، ولا بد أن يكون للجزم علامة وتأثير، فلما لم يصادف في آخر الفعل إلا حرفاً ساكناً حذفه، ليكون بينه وبين المرفوع فصل، وجاز حذف الحرف لضعفه، إذ كان ساكناً، فجرى مجرى الحركة في جواز الحذف عليه<sup>(٣)</sup>.

#### هدف البحث:

وقع اختياري على هذا البحث وهو (لم ولما) الجازمتان ودلالاتهما في القرآن الكريم؛ لأن معظم ما ورد فيهما في كتب اللغة والتراث ما هو إلا شذرات متفرقة وآراء متباينة، فوجدت أنه من المفيد أن أجمع هذه الآراء وأقدم دراسة متواضعة، جامعاً شتات ما تفرق في الكتب لتكون مجتمعة في حيزٍ محدد يسهل على القارئ الإلمام بها دون عناء وجهد.

#### وجوب عمل (لم ولما):

جاء في أسرار العربية لأبي البركات ابن الأنباري: " إن قال قائل: لمَ وجب أن تعملَ (لَمْ وَلَمًا ولام الأمر، ولا في النهي) في الفعل المضارع الجزم؟ قيل: إنما وجب أن تعملَ الجزم لاختصاصها بالفعل؛ وذلك لأن (لَمْ) لَمًا كانت تدخل على الفعل المضارع فتنتقله إلى معنى الماضي، كما أنّ (إِنْ) التي للشرط والجزاء تدخل على الفعل الماضي فتنتقله إلى معنى المستقبل، فَقدَّ أشبهت حرف الشرط، وحرف الشرط يفعل الجزم، وكذلك يقتضي جُمَلتين، فَلَطول ما يقتضيه حَرْفُ الشرط اختيار له الجزم، لأنه حذف وتخفيف، فبمنزلته (لَمْ) في النقل، وكان محمولاً عليه<sup>(٤)</sup>.

٢- أبو البركات ابن الأنباري: أسرار العربية، دراسة وتحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، ص١٦٨.

٣- ابن الوراق: علل النحو، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، ص١٥٧.

٤- الأنباري: أسرار العربية، ص١٧٢.

أما ابن الوراق فيرى أن الجزم لا بد من دخوله على الفعل، ليكون بإزاء الجر في الاسم، ووجب أن تكون هذه العوامل عاملة؛ لأنها قد لزمت الفعل وأحدثت فيه معنى، وإنما خصصت بالجزم لأن الشرط والجزاء يقتضي جملتين، كقولك *إِنْ تَصْرَبْ أَضْرَبْ*، فإطول ما يقتضيه الشرط والجزاء اختير له الجزم لأنه حذف وتخفيف<sup>(٥)</sup>.

والأصل في (لَمْ) أن تدخل على الماضي، الذي نُقِلَ إلى لفظ المضارع؛ لأن (لَمْ) يجب أن تكون عاملة، فلو لزم ما بعدها الماضي لما تبين عملها، فُنُقِلَ الماضي إلى المضارع ليتبين عملها.

والفرق بينها وبين حرف الشرط والجزاء بين ظاهر، وذلك لأن الأصل في حرف الشرط والجزاء أن تدخل على فعل المستقبل، والمستقبل أُثْقِلَ من الماضي، فَعُدِلَ من الأثقل إلى الأخف، فأما (لَمْ)، فالأصل فيها أن تدخل على الماضي، وقد وجب سقوط الأصل، فلو جوزنا دخولها على الماضي الذي هو الأصل لما جاز دخولها على الفعل المضارع الذي هو الفرع؛ لأنه إذا استعمل الذي هو الأخف، لم يستعمل الفرع الذي هو الأثقل<sup>(٦)</sup>.

وأما (لَمَّا)، فالجزم يقع بعدها، وبينها وبين (لَمْ) فرق، وذلك أن (لَمْ) نفي لقولك: *قَامَ زَيْدٌ*، ثم تقول: *لَمْ يَمْ زَيْدٌ*، فإذا قلت: *قَدَ قَامَ*، فنفيه: *لَمَّا يَمْ*، وذلك أن قد فيها معنى التوقع، فزددت (مًا) على (لَمْ) بإزاء قد، الداخلة على الفعل في أول الكلام<sup>(٧)</sup>.

وذكر ابن هشام أن "لَمْ حرف جزم لنفي المضارع وَقَلْبِهِ مَاضِيًا"<sup>٨</sup>، نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>(٩)</sup>.

ويرى سيبويه أن (لَمْ) حرف جزم ونفي، وعدّها نظير (لَنْ) في النفي، لكنه ذكر اختلافهما (فَلَمْ) لنفي الماضي، و(لَنْ) لنفي المستقبل، لذلك قال: "لَمْ نَفِي لِقَوْلِهِ: فَعَلَّ"

٥- ينظر: ابن الوراق، علل النحو، ص ١٩٨، وينظر أسرار العربية ص ١٧٢، وشرح جمل الزجاجي ٢: ٩٧.

٦- ص ١٧٣.

٧- ينظر: ابن الوراق، علل النحو، ص ١٩٨، والمقتضب ٢: ٤٤، والمقتصد: ١٠٩١-١٠٩٢، الجني السداني: ٥٣٧، معني اللبيب: ٣٦٧.

٨- معني اللبيب: ص ٢٥٧.

٩- سورة الإخلاص: ٣.

و(لن) نفي لقوله: سَيَقَعَلُ<sup>(١٠)</sup>.

وذكر المبرد: أن لم لنفي الماضي، ووقوعها في المستقبل من أجل كونها تعمل الجزم ولا جزم إلا مُعَرَّب<sup>(١١)</sup>.

وذهب الرُّماني مذهب سيبويه والمبرد، فرأى أن حكمها أن تدخل على المستقبل، فتنتقل معناه إلى المضي، ويرى أنها عملت الجزم، ويتفق الفارسي معه في إحداثها المضي في الاستقبال وإن كان قد خالفه في علة الجزم بها. فالرُّماني يرى أنها عملت الجزم، لأنها نقلت الفعل نقلتين: نقلته إلى الماضي ونقلته كما سبق.

أما الفارسي فلم يجعل ذلك علة لجزمها الفعل، فهو يرى أن (لا) الناهية، ولام الأمر يجزمان الفعل، ولم يجعل أحدٌ منهما المستقبل ماضياً<sup>(١٢)</sup>.

وذهب ابن جني وبعض النحاة إلى أن (لم) إذا شُبِّهَتْ بلا ضرورة يُلغى عملها، فيرتفع الفعل بعدها، فقد يشبه حروف النفي بعضها، وذلك لاشتراك الجمع في دلالاته عليه، وشاهدهم لما ذهبوا إليه قول الشاعر:

لَوْ لَا فَوَارِسٌ مِنْ ذُهْلٍ وَأَسْرِيَتِهِمْ  
يَوْمَ الصَّلْيَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالْجَارِ<sup>(١٣)</sup>

وجاء في اللباب للعكبري: "إنما أعملت (لم) لأنها اختصت، وإنما جُزمت لثلاثة أوجه:

أحدها: أن الفعل في نفسه ثقيل، و(لم) تنقله إلى زمن غير زمن لفظه فيزداد ثقلاً، فناسب أن يكون عملها الحذف.

والثاني: أنها تشبه (إن) الشرطية من حيث إنها تنقل الفعل من زمان إلى زمان، فجُزمت كما تجزم (إن).

والثالث: إن (لم) تُرَدُّ المضارع إلى معنى المضي، فالفعل باعتبار لفظه يستحق

١٠- الكتاب: ٤: ٢٢٠.

١١- ينظر: المبرد، المنتصب، ط١، ٤٦، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

١٢- الحروف العاملة في القرآن الكريم: ص٧٠.

١٣- ينظر: ابن جني، المختصب، ج٢: ٤٢، تح: علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شبلي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، وينظر: خالد الأزهرى، النصريح بمضمون التوضيح، ٤: ٣٦٧، تح: عبد الفتاح بحيري، ط١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

الحركة الإعرابية، وباعتبار معناه يستحق البناء، فجعل له حُكْمَ متوسط وهو السكون الذي هو في المبنيّ بناء، وفي المُعَرَّبِ حاصلٌ عن عامل<sup>(١٤)</sup>.

### أقسام (لَمْ):

(لَمْ) حرف نفي له ثلاثة أقسام<sup>(١٥)</sup>:

الأول: أن يكون جازماً نحو قول الله سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(١٦)</sup>، وهو المشهور.

الثاني: أن يكون ملغى لا عمل له، فيرتفع الفعل المضارع بعده كما في قول الشاعر:

لَوْ لَا فَوَارِسُ مِنْ ذُهْلٍ وَأَسْرَتِهِمْ      يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ

وقد صرح ابن مالك بأن الرفع بعد (لَمْ) لغة قوم من العرب، وذكر بعض النحويين أن ذلك ضرورة<sup>(١٧)</sup>.

الثالث: أن يكون ناصباً للفعل، حكى اللحياني عن بعض العرب أنه ينصب بِـ (لَمْ) كقراءة بعضهم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بفتح الحاء، وقوله:

فِي أَيِّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أُفِرُّ      أَيُّومٌ لَمْ يَقْدِرَ أَمْ يَوْمٌ قَدَرَ<sup>(١٨)</sup>

وخرج ذلك ابن هشام على أن الأصل (نَشْرَحَنَّ)، و(بِقَدْرَنَّ)، ثم حذف نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلاً عليهما<sup>(١٩)</sup>، وهذا ما ذكره المرادي<sup>(٢٠)</sup>، وفي هذا شذوذ: توكيد المنفي بِـ (لَمْ) وحذفت النون لغير وقف ولا ساكنين<sup>(٢١)</sup>.

١٤- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العسكري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج ٢: ٤٧، تح: د. عبد الإله نيهان، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٥ م.

١٥- انظر المرادي، الجني الداني، ص ٢٦٦، تح: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- الإخلاص: ٣-٤.

١٧- الجني الداني: ٢٢٦.

١٨- البيت للحارث بن منذر، واستشهد به على جواز نصب المضارع بعد (لَمْ) في قوله (لَمْ يَقْدِرَنَّ) وهو عند العلماء محمول على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة. معني اللبيب: ص ٢٧٥، والنوادر: ص ١٣. والخزانة: ٤: ٥٨٩.

١٩- ينظر: ابن هشام، معني اللبيب، ص ٢٧٥.

٢٠- المرادي، الجني الداني، ص ٢٦٦-٢٦٧.

٢١- ينظر: معني اللبيب: ص ٢٧٥.

وأفضل تخريج لذلك ما أورده ابن الأنباري في الإنصاف بقوله: إن اللحياني حكى أن من العرب من يجزم بـ (لن) وينصب بـ (لم) إلى غير ذلك من الشواذ التي لا يلتفت إليها، ولا يقاس عليها<sup>(٢٢)</sup>، أو على أن هذه لغة بعض العرب، وعليها القراءة بالنصب كما في الآية الكريمة والبيت<sup>(٢٣)</sup>.

(لَمَّا):

هي بين الحروف التي تعمل مرة ولا تعمل أخرى<sup>(٢٤)</sup>، وهي حرف نفي وجزم للفعل المضارع كـ (لَمْ)، وقد نص ابن قتيبة على أنها بمعنى (لَمْ)، ومثاله عليها قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عَذَابٍ﴾<sup>(٢٥)</sup>، وتقديره بـ (بل لم يذوقوا عذاب)<sup>(٢٦)</sup>.

وذكر الزمخشري أن (لَمَّا) فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظير (قَدْ) في الإثبات، فقال: إن إتيان ذلك منتظر<sup>(٢٧)</sup>، في قول الحق سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٢٨)</sup>.

فذكر أنه أنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه؛ لأنه مُنتَقَبٌ بانتقائه، وذكر أن (لَمَّا) بمعنى (لَمْ) إلا أن فيها ضرباً من التوقع، فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل<sup>(٢٩)</sup>، في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾<sup>(٣٠ و٣١)</sup>.

وقد اختلف النحاة في (لَمَّا) هل هي بسيطة أو مركبة، فذهب بعضهم إلى أن الأصل (لَمْ) ولحقتها (مًا) في مقابلة (قَدْ) في الواجب، فإذا قلت: لَمْ أَضْرِبْ، فهو في

٢٢- الإنصاف: ٢: ٦١٥.

٢٣- الحروف العاملة: ص ٤٠٢.

٢٤- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، معاني الحروف، ص ١٣٢.

٢٥- سورة ص: ٨.

٢٦- الحروف العاملة في القرآن: ص ٦٣٨.

٢٧- المرجع السابق نفسه.

٢٨- البقرة: ٢١٤.

٢٩- الحروف العاملة: ص ٦٣٨. وينظر الزمخشري، الكشاف: ١: ٢١٩.

٣٠- آل عمران: ١٤٢.

٣١- ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط: ٣: ٦٦. دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

مقابلة ضَرَبْتُ، وإذا قلت: لَمَّا أُضْرِبُ، فهو في مقابلة قَدْ ضَرَبْتُ، والدليل على ذلك أنك لا تحذف الفعل بعد (لَمَّ)، فلا تقول: جِئْتُ وَلَمْ، تُريدُ جِئْتُ وَلَمْ أَدْخُلُ، وتقول: جِئْتُ وَلَمَّا، تُريدُ وَلَمَّا أَدْخُلُ، كما تقول: قَدْ تَقَفْتُ، وأنت تُريدُ قَدْ فَعَلْتُ<sup>(٣٢)</sup>.

وفي التصريح قال الفراء: " أصل (لَمَّ): (لا) فأبدلت الألف ميماً، كما قال في (لَنْ) أصلها (لا) فأبدلت نوناً... كما أن القول بتركيبها هو رأي سيبويه عندما قال: وما في (لَمَّا) مُغَيَّرٌ لها عن حال (لَمَّ) كما غيرت (لَوْ) إذ قلت: لَوْمًا نَحْوَهَا، ألا ترى أنك تقول (لَمَّا)، ولا تتبعها شيئاً ولا تقول ذلك في (لَمَّ)"<sup>(٣٣)</sup>.

وذكر ابن هشام أن (لَمَّا) تأتي مركبة من كلمات، ومن كلمتين، فأما المركبة من كلمات فنحو قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَلِمًا لَمَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾<sup>(٣٤)</sup>.

في قراءة ابن عامر وحمة وحفص بتشديد نون (لَمَّا) وميم (لَمَّا)، فيمن قال الأصل (لَمَّنْ ما) فأبدلت النون ميماً وأدغمت، فلما كثرت الميمات، حذفت الأولى.

وهذا القول ضعيف، لأن حذف مثل هذه الميم استتقالاتاً لم يثبتته وأضعف منه قول الآخر: (لما) بالتثوين بمعنى جمعاً، ثم حذف التثوين إجراءً للوصل مجرى الوقف، لأن استعمال (لَمَّا) في هذا المعنى بعيد، وحذف التثوين من المتصرف في الوصل أبعد<sup>(٣٥)</sup>.

واختار ابن الحاجب أنها (لَمَّا) الجازمة، حذف فعلها، والتقدير: (لَمَّا يعملوا)، أو (لَمَّا يتركوا) لدلالة ما تقدم من قوله سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾<sup>(٣٦)</sup>، والأولى أن يقدر (لَمَّا يُوفوا أعمالهم)، أي أنهم إلى الآن لم يوفوها ويستوفونها، ووجه رجحانه أن منفي (لَمَّا) متوقع الثبوت، والإهمال غير متوقع الثبوت، وكذلك لأن بعده (ليوفينهم) وهو دليل على أن التوفية لم تقع بعد<sup>(٣٧)</sup>.

وأما المركبة من كلمتين، فكما في قول الشاعر:

٣٢- ينظر: ابن أبي الربيع، التبسيط في شرح جمل الزجاجي، ١: ٢٣٧، تح: عباد بن عباد.

٣٣- التصريح بمضمون التوضيح: ٤: ٣٦٨. وانظر الكتاب: ٤: ٢٢٣.

٣٤- سورة هود: ١١١.

٣٥- معني اللبيب: ص ٢٧٩.

٣٦- سورة هود: ١٠٥.

٣٧- معني اللبيب: ص ٢٨٠.

لَمَّا رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مُقَاتِلًا      ادْعُ الْقِتَالَ وَأَشْهَدُ الْهَيْجَاءَ<sup>(٣٨)</sup>

فعلى أن الأصل (لن ما) ثم أدغمت النون في الميم للتقارب، ووصلا خطأ. وذهب بعضهم إلى أنها بسيطة<sup>(٣٩)</sup>، والراجح ما ذهب إليه سيبويه ومن تابعه من النحويين في القول بتركيب (لما) من (لم) و(ما) الزائدة حملاً لها على الكلمات التي زيدت عليها (ما)، فأحدثت فيها تغييراً عن حالها السابق، ومن هذه الكلمات (لوما) حيث ذكر سيبويه أن أصلها (لو) دخلت عليها (ما) فأحدثت فيها تغييراً<sup>(٤٠)</sup>. أي أن في (لما) قولين، هما: الأول أنها بسيطة، والآخر أنها مركبة، وتركيبها إما أن يكون من (اللام) و(من) و(ما)، نقله ابن الحاجب، وضعف هذا الرأي ابن هشام لأنها عنده مركبة من كلمات، أو من كلمتين.

#### أقسام (لما):

الأول: أن تكون بمعنى (لم) أي الجازمة للفعل المضارع، وهي حرف نفي، تدخل على الفعل المضارع فتجزمه وتصرف معناه إلى الماضي<sup>(٤١)</sup>.

فأما وقوعها معنى (لم) فقولك: لَمَّا يَأْتِكَ زَيْدٌ، تريد: لَمْ يَأْتِكَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾<sup>(٤٢)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٤٣)</sup>، وقوله جل شأنه: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾<sup>(٤٤)</sup>، معناه: لَمْ يَأْتِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلِ، وَلَمْ يَذُوقُوا، ومن ذلك قول الأعشى:

فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصِيحُ دِيكُنَا      إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِيهَا<sup>(٤٥)</sup>  
أراد (لم يصيح).

٣٨- المصدر السابق نفسه.

٣٩- الجني الداني: ص ٥٩٣.

٤٠- الكتاب: ٤: ٢٢٣.

٤١- الجني الداني: ص ١١.

٤٢- يونس: ٣٩.

٤٣- الحجرات: ١٤.

٤٤- ص: ٨.

٤٥- الخزانة: ٣: ٤٨.

وفي رصف المباني قال المالقي: الموضع الأول من مواضع (لَمَّا) أن تكون جازمة للفعل المضارع فتُصَيَّرُ معناه للماضي، كـ (لَمَّ) المذكورة في الباب، قيل: هذا، وهي جواب في التقدير لَمَنْ قال: قَدْ فعل، ولذلك دخلت عليها (ما) كأنها عوض من (قَدْ)، ولذلك تزيد على (لَمَّ) بالاستمرار في النفي وتتفرد به دونها، ولذلك أيضاً يجوز الوقف عليها فنقول: شارف زيد المدينة ولَمَّا، وتريد: يدخلها، فحذفت الفعل لدلالاتها عليها<sup>(٤٦)</sup>.

وفي المقتصد للجرجاني: اعلم أن (لَمَّا) تدخل على المضارع فتجزمه كما تجزم (لَمَّ)، وتقلب المعنى إلى الماضي تقول: لَمَّا يخرج زيدٌ أمس، ولا تقول: لَمَّا يخرج زيدٌ غداً، كما لا تقول ذلك في (لَمَّ)<sup>(٤٧)</sup>.

الثاني: لَمَّا بمعنى إلا، ولها موضعان<sup>(٤٨)</sup>:

أحدهما: بعد القسم، نحو: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا فَعَلْتَ، وَعَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا ضَرَبْتَ كَاتِبَكَ سَوْطاً.

وثانيهما: بعد النفي، ومنه قراءة عاصم وحمزة<sup>(٤٩)</sup>: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ﴾<sup>(٥٠)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٥١)</sup>، أي ما كل إلا جميع، وما كل ذلك إلا متاع، ونحو قول الله سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾<sup>(٥٢)</sup>، أي وما كل نفس إلا عليها حافظ، ولما بمعنى إلا، لا تستعمل إلا في هذين الموضعين: أي في القسم، وبعد حرف الجحود<sup>(٥٣)</sup>.

وفي الجنى الداني أن (لَمَّا) التي بمعنى (إِلَّا) حكاها الخليل وسيبويه والكسائي وهي

٤٦- المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص ٣٠٤-٣٠٥، تح: سعيد صالح مصطفى، الناشر دار ابن خلدون.

٤٧- الجرجاني: المقتصد، ٢: ١٠٩٢.

٤٨- الجنى الداني: ٥٤٣. وانظر محمد علي الهروي: الأزهية في علم الحروف، ص ١٩٨، تح: الملوحى، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٤٩- انظر: الزمخشري، الكشاف: ١: ٥٣٦. والنشر: ٢: ٢٩١.

٥٠- ياسين: ٣٢.

٥١- الزخرف: ٣٥.

٥٢- الطارق: ٤.

٥٣- الأزهية: ص ١٩٨.

قليلة الدور في كلام العرب، فينبغي أن يُقتصر فيها على التركيب الذي وقعت فيه، وزعم أبو القاسم الزجاجي: أنه يجوز أن تقول: لَمْ يَأْتِي مِنَ الْقَوْمِ لَمَّا أَخُوكَ، وَلَمْ أَنْ مِنَ الْقَوْمِ لَمَّا زَيْدٌ، يريد إلا أخوك وإلا زيدا، قيل: وينبغي أن يتوقف في ذلك حتى يرد في كلام العرب ما يشهد بصحة ذلك<sup>(٥٤)</sup>.

الثالث: لَمَّا التعليلية:

وهي حرف وجوب لوجوب، أو وجود لوجود، بالدال، وبينهما قُرب في المعنى لكونها تقتضي جملتين، وجدت ثانيتهما عند أولهما، نحو: « لَمَّا جَاعَنِي عَلِيٌّ أَكْرَمْتُهُ»، ومن مجيئها بمعنى (حين) قول الله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٥٥)</sup>، وقوله جلَّ شأنه: ﴿ إِيَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ﴾<sup>(٥٦)</sup>، التقدير: حين أسفونا، حين آمنوا<sup>(٥٧)</sup>.

قال المالقي: «تكون (لَمَّا) حرف وجوب لوجوب إذا كانت الجملتان بعدها موجبتين كما سبق، فإن كانتا منفيتين كانت حرف نفي لنفي نحو: لَمَّا لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ لَمْ يَقَمْ عَمْرُوٌّ، وتكون حرف وجوب لنفي إذا كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة، نحو قولك: « لَمَّا لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ» وبالعكس، وإذا كانت الأولى موجبة والثانية منفية نحو قولك: « لَمَّا جَاءَ زَيْدٌ لَمْ أَحْسِنْ إِلَيْكَ»، وفيها معنى الشرط أبداً لا يفارقها ولا تتدخل إلا على الماضي لفظاً أو معنى دون لفظ نحو ما مثل به»<sup>(٥٨)</sup>.

### الخلاف بين النحاة في (لَمَّا) هل هي اسم أم حرف:

(لَمَّا) لفظ مشترك بين الاسم والحرفية، والمتفق عليه بين النحاة أن (لَمَّا) الجازمة حرف، لأنها بمعنى (لَمْ) فهي حرف نفي وجزم وقلب، و(لَمَّا) التي بمعنى إلا الاستثنائية حرف أيضاً، لأن (إلا) حرف يفيد الاستثنائية، كذلك (لَمَّا) حرف يفيد

٥٤- الجني الداني: ص ٥٩٤ .

٥٥- الزخرف: ٥٥ .

٥٦- يونس: ٩٨ .

٥٧- الأزهية: ص ١٩٩ .

٥٨- رصف المباني: ص ٥٩٤ .

الاستثناء<sup>(٥٩)</sup>.

أما (لَمَّا) التعليلية فقد وقع خلاف بين النحويين على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب سيبويه وأكثر النحويين أنها حرف، قال سيبويه: وأَمَّا (لَمَّا) فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة: (لَوْ) لما ذكرنا، فإنما هي لا ابتداء وجوب<sup>(٦٠)</sup>، فنرى أن سيبويه حكم على (لَمَّا) بالحرفية لكونه جعلها بمنزلة (لَوْ)، فكما أن (لَوْ) حرف فكذلك (لَمَّا).

المذهب الثاني: مذهب ابن السراج وأبي علي الفارسي وجماعة من النحويين حيث ذهبوا إلى أنها ظرف زمان بمعنى (حين)، وقد سلك هذا المسلك الهروي: أما وقوعها أي (لَمَّا) بمعنى حين فكقولك: كَلَّمْتُ زَيْدًا لَمَّا كَلَّمَنِي، تريد حين كَلَّمَنِي، جعلت (لَمَّا) ظرفاً<sup>(٦١)</sup>، ولذلك قال في قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٦٢)</sup>، وقوله جل شأنه: ﴿ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَعْدَائِي فَأَجَابَكُمُ قَالَ وَأَوَّلُ مَا كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَلَّمَ الْمَرْءَ الْكَلْبَ إِذْ جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٦٣)</sup>، يريد حين أسفونا، وحين آمنوا. والصحيح ما ذهب إليه سيبويه لأوجه:

أحدها: ليس فيها شيء من علامات الأسماء، كما ذكر المالقي أن الاسمية فيها متكلفة، والحرفية غير متكلفة، وكل مبني لازم البناء، فالحكم عليها بالحرفية إن دلت دلائل مقولية له في حيز الأسماء، و(لَمَّا) وإن كانت بمعنى (حين) لم يخرجها هذا المعنى إلى الاسمية، فإن من الحروف ما يتقدر بالأسماء وهو لازم بالحرفية، ومنها ما يتقدر بالفعلية، وهو لازم للحرفية<sup>(٦٤)</sup>.

والثاني: أنها تقابل (لَوْ) وتحقيق تقابلها أنك تقول: لو قام زيداً قام عمرو، ولكنه لَمَّا لم يَقُمْ لَمْ يَقُمْ، أي أننا إذا حكمنا على (لَوْ) فكذلك ما يقابلها فهو (لَمَّا).  
والثالث: أنها لو كانت ظرفاً لكان جوابها عاملاً فيها، ويلزم من ذلك أن يكون الجواب واقعاً فيها، لأن العامل في الظرف يلزم أن يكون واقعاً فيه، وأن تقول:

٥٩- الجنى الداني: ص ٥٩٢-٥٩٣.

٦٠- الكتاب: ٤: ٢٣٤.

٦١- الأزهية: ص ١٢٩.

٦٢- الزخرف: ٥٥.

٦٣- يونس: ٩٨.

٦٤- انظر: الجنى الداني: ص ٥٩٥.

لَمَّا قُمْتُ أَسِ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ، وقول الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾<sup>(٦٥)</sup>، والمراد أنهم أهلكوا بسبب ظلمهم، لا أنهم أهلكوا حين ظلمهم متقدم على إنذارهم، وإنذارهم متقدم على إهلاكهم.

الرابع: أنها تُشعر بالتقليل كما في الآية السابقة، والظرفية لا تُشعر بالتقليل.

الخامس: أن جوابها قد يقتدرن بـ (إذا) الفجائية كما في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾<sup>(٦٦)</sup>، وما بعد إذا الفجائية لا يعمل فيما قبلها.

#### الفرق بين أقسام (لَمَّا) الثلاثة من جهة اللفظ:

يتضح في أن (لَمَّا) الجازمة لا يليها إلا مضارع ماضي المعنى، وأما (لَمَّا) التي بمعنى (إلا) فلا يليها إلا ماضي اللفظ مستقبل المعنى، و(لَمَّا) التي هي حرف وجوب لوجوب، وهي التعليقية لا يليها إلا ماضي اللفظ والمعنى أو مضارع منفي بـ (لَمْ)<sup>(٦٧)</sup>.

#### زيادة (أَنْ) بعد (لَمَّا) التعليقية:

تزداد (أَنْ) بعد (لَمَّا) التوقيفية كثيراً، ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾<sup>(٦٨)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾<sup>(٦٩)</sup>.

وهذا ما ذكره سيبويه عندما قال: وأما (أَنْ) فتكون بمنزلة لام القسم في قوله: أما والله إن فعلت لفعلت، وتكون توكيداً في قولك: لَمَّا أَنْ فعلت، كما كانت توكيداً في القسم<sup>(٧٠)</sup>.

٦٥- الكهف: ٥٩.

٦٦- الزخرف: ٤٧.

٦٧- الجني الداني: ص ٥١٧.

٦٨- يوسف: ٩٦.

٦٩- القصص: ١٩.

٧٠- الكتاب: ٤: ٢٣٤.

## دلالة (لَمْ) في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات بقي معنى المضارع بعد (لَمْ) فيها على معنى الاستقبال، ولا يُراد بالمضارع بعدها معنى المضى، ولم أجد للمعربين ولا للمفسرين أقوالاً في هذه الآيات، وهي:

﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾<sup>(٧١)</sup>، ﴿ وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾<sup>(٧٢)</sup>، ﴿ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾<sup>(٧٣)</sup>، ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾<sup>(٧٤)</sup>، ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾<sup>(٧٥)</sup>، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾<sup>(٧٦)</sup>، ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبُلُهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾<sup>(٧٧)</sup>.

وقول بعض النحاة بأن (لَمْ) قلبت معنى المضارع إلى معنى المضى، ثم أريد من الماضي معنى المستقبل بعد ذلك فيه أبعاد، وأبسر من ذلك أن تقول: إن حروف النفي يقوم بعضها مقام بعض، فتتبادل مواقعها، وقد صرح أبو الفتح بذلك: " فقد تشبه حروف النفي بعضها ببعض وذلك لاشتراك الجميع في دلالة عليه، ألا ترى إلى قوله:

أَجِدْكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً      فَتَرَفُذَهَا مَعَ رُقَادِهَا

فاستعمل (لَمْ) في موضع الحال، وإنما ذلك من مواضع (ما) النافية للحال،

وأنشد أيضاً:

أَجِدْكَ أَنْ تَرَى بِتَعْلِيلَاتٍ      وَلَا بِيَدَانِ نَاجِيَّةٍ ذَمُولًا

استعمل أيضاً (لَمْ) في مواضع (ما) " (٧٨).

٧١- الأعراف: ٤٦.

٧٢- الكهف: ٤٧.

٧٣- الكهف: ٥٢.

٧٤- الكهف: ٥٣.

٧٥- القصص: ٦٤.

٧٦- الروم: ١٢-١٣.

٧٧- الرحمن: ٥٦.

٧٨- ابن جني: الخصائص: ١: ٣٨٨.

يشير أبو الفتح إلى أن وقوع (لَمْ) و(لَنْ) في جواب القسم إنما كان بالحمل على (ما)، وقد منع المبرد أن تقع (لَنْ) في جواب القسم<sup>(٧٩)</sup>.

وقال ابن هشام: وتلقي القسم بـ (لَنْ) و(لَمْ) نادر جداً، كقول أبي طالب:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ      حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا<sup>(٨٠)</sup>

ووجدت في كلام: كمال الدين الأنباري ما يشير إلى هذا، قال: في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، أي لم يقتحم، و(لا) مع الماضي كـ (لَمْ) مع المستقبل كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ أي لم يصدق ولم يصل<sup>(٨١)</sup>.

وقال أبوحيان في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٨٢)</sup>، وقيل: " (فلن أكون)، دعاء لاخبر، و(لَنْ) بمعنى (لا) في الدعاء"<sup>(٨٣)</sup>، والصحيح أن (لَنْ) لا تكون في الدعاء، وقد استدل على أن (لَنْ) تكون في الدعاء بهذه الآية بقول الشاعر:

لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ مَا      زِلْتُمْ لَكُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ<sup>(٨٤)</sup>

إذا دخلت همزة الاستفهام على أداة نفي كان معنى الاستفهام هو الإنكار والتقرير، قال الرضي: «وإذا دخلت همزة الاستفهام على (لَمْ) و(لَمَّا)، فهي للاستفهام على سبيل التقرير، ومعنى التقرير إلقاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾»<sup>(٨٥)</sup>.

وقد ذكر ابن هشام في المغني خروج همزة الاستفهام الحقيقي إلى أنواع متعددة، بعضها له صلة بلم، منها:

١- **الإنكار الإبطالي:** وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدعيه كاذب، مثل له بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لما كان معناه شرحنا، و﴿أَلَمْ يَجِدْكَ

٧٩- المقضب: ٢: ٦.

٨٠- المغني: ١: ٢٢١.

٨١- البيان: ٢: ٥١٤، ٤٧٨. وأمالى الشجري: ٢/٩٤، ١٢٨. وفي اللباب للعكبري معنى (ما)، ٢: ١٤٦، ١٥٤.

٨٢- القصص: ١٧.

٨٣- البحر: ٧: ١١.

٨٤- ينظر السابق.

٨٥- شرح الكافية: ٢: ٢٣٤.

يَتِيمًا فَأَوْىٰ ﴿٤٠﴾، و﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٤١﴾.

٢- الإنكار التوبيخي: فيقتضي أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملومٌ، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٤٢﴾، ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ ﴿٤٣﴾، ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ﴿٤٤﴾ ... .

٣- التقرير: ومعناه، جعلك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرر به ...

فإذا قلت: ما وجه حمل الزمخشري الهمزة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾، على التقرير؟

قلت: قد اعتذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفي، لا التقرير بالنفي والأولى أن تُحمل الآية على الإنكار التوبيخي، أو الإبطالي، أي (ألم تعلم أيها المنكر للنسخ).

ثم عاد ابن هشام وجعل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٤٦﴾ من الاستفهام التقريري<sup>(٨٦)</sup>، وقد جعله فيما سبق من الإبطالي.

أما أبو حيان فقد جعل الاستفهام للتقرير في أكثر المواضع كما سيأتي:

١- ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٨٧﴾، (ألم أقل) تقرير لأن الهمزة إذا دخلت على النفي كان الكلام في كثير من المواضع تقريراً، نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٤٦﴾، ولذلك جاز العطف على جملة إثباتية نحو (ووضعنا)، (ولبثت)<sup>(٨٨)</sup>.

٢- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٩﴾، استفهام معناه التقرير، فلا يحتاج إلى معادل البتة، والأولى أن يكون المخاطب هو السامع، والاستفهام بمعنى التقرير كثير في كلامهم خصوصاً إذ دخل على النفي، ﴿ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٩١﴾، فهذا كله استفهام لا يحتاج فيه إلى معادل، لأنه إنما أراد به التقرير<sup>(٩٠)</sup>.

٨٦- ينظر المعنى: ٢: ١٢٣.

٨٧- البقرة: ١٣٣.

٨٨- ينظر البحر: ١: ١٥.

٨٩- البقرة: ١٠٦.

٩٠- ينظر البحر: ١: ٣٤٤-٣٤٥، والمعنى: ١: ١٧.

- ٣- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٩١)</sup>، استفهام دخل على النفي، فهو تقرير، ليس له معادل، لأن التقرير معناه الإيجاب، أي علمت أيها المخاطب<sup>(٩٢)</sup>.
- ٤- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾<sup>(٩٣)</sup>، همزة الاستفهام دخلت على حرف النفي، فصار الكلام تقريراً<sup>(٩٤)</sup>.
- ٥- ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾<sup>(٩٥)</sup>، هذا تقرير من الملائكة لهم، ورد لما اعتذروا به، أي لستم مستضعفين، بل كانت لكم القدرة على الخروج إلى بعض الأقطار<sup>(٩٦)</sup>.
- ٦- ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالنَّاسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾<sup>(٩٧)</sup>، الاستفهام للتوبيخ والتقريع، حيث أعذر الله إليهم بإرسال الرسل فلم يقبلوا به<sup>(٩٨)</sup>.
- ٧- ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾<sup>(٩٩)</sup>، هو استفهام معناه العتاب على ما صدر منهما، والتنبيه على موضع الغفلة<sup>(١٠٠)</sup>.
- ٨- ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾<sup>(١٠١)</sup>، هذا توبيخ وتقرير لما تضمنه الكتاب من أخذ الميثاق، إنهم لا يكذبون على الله<sup>(١٠٢)</sup>.
- ٩- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾<sup>(١٠٣)</sup>، أي ألم يعلم المنافقون، وهو استفهام معناه التوبيخ والإنكار، وقرئ (تعلموا) بالتاء على الخطاب، فالظاهر أنه النفات، فهو خطاب للمنافقين، قيل ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنين،

٩١- البقرة: ١٠٧.

٩٢- ينظر البحر: ١: ٣٤٥.

٩٣- البقرة: ٢٤٣.

٩٤- ينظر البحر: ٢: ٢٤٩.

٩٥- النساء: ٤٩.

٩٦- ينظر البحر: ٣: ٣٣٤.

٩٧- الأنعام: ١٣٠.

٩٨- ينظر: ٤: ٢٢٢.

٩٩- الأعراف: ٢٢.

١٠٠- ينظر البحر: ٤: ٢٨١. وانظر الكشاف: ٢: ٥٨.

١٠١- الأعراف: ١٦٩.

١٠٢- ينظر البحر: ٤: ٤١٦.

١٠٣- التوبة: ٦٣.

فيكون معنى الاستفهام التقرير وإن كان خطاباً للرسول(ص) فهو خطاب تعظيم والاستفهام فيه للتعجب، والتقدير: لا تعجب من جهلهم في محاذاة الله تعالى(١٠٤).

١٠- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ (١٠٥)، استفهام تضمن التوبيخ والتفريع، وقرئ بالتاء خطاباً للمؤمنين على سبيل التقرير(١٠٦).

١١- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ (١٠٧)، الهمزة للتقرير والتوبيخ(١٠٨).

١٢- ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ (١٠٩)، قال لهم على جهة التوبيخ والتفريع: ألم أعهد(١١٠).

### مع أفلم

١- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (١١١)، "وفي ثم استفهام استفهام توبيخ وتفريع، والضمير في (يسيروا) عائد على من أنكر إرسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول .... أي هلا يسيرون في الأرض، فيعلمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة، ويرون مصارع الأمم المكذبة، فيعتبرون بذلك"(١١٢).

٢- ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ ﴾ (١١٣)، "في ذكر الله تعالى توبيخهم على إعراضهم عن إتباع الحق، أي ألم يتفكروا فيما جاء به عن الله، فيعلموا أنه المعجز الذي لا يمكن معارضته فيصدقوا به وبمن

١٠٤- البحر: ٥ : ٧٥

١٠٥- التوبة: ٧٨ .

١٠٦- ينظر البحر: ٥ : ٧٥ .

١٠٧- إبراهيم: ٩ .

١٠٨- ينظر البحر: ٥ : ٤٠٨ .

١٠٩- يس: ٦٠ .

١١٠- البحر: ٧ : ٣٤١ .

١١١- يوسف: ١٠٩ .

١١٢- البحر: ٥ : ٣٥٣ .

١١٣- المؤمنون: ٦٨ .

جاء به<sup>(١١٤)</sup>.

٣- ﴿أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾<sup>(١١٥)</sup>، "هو استفهام معناه التعجب، ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أن يحل بهم في الدنيا ما حل بأولئك، بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث، فلم يتوقعوا عذاب الآخرة"<sup>(١١٦)</sup>.

### مع أولم

١- ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ﴾<sup>(١١٧)</sup>، "الهمزة للتقرير ... قال ابن عطية: الواو واو الحال دخلت عليها ألف التقرير، وكون الواو للحال هنا غير واضح، لأنها إذا كانت للحال فلا بد أن تكون في موضع نصب، وإذ ذلك لا بد لها من عامل، فلا تكون همزة التقرير دخلت على هذه الجملة الحالية، وإنما دخلت على الجملة التي اشتملت على العامل فيها وعلى ذي الحال، ويصير التقدير: سألت ولم تؤمن، أي سألت في هذه الحال.

والذي يظهر أن التقرير إنما هو منسحب على الجملة المنفية، وأن الواو للعطف واعتنى بهمزة الاستفهام فقدمت ... ولذلك كان الجواب ببلى، وقد تقرر في علم النحو أن جواب التقرير المثبت، وإن كان بصورة النفي تجريه العرب مجرى جواب النفي المحض فتجيبه على صورة النفي، ولا يلتفت إلى معنى الإثبات"<sup>(١١٨)</sup>.

### مواقع الجملة المنفية بلم في الإعراب :

- وقعت خيراً للمبتدأ في: الأعراف ٨٧، الأحزاب ١٩.
- وخبراً لـ (إن) المكسورة الهمزة في: النساء ١٣٧ ١٦٨.
- وخبراً لـ (أن) المفتوحة الهمزة في: الأنفال ٥٣، يوسف ٥٢.
- وخبراً للبيت في: الكهف ٤٢، الفرقان ٢٨، الحاقة ٢٥.

١١٤- البحر ٦: ٤١٣ .

١١٥- الفرقان ٤٠ .

١١٦- في البحر ٦: ٥٠٠ .

١١٧- البقرة ٢٦٠ .

١١٨- في البحر ٢: ٢٩٧-٢٩٨ .

- وخبراً لـ (كأن) في: الأحقاف ٣٥، النزاعات ٤٦.
- وخبراً لـ (كأن) المخففة في: النساء ٧٣، الأعراف ٩٢، يونس ١٢ - ٢٤ - ٤٥، هود ٦٧ - ٩٦، لقمان ٧، الجاثية ٨، خبر كأن المخففة جاء مقروناً بلم في جميع مواقعها في القرآن.
- وقفت الجملة المنفية بلم خبراً (لأن) المخففة في: الإنعام ١٣١، الأعراف ٩٢ الجاثية ٨، البلد ٧.
- وجاءت مفعولاً للقول في الحجر ٣٣، الحجرات ١٤، المدثر ٤٥.
- ومفعولاً ثانياً ليحسب في: الأحزاب ٢٠.
- وحالاً في: البقرة ٢٥٩، آل عمران ١٧٤، المائدة ٤١، الإنعام ١٥٨، الأعراف ١١ - ٤٦، القصص ٥٨، الأحزاب ٢٥، الرحمن ٥٦، الإنسان ١.
- وصفة في: النساء ١٠٢ - ١٦٤، المائدة ٤١، الأنعام ١٥٨، التوبة ٢٦ - ٤٠، النحل ٧، الكهف ٩٠، الأحزاب ٩ - ٢٧، محمد ١٥، الفتح ٢١ - ٢٥، الإنسان ١.
- بعد (حيث) في: الحشر: ٢.
- بعد (إن): النساء ٧٢، الأحقاف ١١، المجادلة ١٣.
- بعد (إذا) الشرطية: الأعراف ٢٠٣.
- جواب (إذا) الشرطية: النور ٤٠ - ٦٢، الفرقان ٦٧ - ٧٣.
- بعد (لو): النور ٣٥.
- بعد (إن) الشرطية: البقرة ٢٤ - ٢٦٥ - ٢٧٩ - ٢٨٢، النساء ١١ - ١٢ - ٢٣، المائدة ٦٧ - ٧٣، الأنعام ٧٧، الأعراف ٢٣ - ١٤٩، التوبة ٥٨، هود ١٤٤، يوسف ٦٠، الكهف ٦، مريم ٤٦، النور ١٣ - ٢٨، الشعراء ١٦٧ - ١١٦، الأحزاب ٥، القصص ٥٠، الأحزاب ٦٠، يس ١٨، الدخان ٢١، المجادلة ١٢، العلق ٥.
- بعد (من) المحتملة للشرطية والموصولية: في البقرة ١٩٦ - ٢٤٩، النساء ٢٥ - ٩٢، المائدة ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ - ٨٩، النور ٤٠، الفتح ١٣، الحجرات ١١، المنافقون ٦.
- بعد (أم) في: البقرة ٦، المؤمنون ٦٩، الشعراء ١٣٦، يس ١٠، النجم ٣٦، المنافقون ٦.
- بعد (ثم) في: الأنعام ٢٣، التوبة ٤، النور ٤، الحجرات ١٥، الطلاق ٥، البروج ١٠.

- بعد (بل) في: الصافات ٢٩، غافر ٧٤.
- بعد (كما) في: الأنعام ١١٠.
- وقعت صلة للموصول في: البقرة ١٥، ١٩٦، ٢٣٩، آل عمران ١٥١ — ١٧٠ — ١٨٨، النساء ١١٣، المائدة ٢٠ — ٤١، الأنعام ٦ — ٨١ — ٩١، الأعراف ٣٣، التوبة ٩٤ يونس ٣٩، يوسف ٣٢، الرعد ١٨ — الإسراء ١١١، الكهف ٦٨ — ٧٨ — ٨٢، مريم ٤٣، طه ٩٦، المؤمنون ٦٨، النور ٣١ — ٥٨، النمل ٢٢، الزمر ٤٢ — ٤٧، غافر ٥٨، الشورى ٢١، الفتح ٢٧، المجادلة ٨، الممتحنة ٨، الطلاق ٨، الفجر ٨، العلق ١٥، الإخلاص ٣، الزمر ٤٢ — ٤٧، غافر ٧٤ — ٥٨ — ٤٢ — ٢١، الدخان ٢١، الجاثية ٨، الأحقاف ١١ — ٣٥، محمد ١٥ — الفتح ١٢ — ٢٥ — ٢٧، الحجرات ١١ — ١٤ — ١٥، النجم ٣٦، الرحمن ٥٦، المجادلة ٤ — ٨ — ١٢ — ١٣، الحشر ٢، الممتحنة ٨، الجمعة ٥، المنافقون ٦، الطلاق ٤، الحاققة ٢٥، نوح ٢١، المدثر ٤٥، الإنسان ١، النازعات ٤٦، البروج ١٠، الفجر ٨، البلد ٧، العلق ٥ — ١٥، البيئة ١، الإخلاص ٣.
- (فلم) في: النساء ١٣، ٩٠، المائدة ٦، الأنفال ١٧، التوبة ٢٥، الكهف ٤٧، ٥٢، غافر ٨٥، التحريم ١٠، نوح ٦، ٢٥.
- (ولم) في: البقرة ٢٤٧ — ٢٨٣، آل عمران ٤٧ — ١٣٥، النساء ١٥٢، المائدة ٢٧ — ٤١، الأنعام ٨٣ — ٩٢، الأنفال ٧٢، التوبة ٤ — ١٦ — ١٨، يوسف ٧٧، النحل ١٢٠، الإسراء ١١١، الكهف ١ — ٣٣ — ٤٣ — ٥٣، مريم ٤ — ٩ — ١٤ — ٢٠ — ٣٢ — ٦٧، طه ٩٤ — ١١٥ — ١٢٧، النور ٦، الفرقان ٢ — ٦٧، النمل ١٠ — ٨٤، القصص ٣١، الروم ١٣، الأحقاف ٣٣، النجم ٢٩، الممتحنة ٨٠، الحاققة ٢٦، المدثر ٤٤.
- (ألم) في: البقرة ٣٣ — ١٠٦ — ١٠٧ — ٢٤٣ — ٢٤٦ — ٢٥٨، آل عمران ٢٣، النساء ٤٤ — ٤٩ — ٥١ — ٦٠ — ٧٧ — ٩٧ — ١٤١، المائدة ٤٠، الأنعام ٦ — ١٣٠، الأعراف ٢٢ — ١٤٨، التوبة ٦٣ — ٧٠ — ٧٨ — ١٠٤، يوسف ٨٠ — ٩٦، إبراهيم ٩ — ١٩ — ٢٤ — ٢٨، النحل ٧٩، الكهف ٧٢ — ٧٥، مريم ٨٣، طه ٨٦، الحج ١٨، ٦٣ — ٦٥، المؤمنون ١٠٥، النور ٤٣ — ٤١، الفرقان ٤٥، الشعراء ١٨ — ٢٢٥، النمل ٨٦، لقمان ٢٠ — ٢٩ — ٣١، فاطر ٢٧، يس ٣١ — ٦٠،

الزمر ٢١ - ٧١، غافر ٦٩، الحديد ١٤ - ١٦، المجادلة ٧ - ٨، الحشر ١١،  
التغابن ٥، الملك ٨، القلم ٢٨، نوح ١٥، القيامة ٣٧، المرسلات ١٦ - ٢٠ - ٢٥،  
النبأ ٦، البلد ٨، الضحى ٦، الشرح ١، العلق ١٤، الفيل ١ - ٢ .  
- (أفلم) في: يوسف ١٠٩، الرعد ٣١، طه ١٢٨، الحج ٤٦، المؤمنون، ٦٨، الفرقان  
٤٠، سبأ ٩، يس ٦٢، غافر ٨٢، فاطر ٣١، محمد ١٠ .  
- (أولم) في: البقرة ٢٦٠، الأعراف ١٠٠ - ١٨٤ - ١٨٥، الرعد ٤١، إبراهيم:  
٤٤، الحجر ٧٠، النحل ٤٨، الإسراء ٩٩، طه ١٣٣، الأنبياء ٣٠، الشعراء ٧ - ١٩٧،  
القصص ٤٨ - ٥٧ - ٧٨، العنكبوت ١٩ - ٥١ - ٦٧، الروم ٨ - ٩ - ٣٧، السجدة  
٢٦ - ٢٧، فاطر ٣٧ - ٤٤، يس ٧١ - ٧٧، الزمر ٥٢، غافر ٢١ - ٥٠، فصلت ١٥ -  
٥٣، الأحقاف ٣٣، الملك: ١٩ .

### (لما) الجازمة في القرآن الكريم :

- ١- (لما) الجازمة يمتد نفيها إلى زمن التكلم، وأما منفي (لم) فيحتمل الاتصال  
كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، والانتقطاع كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً  
مَذْكُوراً﴾<sup>(١١٩)</sup>.
  - ٢- لا تقع (لما) بعد أدوات الشرط ولا تسبقها<sup>(١٢٠)</sup>.
  - ٣- يجوز حذف منفي (لما) في الاختيار<sup>(١٢١)</sup>.
  - ٤- (لما) أبلغ في النفي من (لم) لأنها تدل على نفي الفعل متصلاً بزمن الحال فهي  
لنفي التوقع<sup>(١٢٢)</sup>.
- والغالب في (لما) أن تستعمل في نفي الأمر المتوقع، نقول لمن يتوقع ركوب  
الأمير قد ركب الأمير، أو لما يركب الأمير، أو لما يركب، وقد تستعمل في  
غير المتوقع أيضاً نحو ندم زيد ولما ينفعه الندم<sup>(١٢٣)</sup>.

١١٩ - المعنى ١: ٢١٨-٢١٩، الرضي ٢: ٢٣٤، البحر ٨: ١١٧ .

١٢٠ - الرضي ٢: ٢٣٤، المعنى ١: ٢١٨، البحر ٢: ١٣٤ .

١٢١ - الرضي ٢: ٢٣٤، البحر ٢: ١٣٤، الإيضاح ٣١٩ .

١٢٢ - البحر ٢: ١٤٠ .

١٢٣ - الرضي ٢: ٢٣٤ .

- ٥- تدل (لما) على أن منفيها يقع في المستقبل عند الزمخشري ورد عليه أبوحيان.
- ٦- وقعت (لما) بعد (بل) في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾<sup>(١٢٤)</sup>. وبعد (كلا) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾<sup>(١٢٥)</sup>. وكانت جملتها صفة في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾<sup>(١٢٦)</sup>. وجاءت حالاً في كل مواقع (ولما).
- ٧- دخلت همزة الاستفهام على (لم) كثيراً في القرآن الكريم كما تقدم، ولم تدخل على (لما) وجاء ذلك في كلام العرب (ألما تعرفوا منا اليقيناً).

#### الآيات التي وردت فيها (لما) الجازمة :

- ١- ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾<sup>(١٢٧)</sup>.
- ٢- ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١٢٨)</sup>. في "(لما) لنفي ما يقرب من الحال بخلاف (لم) فلما يقم نفي لـ (قد قام زيد)، ولم يقم نفي لـ (قام زيد) لأن قام زيد فيه دلالة على القرب من الحال لمكان (قد)، جملة (لما يلحقوا) صفة لآخرين" <sup>(١٢٩)</sup>.
- ٣- ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾<sup>(١٣٠)</sup>.
- ٤- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>(١٣١)</sup>، "(ولما) فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظيرة (قد) في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر" <sup>(١٣٢)</sup>.

١٢٤ - ص ٨ .

١٢٥ - عيس ٢٣ .

١٢٦ - الجمعة ٣ .

١٢٧ - ص ٨ .

١٢٨ - الجمعة ٣ .

١٢٩ - البيان ٢: ٤٢٧ ، الجمل ٤: ٣٣٤ .

١٣٠ - عيس ٢٣ ، البيان ٢: ٤٩٤ .

١٣١ - البقرة ٢١٤ .

١٣٢ - في الكشاف ١: ١٢٩ ، العكري ١: ٥١ ، البحر ٢: ١٣٤ .

٥- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾<sup>(١٣٣)</sup> "و(لما) بمعنى (لم) إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل"<sup>(١٣٤)</sup>.

وفي البحر: "وهذا الذي قاله الزمخشري في (لما) أنها تدل على توقع الفعل المنفي فيما يستقبل، لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، بل ذكروا أنك إذا قلت: لما يخرج زيد دل على انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً نفيه إلى وقت الإخبار"<sup>(١٣٥)</sup>.

أما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا، لكنني وجدت في كلام الفراء شيئاً يقارب ما قاله الزمخشري، قال (لما) لتعريض الوجود بخلاف (لم).

٦- ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾<sup>(١٣٦)</sup> " فإن قلت: ما معنى التوقع في قوله (ولما يأتهم تأويله)؟، قلت: معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل، تقليداً للآباء، وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه"<sup>(١٣٧)</sup> وفي البحر: " ويحتاج كلام الزمخشري إلى نظر"<sup>(١٣٨)</sup>.

٧- ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾<sup>(١٣٩)</sup>. "وما في (لما) من معنى التوقع دل على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد"<sup>(١٤٠)</sup>.

٨- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾<sup>(١٤١)</sup> "ولما معناها التوقع وقد دلت على أنها تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن"<sup>(١٤٢)</sup>.

١٣٣ - آل عمران ١٤٢.

١٣٤ - الكشاف ١: ٢٢٠.

١٣٥ - ٣: ٦٦.

١٣٦ - يونس ٣٩.

١٣٧ - الكشاف ٢: ١٩١.

١٣٨ - ٥: ١٥٩.

١٣٩ - الحجرات ١٤.

١٤٠ - الكشاف ٤: ١٧.

١٤١ - التوبة ١٦.

١٤٢ - الكشاف ٢: ١٤٢.

## المصادر والمراجع

- ١- ابن الأنباري، لأبي البركات، أسرار العربية، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
- ٢- ابن جني، المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.
- ٣- ابن الشجري، هبة الله، أمالي، تح: د.محمود محمد الطناجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٤- ابن عباد، عبادة، التبسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق.
- ٥- ابن الوراق، علل النحو، تحقيق د. محمد جاسم، ومحمد الدرويش، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١.
- ٦- ابن هشام، جمال الدين، شرح جمل الزجاجي، تحقيق د. علي محسن عيسى مال الله، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- ٧- ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
- ٨- الأزهرري، خالد، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق د. عبد الفتاح بحيري، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٩- الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
- ١٠- البغدادي، خزانة الأدب، ط١، المطبعة الأميرية بولاق، مصر.
- ١١- جرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢ م.
- ١٢- الرماني، أبو الحسن، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح شبلي، جدة، دار الشروق، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.
- ١٣- الزجاجي، الجمل، تحقيق ابن أبي شنب، ط٢، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م.
- ١٤- الزمخشري، أبي القاسم، الكشاف، دار الفكر، ط١، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م.

- ١٥- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.
- ١٦- صالح مصطفى، سعيد، رصف المباني في شرح حروف المعاني، دار ابن خلدون.
- ١٧- عبد الحميد، طه، البيان في غريب إعراب القرآن، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ١٨- عطية، هادي، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، ط١.
- ١٩- العكبري، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق د. عبد الإله نبهان، دار الفكر، ط١، ١٩٩٥ م.
- ٢٠- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.
- ٢١- المرادي، الجنى الداني، تحقيق د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم، دار الكتب بيروت.
- ٢٢- الهروي، محمد علي، الأزهية في علم الحروف، تحقيق محمد الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.



## نقد داوری ابن هشام در باره أبوحیان (در پرتو بررسی آراء بلاغی أبوحیان)

محمد نبی احمدی

استادیار گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران

علی سلیمی

دانشیار گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران

### چکیده:

ابن هشام انصاری در کتاب مغنی اللیبیب روشی را در پیش گرفته است که در کتب نگارش یافته‌ی قبل از مغنی نظیری ندارد؛ مانند نقد وی از آراء نحویان همهی مکاتب نحوی. وقابل توجه آن است که ایشان به آراء نحوی اکتفاء ننموده است، بلکه بسیاری از موضوعات بلاغی را نیز مورد بررسی قرار داده است. وی به نقد بسیاری از عالمان نحوی و بلاغی پرداخته که برخی از این آراء را تأیید، و تعدادی را نیز رد کرده است؛ این در حالی است که ابن هشام با آراء نحوی و بلاغی أبوحیان اندلسی مخالفت شدید و غیر متعارفی نموده است و او را متهم می‌کند که چیزی از علم بلاغت نمی‌داند.

به نظر می‌رسد آراء بلاغی موجود در تفسیر البحر المحيط ابو حیّان همانند "استعاره"، "مجاز"، "مبالغه" و "اغراض بلاغی استفهام" نه تنها به روشنی قضاوت ابن هشام درباره‌ی ابوحیان را رد می‌نماید، بلکه گواه بر آن است که ابوحیان به خوبی آگاه به علم بلاغت بوده است. این مقاله از خلال آرای بلاغی ابوحیان داوری ابن هشام درباره‌ی او را نقد می‌نماید.

**کلمات کلیدی:** ابن هشام، ابوحیان، نحو، بلاغت، نقد.

## پدیده های آوایی در (کتاب) سیبویه

إبراهيم البب

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تشرین، لاذقیه، سوریه

### چکیده:

این مقاله به بررسی برخی از پدیده های آوایی که در (کتاب) سیبویه ذکر شده است می پردازد. پدیده های آوایی از دو گروه صوتی و سیاقی تشکیل می شود، اما به گروه صوتی نزدیکترند. این پدیده ها عبارتند از:

— پدیده ی وقف: که ما در این مقاله، اساس، قوانین و قواعد آن را نزد سیبویه بیان کرده ایم. اعم از اینکه وقف به همراه افزایش حرف یا بدون آن باشد و خواه مقرون با حروف مدی صدادار به حروف صامت باشد.

— پدیده ی اماله: که بر اساس تقسیم بندی سیبویه بر دو بخش است، بخش قانونی فراگیر و بخش خلاف قاعده و نادر. آنگاه به بیان مواضع اماله در کلام و پیوند آن با حروف عله از يك سو و ارتباط آن با حرف راء در زبان عربی از سوی دیگر می پردازیم.

— پدیده ی تشابه و اختلاف: از پدیده های آوایی هستند که احکام و قواعد خاص خود را دارند. سیبویه هیچ يك از این دو پدیده را با عنوانی خاص نیاورده، بلکه هر دو را تحت عنوان ابدال بررسی کرده است. او تشابه کلی و جزئی را با دو نوع تقدیمی و رجعی توضیح داده و پدیده ی اختلاف و فرق آن با تشابه را بیان کرده است. وی قائل است به اینکه حروف متشابه در يك کلمه به مراتب بیشتر از حروف متفاوت هستند. در پایان مقاله برخی از نتایج بحث را ذکر کرده ایم.

**کلمات کلیدی:** آواها، پدیده های آوایی، سیبویه.

## انواع آرایه های بدیعی در دوره مملوکی

علی حیدر

استاد گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تشرین، سوریه

**چکیده:**

شاید از دشوارترین کارهای محققان علم بلاغت در عصر مملوکی، شمردن انواع آرایه های بدیعی باشد که نشانه برجسته ذوق ادبی این دوره است. علمای بدیع در تعداد و انواع و نامگذاری آرایه ها اختلاف نظر دارند و در اهمیت و نقش آن در پیدایش نوآوری ادبی نیز، هم رأی نیستند. این مقاله می کوشد از خلال مقایسه مهمترین کتاب هایی که به این موضوع پرداخته اند علل و اسباب این تشتت آراء را توضیح دهد. مهمترین مباحث بیان و بدیع که دچار نوعی پراکندگی و آشفتگی گشته است و توجه به آنها کاری به غایت دشوار می نماید نیز در این مقاله مورد بررسی قرار گرفته است.

**کلمات کلیدی:** بدیع، انواع، تقسیم، مملوکی، پراکندگی.

## روش نشانه شناختی: راهکار بررسی خطاب شعری و چالش های آن

رضا عامر

استادیار گروه عربی مرکز دانشگاهی میله، الجزائر

محمد خاقانی اصفهانی

دانشیار گروه عربی دانشگاه اصفهان، ایران

### چکیده:

روش نشانه شناختی در دهه های پایانی قرن بیستم بویژه در عرصه تعامل با خطاب شعری معاصر تحولات فراوانی را تجربه کرد. این موضوع منجر به چالش های مختلفی در بررسی هوشمندانه متن ادبی در سطح ابزارهای اجرایی یا در سطح تأویل و استنتاج متن شد، بشرط آن که سلامت معانی حقیقی متن را در ژرف ساخت آن تضمین کند.

از این رو؛ نقد "خطاب شعری نو و معاصر" یکی از مهم ترین قضایای نقد است که متفکران عصر نو با بکارگیری روش نشانه شناختی در تحلیل نشانه های متون ادبی بدون خدشه دار کردن افراطی یا تفریطی هویت عربی آن به آن پرداخته اند.

تحلیل پیشنهادی به حد ارجاع به دانش ها و علوم مختلف فروکاسته نمی شود، و در چارچوب دلالت محدودی نمی گنجد، بلکه متن آغوش خود را به روی دانش های متنوع می گشاید، و دیدگاه ها و معارف گوناگون را برمی تابد. به همین سبب، تحلیل نشانه شناختی همه این وضعیت را لحاظ نموده، و در چارچوب راهبردهای خویش قرار می دهد. امروزه بررسی های متن شناختی تبدیل به شیوه ای از بحث نقادانه شده است و نظریه ای علمی را فراهم ساخته است که دیدگاه ها و نقطه نظرات روش شناختی و اجرایی متعددی را برای بررسی متن عربی نو چه در سطح نظریه پردازی و چه در سطح کاربردی به ارمغان آورده است، نظراتی که ما را از توجه به آنها در خلال تحلیل گریزی نیست.

این مقاله بر آن است که اهمیت روش نشانه شناختی را در بررسی متن عربی نو معرفی نماید و مهمترین چالش های خطاب شعری نو را بخصوص در مورد اختلاف ناقدان در بررسی پدیده ادبی ترسیم نماید، و روش های تحلیل را در سطح ادوات اجرایی یا در سطح تأویل صحیح در استنتاج متن باز نماید.

**کلمات کلیدی:** نشانه شناسی، نقد ادبی، ادب معاصر عربی

## شخصیت منتبّی و سعدي و اثر آن بر پند و حکمت آنها

صادق عسکری

استادیار گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه سمنان، ایران

### چکیده:

شخصیت منتبّی و سعدي یکی از تاثیرگذارترین امور بر پند و حکمت شعری آنها می باشد. چرا که شخصیت آندو از دو جهت بر حکمتشان تأثیر دارد: اول اینکه باعث گرایش آنها به پند و حکمت می شود، دوم اینکه باعث انتخاب پندیات و مواظ متناسب با اخلاق و شخصیت هر يك از آنها می گردد.

نتایج بدست آمده از این تحقیق حاکی از آن است که منتبّی و سعدي در زمینه شخصیت و اخلاق کاملاً متفاوت و حتی متناقض هستند. چرا که غرور منتبّی با تواضع سعدي، و بدبینی او با خوش بینی سعدي، و ضعف اعتقادات دینی او با دینداری سعدي در تناقض است.

بررسی شخصیت این دو شاعر بیانگر تفاوت میان منتبّی به عنوان شاعر مدح و سعدي به عنوان شاعر پند و موعظه می باشد. به عبارت دیگر بیانگر تفاوت بین مدّاح و واعظ است. اگر چه این دو شاعر به علّت وجود بعضی نکات ضعف ناشی از تناقض بین حکمت شعری و رفتار عملی شان از قبیل تکسّب و اشعار زشت و رکیک با هم اشتراك دارند.

سرانجام تأثیر اختلاف بین شخصیت این دو شاعر پند و حکمت آنها در انتخاب موضوعات مخصوص متناسب با شخصیت هر يك از آندو ظاهر می شود. به عنوان مثال توصیه منتبّی به شجاعت و دلآوری بسیار بیشتر از سعدي است. بر عکس گرایش اندک منتبّی به تواضع با علاقه شدید سعدي به آن قابل مقایسه نیست. علاوه بر آن منتبّی اصلاً به موضوعاتی از قبیل قناعت و عدالت و غرور و خودبینی نپرداخته است؛ ولی سعدي بسیار به قناعت و عدالت و انصاف توصیه کرده و به شدت از غرور و خودبینی منع کرده است.

**کلمات کلیدی:** پند و حکمت، منتبّی، سعدي، شخصیت و اخلاق، بررسی تطبیقی

## زیبایی شناسی اصطلاحات صرفی، نحوی و عروضی در لزومیات ابوالعلاء المعری

سید مهدی مسبوق  
استادیار دانشگاه بوعلی سینا، همدان، ایران  
علی باقر طاهری نیا  
دانشیار دانشگاه بوعلی سینا همدان، ایران  
مهدی ترکاشوند  
دانشجوی کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی

### چکیده:

در پی رونق و شکوفایی نهضت ترجمه در عصر عباسی، به کارگیری اصطلاحات علمی در شعر رو به فزونی نهاد و شعرایی چون ابوتمام و منتبئی و معری و ابوالفتح بستنی به خاطر آشنایی با این علوم برخی از این تعابیر علمی را در شعر خود به کار گرفتند.

از آنجا که معری از دانش گسترده ای در زمینه علوم و معارف مختلف برخوردار بود بسیاری از این اصطلاحات علمی را به طور گسترده ای در آثار خود بخصوص در دیوان لزومیات به کار گرفت. زیاده روی در به کارگیری این اصطلاحات با دو رویکرد متفاوت از جانب ناقدان و پژوهشگران مواجه شد. به طوری که گروهی با دیده ی تمجید و ستایش بدان نگرسته و گروهی دیگر آن را مورد اعتراض و انتقاد قرار دادند. اما به نظر می رسد آنچه از دیده این ناقدان ادبی پنهان مانده زیبایی شناسی این تعابیر و اصطلاحات در شعر معری است.

پر واضح است که بررسی و واکاوی این رموز و اصطلاحات از یکسو پرده از آرا و اندیشه های شاعر برداشته و از سوی دیگر بیانگر آشنایی گسترده او با این علوم و مبین غنای شعر او می باشد. از این رو مقاله حاضر به بررسی اصطلاحات صرفی، نحوی و عروضی ای می پردازد که شاعر چنان هنرمندانه در لزومیات خود به کار گرفته که خواننده تنها با کنکاش و تامل در آن قادر به فهم و درک معنای مورد نظر خواهد بود.

**کلمات کلیدی:** معری، اصطلاحات، شعر، صرف، نحو، عروض

## پدیده تناوب وجابجایی لغوی در میان مشتقات دلالت کننده بر فاعلیت ومفعولیت ومصدر

مالک یحیی

دانشیار گروه زبان وادبیات عرب دانشگاه تشرین، سوریه

### چکیده:

این مقاله می کوشد به توضیح پدیده ی تناوب لغوی پردازد که در متون نظم ونثر عربی وقرآن کریم وارد گشته ودر زبان عربی رواج دارد. گاهی یک صیغه صرفی احکام نحوی ومعنایی صیغه دیگر را به خود می گیرد ودر ساختار ومعنی با آن جابه جا می شود.

مقاله ی حاضر با توجه به رواج این پدیده ومثال های فراوان آن به پدیده ی تناوب وجا به جایی بین مشتقات دارای معنای فاعلیت ومفعولیت ومصدر می پردازد وشواهد متعددی ذکر می کند که موارد زیر را تبیین می کند:

الف – اسم فاعل به معنای مصدر

ب – مصدر به معنای اسم فاعل

ج – اشتراک مصدر با صفات مشبیه وصیغه های مبالغه در شکل های ظاهری

د – اسم مفعول به معنای مصدر

ه – مصدر به معنای اسم مفعول

نتیجه مقاله این است که پدیده تناوب سهم بزرگی در توسعه کاربرد صیغه های صرفی برای بیان معانی متعدد غیر اصلی دارد. این پدیده دارای معنای وسیع واسلوب های متنوع است.

**کلمات کلیدی:** تبادل لغوی، تناوب اسمهای مشتق، مصدر، صرف

## لم ولمّا ي جازمه و کاربرد آن در قرآن کریم

یونس علي یونس

استادیار گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه تشرین، سوریه

### چکیده:

این مقاله به بررسی دو حرف «لم ولمّا» ي جازمه و دلالت و کاربرد آنها در قرآن کریم مي پردازد.

این امر از طریق بررسی دقیق و عمیق در قرآن و موارد متعلق به معانی «لم ولمّا» و اقسام آنها و ارائه ي آرای علما درباره وجود عمل آنها و محل اعرابی جمله هاي منفي به «لم ولمّا» و آمار مواضع «لم ولمّا» در قرآن کریم بیان مي گردد.

خواننده ي این مقاله با انواع معنای «لم ولمّا» و کاربردها آشنا مي شود. ما در این مقاله به تمام مسائل مربوط به «لم ولمّا» در قرآن کریم پرداخته و روش علمای نحو و تفسیر را در بررسی آنها شرح داده ایم، و در خاتمه به این نتیجه رسیده ایم که نحویان و مفسران گاهی در این مورد اتفاق نظر و گاهی اختلاف نظر دارند.

**کلمات کلیدی:** قرآن، جزم، لم ولمّا، دلالت

### A Review of Ibn- Hishām's Judgement about Abu Hayyan

Mohammad Nabi Ahmadi, Assistant Professor, Razi University, Iran

Ali Salimi, Associate Professor, Razi University, Iran

#### Abstract

Ibn- Hishām , in his book entitled *Moqni Al-Labib*, employs a procedure unprecedented in works before this book, e.g., his critique of the ideas by all syntactic schools . It is noteworthy that he does not confine his work to syntactic ideas ; he also enquires into many rhetorical issues. He comments on the views of many experts on syntax and rhetoric, endorsing some of them , rejecting others . He is Particularly and unconventionally eritical of the syntactic and rhetorical ideas expressed by Abu Hayyan , accusing him of not Knowing anything of rhetoric . Abu Hayyan's rhetorical views on "metaphor" , "tropes" , and "hyperbole" , as Found in his work entitled *Al-Bahr Al-Muhit* , rare not only at variance with Ibn-Hishām's judgement of him but also underscore the fact that Abu Hayyan was a master of rhetoric . This article is an appraisal of Ibn-Hishām's criticism of Abu Hayyan .

**Key words:** Ibn- Hishām , Abu Hayyan , syntax , rhetoric , criticism

## Phonological Processes according to Sībawayh

Ibrahim Mohammad al-Bāb, Assistant Professor, Tishrīn University

### Abstract

This article investigates some of the phonological processes which are mentioned by Sībawayh . Phonological Processes include two types: Phonetic and stylistic . The former type is of primary importance and includes:

*Pause*: This article provides the basic principles and rules for this process according to Sībawayh whether a pause is accompanied by letter addition or not ; and whether it is accompanied by a long vowel or by a consonant .

*Emāleh*, which is a kind of assimilation and of two types according to Sībawayh , one regular and frequent and another irregular and infrequent . The article , then , turns to different positions for *Emāleh* and its behavior in relation to "defective" letters on the one hand and in relation to "r" sound on the other . Assimilation and dissimilation : These are phonological processes which follow their own particular rules . Sībawayh did not use a particular label for either of these two but used the inclusive term *ibdāl* (commutation) for both processes . He explained partial and total assimilations . and divided them in to progressive and retrogressive types . He also elaborated on dissimilation and explained how it differs from assimilation . He believed that dissimilar letters were more frequent than Similar Ones. The article concludes with a summary of the discussed issues .

**Key words:** Sounds , phonological processes , Sībawayh

## Figures of Speech in Mamluk Period

Ali Haydar , Tishrīn University , Professor

### **Abstract**

Probably one of the most difficult tasks of scholars in range of figures of speech – a distinctive feature characterizing the literary taste of this period . Opinions of experts in the area of figurative language differ concerning the number , names , and kinds of the figures . They also disagree over the role and significance of figures of speech in literary creation . This article is an attempt at accounting for these differences in opinion by comparing the most important works which have dealt with this area of literature . Some of the important topics in rhetoric and figurative language , which are in much disarray and difficult to tackle , have also been dealt with.

**Key Words:** figurative language , figures of speech , typology , mamluk period , discrepancy

## A Semiotic Approach to Poetic Intention and the Challenges Involved

Mohammad khaqani Esfahani, Associate Professor, Esfahan University  
Reza Amer , Assistant Professor, Mila University

### Abstract

Semiotics has experienced many developments in the final decades of the twentieth century , espeually in connection with the intended meaning in contemporary poetry . This has led to several schemes in the scholarly study of literary texts either in formal aspects or in its content and purposes . Of Course , the intended meaning present in the deep structures should never be distorted or sacrificed in the course of any kind of interpretive procedure . Therefore , the critical study of intention in the contemporary poetry is one of the important issues in literary criticism which modern scholars have dealt with in their interpretation of signs in literary texts using semiotic approaches without destroying the Arabic identity of poems . The suggested approach to interpretation dose not reduce literary criticism to more reference to science and fidds of knowledge nor confines it to any particular frame of reference but opens up the text to different domains of knowledge dding to its tolerance of various views and understandings . New text analytical approaches are critical procedureswhich allow for different outlooks in the examination of modern Arabic texts both at theoretical and applied levels . This article intends to emphasize the significance of the semiotic method in the study of modern Arabic texts and exposes the most important challenges in modern poetry , especially in connection with the differences among the critics about the literary productions . It also tries to explain the methods of analysis both at the formal level and content level for reaching sound interpretation .

**Key words :** Semiotics , literary criticism , modern Arabic literature

## The Effect of al-Motanabbi and Sadi's characters on their Wisdom and Moral Lessons

Sadeq Askari , Assistant Professor, Semnan University

### Abstract

The personality of al-Motanabbi and Sa'di has been one of the most influential factors affects their tendency toward moral teaching in two ways : First , it causes their tendency toward moral education and advice ; second , they choose advice and moral remarks suited to their own characters .

The findings of this study suggest that al-Motanabbi and Sa'di are quite distinct and even contradictory in their character and ethical system . While al-Motanabbi is proud , pessimistic , and religiously fragile , Sa'di is humble , optimistic and steadfastly religious . Probe into the characters of these two poets shows the difference between laudation and moral teaching , although they have several characteristics in common , such as the contradiction between their words and conduct and production of some rough and impertinent lines of poetry . Finally , the difference between these two poets of morality surfaces in their choice of topics . For example , al-Motanabbi pays more heed to courage and valour than Sa'di , while Sa'di's interest in courtesy and humbleness is in contrast with al-Motanabbi lukewarm attention to these issues . Moreover , unlike Sa'di , al-Motanabbi never deals with such issues as frugality , farness , arrogance , and selfishness .

**Key words:** wise words , al-Motanabbi , Sa'di , personality and morality , comparative study

## The Aesthetics of the Morphological , Syntactic and Metrical Terms in Abul Ala al-Múarri's *Luzumiyat*

Mahdi Masbuq , Assistant Professor, Bu 'Alī-e Sīnā University

Ali Bager Taherinia , Associate Professor, Bu 'Alī-e Sīnā University

Mahdi Torkashvabd , MA student of Arabic language and literature

### Abstract

Following the Flourishing of the "translation movement" during Abasid period , there was a rise in the use of scientific terms in poetry . Poets such as al-Motanabbi , Abu Tammam , al-Múarri and Abul Fath al-Basti used scientific expressions in their poetry because of their acquaintance with scientific Fields . As al-Múarri enjoyed vast knowledge of various scientific fields , he generously used many terms from those fields in his work especially in his *Luzumiyat (Unnecessary Necessities)* . An upsurge in the use of these terms met the mixed reaction of the critics and scholars . Some lauded this Practice ; some expressed their disapproval . However , it seems the critics have failed to consider the aesthetic aspects of these terms and expressions in Múarri's poetry . Obviously , investigation into these expressions and communicative signs reveals the poet's ideas . Moreover , it shows the depth of his familiarity with scientific domains and richness of his poetry . The present article embarks on an investigation into the use of syntactic ; morphological and metrical terms by this poet , a task which he accomplished in a subtle and artistic way . It is due to this subtlety that understanding his intended meaning takes the reader much reflection and contemplation on these terms in the *Luzumiyat* .

**Key words :** Múarri , terms , poetry , morphology , syntax , meter

**Lexical Alternation of Subjective , objective and Infinitive Forms**

Malik Yahya , Assistant Professor, Tishrīn University

**Abstract**

This article attempts to describe lexical alterations which occur in Arabic poetry and prose and in the Holy Qurán and are common in Arabic language . Sometimes , a morphological item takes up the syntactic and semantic features of another morphological formation . The present article explores the alternations which occurs across subjective , objective and infinitive derivatives , using many examples . It deals with following cases :

- a. subjective nouns for infinitive meanings
- b. infinitives as subjective nouns
- c. infinitives taking the formal features of simple adjectives or emphatic adjectives
- d. objective nouns for infinitives meanings

The article conclude that alternation plays an important role in the extension of the usage of morphological formations and hence contributes to the expression of secondary meanings . This grammatical process produces Various meanings and operates on different kinds of mechanisms .

**Key words** : lexical alternation alternation of derivatives , infinitive , morphology

***Lam and Lamma and their uses in the Holy Qurán***

Younis Ali Younis , Tishrīn University Instructor

**Abstract**

This article enquires in to the uses of *lam*(not) and *lamma* (not yet) in the Holy Qurán . It does so by delving in to the meanings of *lam* and *lamma* and their different types and uses in the Qurán , providing the views of the scholars about their grammatical effects , describing the syntactic position of the sentences negativized by *lam* and *lamma* and giving the counts for differential positions of *lam* and *lamma* in the Holy Qurán . The reader will become familiar with different types of *lam* and *lamma* and their uses . In this article , we deal with all issues arising for *lam* and *lamma* in the Holy Qurán , describing the methodology used by scholars of syntax and Quránic interpreters sometimes agree and sometimes disagree on these issues .

**Key words :**Jazm , *lam* and *lamma* , *use and usage*

## نظام الكتابة الصوتية

الصوامت :	عربية	فارسية	ق	q
ا	،	،	ك	k
ب	b	b	گی	g
پ	-	p	ل	L
ت	t	t	م	m
ث	<u>th</u>	<u>s</u>	ن	n
ج	j	j	و	v
چ	-	č	ه	h
ح	ḥ	ḥ	ي	y,ī
خ	<u>Kh</u>	<u>kh</u>		
د	d	d		
ذ	<u>dh</u>	<u>dh</u>	الصوائت (المصوّتات)	عربية
ر	r	r	—	i
ز	z	z	—	a
ژ	-	ÿ	—	u
س	s	s	إي	ī
ش	sh	sh	آ	ā
ص	ṣ	ṣ	او	ū
ض	ḍ	ḍ		
ط	ṭ	ṭ	الصوائت المركّبة	عربية
ظ	ẓ	ẓ	أيّ	ay
ع	،	،	أو	aw
غ	gh	gh		
ف	f	f		
				فارسية

نلفت نظر الكتاب المحترمين أن يكتبوا أسماءهم بشكل معروف ومقبول عند الجميع ومن البديهي أن تكتب الحروف الأولى للأعلام بأشكالها الكبيرة.

**Studies on Arabic Language and Literature**  
(Research Journal)

**Publisher:** Semnān University

**Editorial Director:** Dr. Şadeq-e ‘Askarī

**Co-editors-in Chief:** Dr. Maḥmūd-e Khorsandī and Dr. ‘Abd al-karīm Ya’qūb.

**Assistant Editor:** Dr. Eḥsān-e Esmā’ilī Tāherī

**Academic Consultant:** Dr. Āzartāsh-e Āzarnūsh

**Arabic Abstracts Editor:** Dr. Shākir al- ‘Āmirī

**English Abstracts Editor:** Dr. Hādī-e Farjāmī

**Editorial Board (in Alphabetical Order):**

Dr. Āzartāsh-e Āzarnūsh, Tehran University Professor

Dr. Ibrāhīm Muḥammad al-Bab, Tishreen University Associate Professor

Dr. Lutfiyya Ibrāhīm Barham, Tishreen University Associate Professor

Dr. Ismā’īl Başal, Tishreen University Professor

Dr. Ranā Jūnī, Tishreen University Assistant Professor

Dr. Maḥmūd-e Khorsandī, Semnān University Associate Professor

Dr. Farāmarz-e Mīrzā’ī, Bu ‘Alī-e Sīnā University Associate Professor

Dr. Hāmed-e Şedqī, Tarbiat-e Modarres University Professor

Dr. Şadeq-e ‘Askarī, Semnān University Assistant Professor

Dr. Wafīq Maḥmūd Slaytīn, Tishreen University Associate Professor

Dr. Nāder Nezām-e Tehrānī, Allameh Tabātbā’ī University Professor

Dr. Alī-e Ganjiyān, ‘Allāme Tabātbā’ī University Assistant Professor

Dr. ‘Abd al-karīm Ya’qūb, Tishreen University Professor

**Executive Support:** Mohammad- Maḥdī-e Qods

**Technical Support:** Mehrdād-e Āzād

**Printing and Binding:** Semnān University

**Address:** The Office of Studies on Arabic Language and Literature,  
Faculty of Humanities, Semnān University, Semnān

**Phone:** 0098 231 3354139



Tishreen University



Semnan University

## Table of Contents

### **A Review of Ibn- Hishām's Judgement about Abu Hayyan**

Dr. Mohammad Nabi Ahmadi and Dr. Ali Salimi

### **Phonological Processes according to Sibawayh**

Dr. Ibrahim Mohammad al-Bāb

### **Figures of Speech in Mamluk Period**

Dr. Ali Haydar

### **A Semiotiotic Approach to Poetic Intention and the Challenges Involved**

Dr. Mohammad khaqani Esfahani and Dr. Reza Amer

### **The Effect of al-Motanabbi and Sadi's characters on their Wisdom and Moral Lessons**

Dr. Sadeq Askari

### **The Aesthetics of the Morphological , Syntactic and Metrical Terms in Abul Ala al-Múarri's Luzumiyat**

Dr. Mahdi Masbuq , Dr. Ali Bager Taherinia and Mahdi Torkashvabd

### **Lexical Alternation of Subjective , objective and Infinitive Forms**

Dr. Malik Yahya

### **Lam and Lamma and their uses in the Holy Qurán**

Dr. Younis Ali Younis

Research Journal of  
Semnan University (Iran, 1389)      Tishreen University (Suria, 2010)  
Volume 1, Summer , Issue 2